# هذا العدد

## بقلم : الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

عزيزي القارىء

تشهد البحرين هذه الايام مؤتمرا ضخما هو مؤتمر «البحرين عبر التاريخ» الذي يواكب الاحتفالات بالعيد الوطني المجيد ويواكب ايضا مرور قرنين من الزمان على حكم آل خليفة للبحرين وهو العهد الذي بدأت معه مرحلة جديدة في تاريخ البحرين يظلنا الآن خيرها وتنعم الدولة في ظلها بمرحلة لم تشهدها طوال تاريخها وهي مرحلة التحديث والتطوير والتقدم بثبات واصرار نحو الهدف المنشود.

وفي البحرين اليوم يلتقي قرابة المائة عالم واستاذ ومفكر وباحث من المهتمين بتاريخ الخليج عامة والبحرين بصفة خاصة. وممن لهم كتب ودراسات حول فترة او اخرى من فترات التاريخ الممتد والعريق لهذا الارخبيل الذي نحيا على أرضه.

ولقد جاء هذا الحشد مسبوقا او مصحوبا بعدد كبير من الدراسات والابحاث تغطي حقبا مختلفة من تاريخ البحرين في القديم او الوسيط او الحديث. وهي ابحاث حرص اصحابها جهد المستطاع على ان تكون موضوعية. وهي بدورها تمثل زخما هائلا سوف يكون له بلا شك فائدة كبيرة عند كتابة موسوعة تاريخ البحرين.

ان المشكلة التي تواجه المتصدي للكتابة التاريخية في كثير من دول الخليج العربي ـ وكما ألمحنا الى ذلك من قبل ـ هي غياب المصادر او ندرتها او عدم موثوقيتها وتحيزها في بعض الاحيان واختفاء تاريخ حقبة او اخرى تحت سحابة من ضباب التاريخ في معظم الاحيان. واذا كانت هذه المشكلة تواجه الكثير من الدول في المنطقة، الا انها بالنسبة للمتصدي للكتابة عن البحرين تظهر بصورة اوضح بسبب امتداد الرقعة التاريخية لهذه الجزر لتصل في اغوار الماضي السحيق حتى حضارة سومر.

ولقد كان الامل وما يزال في كشف الغموض عن سلسلة هذا التاريخ وربط حلقاتها حتى يأتي كتاب تاريخ البحرين، كتابا متكامل الابواب والفصول، مترابط المقدمات بالنتائج. وهو عمل ـ ولا شك ـ شاق يدركه كل من تصدى للكتابة التاريخية او عالج النبش في اغوار الماضي عن سجلات طوتها يد الزمن واخفى

معالمها توالي الحقب والعصور. لهذا السبب جاء «مؤتمر البحرين عبر التاريخ» ولهذا السبب ايضا تم الحرص على حشد اكبر عدد من الدراسات لهذا المؤتمر والتي نعرض لبعضها في هذا العدد من «الوثيقة» آملين ان نعرض لبقيتها مع ما دار حولها من مناقشات في الاعداد القادمة. ولكن وقبل ان ننتقل معك ـ عزيزي القارىء ـ الى استعراض الدراسات التي جاءت في هذا العدد نحب ان نركز على عدة نقاط حول الابحاث التي تم نشرها او التي يبحثها المؤتمر بوجه عام:

أولا : لقد قام استاذ او اكثر بإعداد ابحاثهم حول حقبة واحدة كما ان بعض الموضوعات المطروحة تم طرحها من قبل في اعداد سابقة من «الوثيقة» وهذا ـ في راينا ـ شيء جيد.. فاشتراك باحث او اكثر في تقديم دراسة او اكثر حول حقبة واحدة من تاريخ البلاد يقدم اكثر من وجهة نظر ويحشد اكبر قدر من الافكار والتفاصيل مما يساعد اي باحث عربي بصفة عامة او بحريني بصفة خاصة يتصدى للتاريخ في الحصول على اكبر قدر متاح من المادة التاريخية بالاضافة الى ان المؤتمر وقد دعيت اليه اسماء كبيرة في مجال الكتابة التاريخية سوف تكون لديه الامكانية التي تتيح لهؤلاء الاساتذة ان يتناقشوا ويصحح كل منهم معلوماته على ضوء ما يقدمه الآخرون من ادلة تاريخية وصولا في النهاية الى اقرب النتائج الى الواقع الذي غيبه توالي القرون.

ثانيا : بعض الابحاث اعدها اساتذة كبار من الغربيين ورغم احترامنا الكامل لهؤلاء الاساتذة ولمكانتهم العلمية الا اننا نقول انهم قد يعرفون العربية ولكنهم لا يجيدونها. ولما كانت معظم الدراسات التي تعرضوا لها جل مراجعها بالعربية فان النتائج التي توصلوا اليها قد يشوبها بعض القصور الذي تفرضه صعوبة الالمام الكامل بأسرار اللغة العربية او التقاليد العربية او اسرار الصياغة القديمة ولذلك قد تكون ابحاثهم شيئا باهرا بالنسبة للدارس او الباحث الغربي ولكنها قد لا تكون كذلك بالنسبة للقارىء او الدارس العربي. ومن هنا فاننا نامل ان يكون اشتراك هؤلاء في المؤتمر الى جانب زملائهم من كبار الاساتذة العرب سببا في ان يصححوا ما

توصلوا اليه من بعض النتـائج حتى يتمكنـوا بدورهم من تصحيـح الكثير من المفاهيم التي يقدمونها لتلاميذهم من طلاب الدراسات العربية والاسلامية في اوربا وامريكا.

ثالثا : شيء نحب ان نؤكد عليه باستمرار وهو انه ليس معنى نشر الابحاث في «الوثيقة» انها اصبحت فصل الخطاب، فليس في الكتابة التاريخية ـ وكما قلنا اكثر من مرة ـ شيء اسمه فصل الخطاب.. ولا يعني نشر هذه الابحاث في «الوثيقة» انها تحمل رأي «الوثيقة» او موافقتها على كل ما جاء بها. فالوثيقة مجلة متخصصة وكل بحث ينشر فيهـا منسوب لكـاتبه وانمـا دورنا هـو حشد اكبـر عـدد من الآراء والتفاصيل يمكن ان تكون مادة تصلح للفحص والتمحيص والمناقشة عند كتابة التاريخ الموثق للدولة.

رابعا : ان «الوثيقة» لترجو للاساتذة الأفـاضل الذين تكـرموا بتشـريف هذا المحفل العلمي الكبير في مؤتمر «البحرين عبر التاريخ» ان يتمكنوا من ان يضيفوا الى ما لدينا وان يضيفوا الى ما لديهم، فالتاريخ ـ اي تاريخ، حتى ولو كان تاريخ بقعة صغيرة ـ هو ملك للبشرية وهو ملك للأجيال القادمة.

وبالله التوفيق.

عبد الله بن خالد آل خليفة

# من تاريخ العتوب

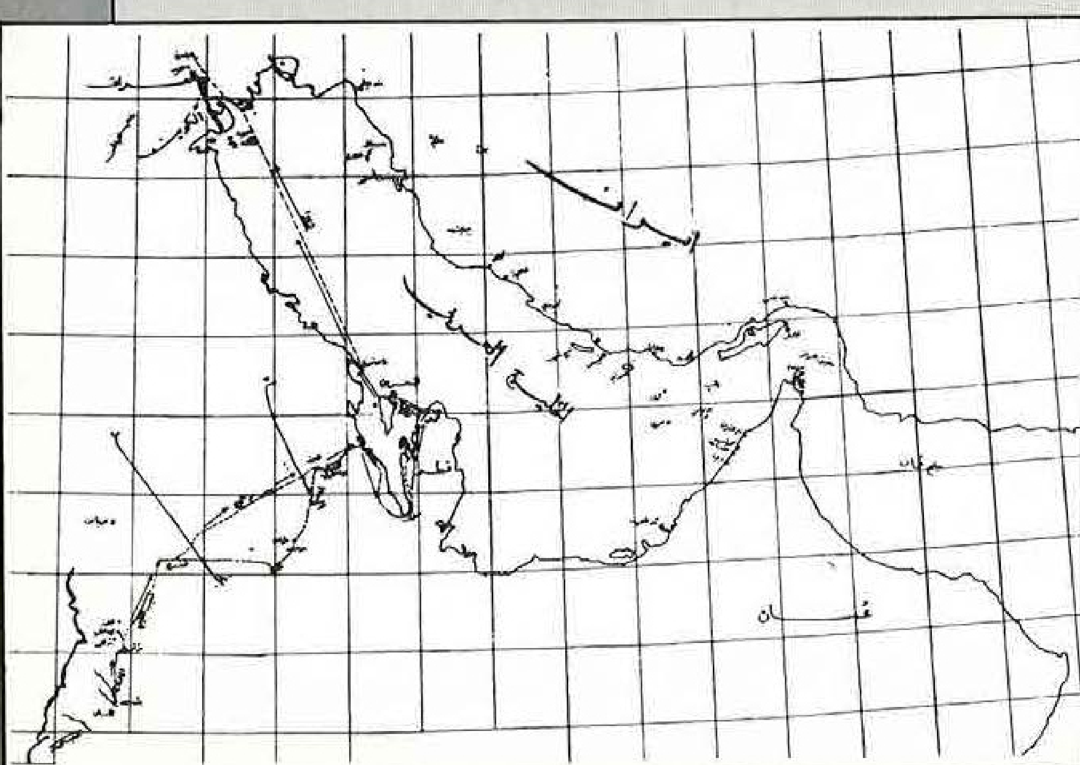
## هجرة العتوب من الهدار في نجد

نستطيع ان نحدد الفترة التاريخية التي تمت فيها هجرة العتوب من الهدار بناء على الوثائق والحوادث التاريخية بالعقد التاسع من القرن الحادى عشر الهجري اي ما بين ١٠٨٢ - ١٠٩١ هجرية[١] الموافق ١٦٧١ - ١٦٨٠ ميلادية واستقروا في قطر حوالي ٣٣ سنة مكنتهم هذه المدة ان يتفاعلوا مع بيئتهم الجديدة ويروضوا انفسهم على ركوب البحر والغوص على اللؤلؤ ومشاركة غيرهم من ابناء الخليج في عمل النقل البحري ( القطاعه ) والغوص ونافسوهم على ذلك مما اثار عليهم حسد الآخرين فنشبت بينهم الخلافات والمعارك .

وبعد معارك ضارية خاضوها ضد اعدائهم في تلك السواحل هاجروا الى البصرة سنة ١١١٣ هجرية ١٧٠١ ميلادية ثم بعد سنوات من هذا التاريخ سكنوا الكويت .

# في القرن الثامن عشر

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة
والدكتور علي أبا حسين - البحرين



والعتوب هاجروا من نجد وهم عشيرة مترابطة يحملون هذا الأسم وكونوا قراهم على ساحل قطر وعندما يشار اليهم يقال قبيلة العتوب . لا ننكر ان هناك اقواما انضموا لهم فيما بعد وشملتهم العتبية ولكن الأساس كانوا هم .

ومن نجد طلعت عدة هجرات لافراد وافخاذ سكنوا وأسسوا قرى ومدنا ولكنهم لم يكونوا مترابطين كالعتوب ، خذ مثلا : ( الزبير ) اكثر سكانها من اهل نجد ولكنهم ليسوا عشيرة واحدة بل افخاذا وبيوتا . اما العتوب فهم منصهرون في بعضهم البعض بالمصاهرة والنسب منذ هجرتهم ويشار اليهم في التاريخ باسم قبيلة العتوب وكان امضاء الواحد منهم : فلان بن فلان العتبي ، وكانت عزوتهم واحدة هي قولهم ( آلاد سالم ) .

وفي بداية هجرتهم لم يكن العتوب من الكثرة والقوة على ما هم عليه فيما بعد ولكن عندما انضم اليهم غيرهم من الافراد والافخاذ والعشائر وتكاثر نسلهم عزوا وزادت قوتهم .

وتذكر لنا الوثيقة العثمانية عام ١١١٣ هجرية ان العتوب ومن معهم عندما هاجروا الى البصرة كان عددهم الفي بيت تحملهم ١٥٠ سفينة في كل سفينة نحو اربعين رجلا يحملون البنادق وبها مدافع . فاذن نستطيع ان نقدر عدد المهاجرين مع ذراريهم ونسائهم بعشرة آلاف نسمة . وهذه قوة لا يستهان بها في ذلك الوقت .

نعود لكلمة عتوب جمع عتبي من اين اشتقت . المتواتر عند اهلنا[٢] ان العتوب فرع من جميلة وايل وجميلة وايل معروفة في نجد ومساكنهم الافلاج والهدار قرب وادي الدواسر وبقاياهم لا يزالون يسكنون تلك النواحي وعندما هاجروا الى سواحل الخليج انضم اليهم غيرهم فتحالف معهم وشملته العتبية واصبح حلفا يضم افخاذا كثيرة لعدة قبائل تحالفت معهم وتصاهروا فيما بينهم . واقدم وثيقة اوضحت ذلك عن العتوب ما كتبه الشيخ عثمان بن سند المتوفي سنة ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٦م .

وفي رواية ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، حيث قال عندما تكلم عن الكويت ( سكنها بنو عتبة ولهم في عنزه بن اسد نسبه . والذي يظهر انهم متباينو النسب لم تجمعهم في شجرة ام وأب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض وما قارب الشيء يعطي حكمه على الفرض[٣] .

أما اقدم ذكر للعتوب في التاريخ عثرنا عليه حتى الآن فهو في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م ، اذ ورد في مخطوط لؤلؤتي البحرين ليوسف بن احمد الدرازي البحراني المتوفي سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م وهو يترجم لنفسه فيذكر وقعة في البحرين كان العتوب طرفا فيها ويؤرخ هذه الوقعة ببيت من الشعر يقول وقد ارخ والدي هذه الوقعة بقوله :

قضية القبيلة المعتدية      وعام تلك ( شتتوها ) فأحسبه

وبحساب كلمة ( شتتوها ) ( بحساب الجمل ) تكون :

ش = ٣٠٠ + ت = ٤٠٠ + ت = ٤٠٠ + و= ٦ + هـ = ٥ + أ = ١

فالمجموع ( ١١١٢ ) الموافق ١٧٠٠م ) وهو تاريخ الوقعة .

اما الدليل التاريخي الآخر على تواجد العتوب في الخليج عامة والبحرين بصورة خاصة فهو الوثيقة العثمانية التي حصلنا عليها من ارشيف رئاسة الوزراء العثماني في دفتر المهمة رقم ١١١ صفحة ٧١٣ في حوادث ٢١ رجب سنة ١١١٣هـ / ديسمبر ١٧٠١م حيث جاء العتوب الى والي البصرة ، وقد اشرنا اليها في بحثنا هذا سابقا[٤] .



قبر الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة (أحمد الفاتح) في المنامة

وفي وقت ما بعد سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م يمموا صوب « القرين » وكان فيها كوت او حصن قد جعله حاكم الأحساء والقطيف « ابن عريعر الخالدي » مستودعا او مخفرا لحفظ حدود دولته الشمالية فوهبه للعتوب ثم نزلوا حوله في اوائل القرن الثاني عشر الهجري او الثامن عشر الميلادي . وبني الشيخ « خليفة بن محمد » الكبير جد آل خليفة المسجد المشهور في الكويت « بمسجد آل خليفة » وأوقف عليه قسما من غلة النخل الذي يملكه في القطيف .

وفي حوالي سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م انتقل الشيخ « خليفة بن محمد » الى جوار ربه ودفن في الكويت فخلفه ابنه الشيخ « محمد بن خليفة » وكان يافعا فبقي في كنف عمه الشيخ « صباح بن جابر » الذي زوجه بابنته فأنجبت له ابنه البكر « خليفة » وهذا ما نستدل به على ان الشيخ خليفة قد توفي قبل ان يتزوج ابنه محمد بن خليفة وبعد ان تزوج وانجب ابنه البكر سماه باسم والده خليفة كما جرت العادة . وهذا مما يؤيد قول المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح بأن آل صباح وآل خليفة في بدء سكناهم الكويت كان قدرهم للطبخ واحدة وذلك لصلة القربي بينهم .

ونحن لا نؤيد الأقوال التي تقول ان تأسيس الكويت سنة ١١٢٥هـ/١٧١٣م[٥] او قول واردن ان العتوب سكنوا الكويت سنة ١١٢٨هـ/١٧١٦م[٦] .

اتسعت الكويت وتزايد عمرانها وزاد عدد سكانها مع مرور الزمن نظرا لما تتميز به من مميزات هي ميناؤها الممتاز لرسو السفن وموقعها التجاري وقربها من مغاصات اللؤلؤ فأجتمعت كلمة العتوب على اختيار الشيخ « صباح بن جابر » حاكما عليهم .

وهناك وثيقة تثبت ان اول قاض في الكويت هو الشيخ « محمد بن فيروز » المتوفى سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م[٧] فلابد وان المدينة قد تأسست منذ مدة من الزمان . ونحن نرى ان تأسيسها كان قبل سنة ١١٢٠هـ وان اسمها قبل التأسيس كان « القرين » ثم غلب عليها اسم الكويت .

وتحدثنا الوثائق الهولندية حسب التقرير الذي كتب بواسطة « نيفهاوزن » مدير شركة الهند الشرقية الهولندية في خارج ومساعده « جان فان درهولست » في سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م وقد وصفا في هذا التقرير المنطقة الساحلية للخليج وسكانها ورفعا التقرير الى « جيكوب موسيل » الحاكم العام لشركة الهند الشرقية الهولندية وجاء في هذا التقرير عن العتوب ما يلي :

لجأ الشيخ ناصر المذكور الى العتوب واستنجدهم في فتح البحرين على ان يعفيهم في مقابل ذلك من دفع اية ضريبة على ممارسة الغوص في مغاصات البحرين وكان العتوب يتقنون عملية الغوص . هذا اول ذكر للعتوب في هذا التقرير ثم يستمر التقرير في وصف بنادر ومشايخ الخليج حتى يصل الى البصرة ثم يقول : وبعد الفرات « الفاو » تأتي جزيرة « فيلكه » على الشاطىء العربي وتقع القرين مقابل فيلكه تسكن هذه الأماكن قبيلة العتوب العربية وهم ينتمون الى شيخ قبيلة بني خالد ويدفعون له مبلغا صغيرا من المال ولديهم ٣٠٠ سفينة معظمها صغير ويستخدمونها للغوص على اللؤلؤ وهو المصدر الوحيد لمعيشتهم اذا شحت الأمطار ويبلغ عددهم ٤٠٠٠ نسمة وهم مزودون بالسيوف والدروع والرماح . وليس لديهم الملم بأدوات النار وانهم دائما مشغولون بالحرب مع الهولة وفي خصام دائم معهم . ولكن صغر حجم مراكبهم لا يسمح لهم بالأبحار لمسافات طويلة

والمغاصات التي يرتادونها لصيد اللؤلؤ تقع بين البحرين من جهة ورأس بردستان قرب كنكون من جهة ثانية ومع ان عندهم عدة شيوخ الا انهم يعيشون في وئام واهمهم هو الشيخ مبارك بن صباح ولكنه صغير السن ومحدود الثروة بينما شيخ آخر باسم محمد بن خليفة رجل غني ويملك عدة سفن ويتمتع باحترام قبيلته(٨) .

ومما لا شك فيه ان العتوب كانوا يرتادون موانيء الخليج بسفنهم للغوص والتجارة والنقل ، وقد هاجر آل بنعلي وهم قسم من العتوب من الكويت الى « الفريحه » في قطر وسكنوها حوالي عام ١١٤٥هـ/١٧٣٢م . وآل بنعلي هم اخوال الشيخ احمد بن محمد آل خليفة الملقب بالفاتح .

في ذلك الوقت لم تكن توجد جوازات ولا رخص نزول وكل الموانيء مفتوحة للقادمين والمسافرين ولا توجد جمارك ولكن هناك عشور ومكان لأخذ العشور يسمى « المُعْشَر » والذي يقدر العشور على التجار ويستلمها يسمى « المُعْشِر » .

وفي زمن الشيخ عبدالله بن صباح حوالي سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م حدثت بعض الأسباب التي ادت الى هجرة الشيخ محمد بن خليفة من الكويت الى الزبارة ، وحسب الرواية التي تناقلها كبار آل خليفة كانت اهم الاسباب هي : ان ابناء الشيخ محمد بن خليفة ذهبوا الى الدورق « الفلاحية » لجلب التمر للكويت فهاجمهم وهم في وسط النهر بعض قطاع الطرق من بني كعب فقتلوا واحدا من المهاجمين وفر الآخرون فاتت كعب الى الشيخ عبدالله بن صباح تطالب بدم قتيلها فطلب الشيخ عبدالله من الشيخ محمد بن خليفة ان يسلم له ابناءه ليمشي بهم على كعب في الصلح فأبى الشيخ محمد بن خليفة ان يسلم ابناءه الى الشيخ ابن صباح يقودهم الى كعب وقال له : ان بني كعب اعتدت على ابنائي الذين دافعوا عن انفسهم فقتلوا واحدا منهم فاذا هم يريدون الدية فأنا مستعد ان ادفع لهم بدل الدية ديات فاشتد الخلاف بينهما مما ادى الى ان يهاجر الشيخ محمد بن خليفة من الكويت وابناؤه(٩) مع من آزره من عشائر العتوب وتتابعت هجرة عشائر العتوب بعدها الى الزبارة وهكذا انقسمت كل عشيرة من عشائر العتوب الى قسمين : قسم هاجر وقسم بقي في الكويت وكل فتح الله عليه ، ونشر المهاجرون قلوعهم قاصدين شبه جزيرة قطر ، وهكذا فأن اسباب الهجرة تعديات بني كعب على الكويت وعلى سكانها العتوب .

وعلى العموم فان عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها البعض فأدت الى هجرة الخليفة ومن تبعهم الى الزبارة .

# الزبــــارة ..

مدينة تقع على ساحل شبه جزيرة قطر الشمالي الغربي . ومعنى الزبـارة في لسان العرب من الزبر وهو وضع البنيان او الحجارة بعضها فوق بعض[١٠] . وعند اهل الخليج العربي تعنى أكمة او تلة صغيرة ترتفع عن الأرض وسمي المكان الذي بنيت هذه المدينة فيه بالزبارة لوجود تلة صغيرة فيه وهناك محل آخر في قطر يدعى ابا الزبار . اما تسمية الأماكن فالعرب يسمون كل قطعة من صحرائهم باسم ليستدلوا بـه في معرفتهـا وقد اختاروا سكنى الزبارة لما تتميز به من ميناء مجاور للسفن ولقربها من الماء والمـرعى والحطب ولم يرد اى ذكر للزبارة في التاريخ قبل تأسيس الشيخ محمد بن خليفـة لها ولقلعته المشهورة فيها بعد نزوحه من الكويت الى قطر .

وان الرحالة « نيبور » لم يذكر الزبارة ولم يضعها في خـريطتـه التي رسمها عـام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م حيث لم يمض على تأسيس الزبارة سوى ثلاث سنوات ولم تشتهر بعد وقد رسم نيبور خريطته قبيل بناء الشيخ « محمد بن خليفـة » القلعة في مـوضع الزبارة بسنة على الأرجح ، بينما ذكر « نيبور » اماكن اخرى في الخليج منها « القرين » و « قطر » كما اشار في خريطته الى قرية « فريحه » الواقعة بقرب « الزبارة » .

وان الذي أسس الزبارة وادخلها التاريخ هو الشيخ محمد بن خليفة ثم تمت واتسعت بعد ذلك وراح كثير من الناس يفدون اليها وذلك لما اتصف به مؤسسها واميرها الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة وابناؤه من بعده من اخلاق فاضلة وكرم وعدل وشجاعة وحنكة في القيادة مكنتهم من هزيمة منافسيهم حتى اصبحت الزبارة حاضرة شبه جزيرة قطر والبحرين دون منازع[١١] .

وقـد رجـحـنـا ان تـأسـيس الزبـارة في عـام ١١٧٦هـ/١٧٦٢م وليس عـام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م وذلك لأن الشيخ محمد بن خليفة بعد هجرته الى الزبارة تزوج من آل بوكوارة وانجب من زوجته هذه ولديه « علي » و « ابراهيم » وكان « عـلي » من ابطال معركة الزبارة وفتح البحرين في سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م مما يدل على ان عمره وقتئذ كان زهاء عشرين عاما فلابد والحالة هذه انه ولد في وقت ما حوالي سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ولو كان زواج الشيخ محمد بن خليفة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م لكان عمر علي هذا لا يتجاوز ستة عشر عاما وهذا مما لا يساعد على اشتراكه اشتراكا فعالا في المعارك . هذا دليلنا على ان ارجح عام لنزوح الشيخ محمد بن خليفة الى الزبارة كان في سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م .

وكان لزواجه من آل بوكواره ما يدل على بعد نظره لانه اراد ان يجلب اليه قبائل قطر بمصاهرته معهم ، وهكذا اصبح للشيخ محمد بن خليفة أمرة بلدة الزبارة ومن سكنها وقام ببناء قلعة على الماء الذي يستقون منه وسماها « صبحا » على اسم قلعتهم في الهدار وتسمى ايضا قلعة « مرير » نسبـة الى الماء الذي بنيت حـوله ولا زالت صور اثـارها

معروفة . وكانت قلعة حصينه . وأتم بناءها فارخت بجملة

(تمت ٨٤٠ + بعز ٧٩ + وعون ١٣٢ + الله ٦٦ + حاميها ٦٥ )

وذلك سنة ١١٨٢هـ الموافق سنة ١٧٦٨م . وقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية على ازدهار الزبارة وعمرانها واتساعها حتى اصبحت اكبر مدينة في قطر ومن تلك الظروف : مطالبة « المسلمي » الشيخ محمد بن خليفة بدفع بعض الرسوم وقد دفعها له عدة سنوات : وبعد ان أتم بناء القلعة امتنع عن الدفع وانظمت له قبائل قطر فامتنعت هي الأخرى عن دفع الرسوم للمسلمي مما أدى الى نشوب معركة بين آل خليفة واعوانهم من جهة والمسلمي واعوانه من جهة اخرى وعلى اثر هذه المعركة انهزم فيها المسلمي في وقعة « السميسمه » في قطر وبعد هذه الواقعة برز دور الزبارة واضمحل نفوذ « الحويله » التي كان فيها آل مسلم .

وفي حوالي سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م توفى « الشيخ محمد بن خليفة » وخلفه ابنه « الشيخ خليفة » وكان الشيخ خليفة بن محمد ورعا تقيا واديبا شاعرا ينظم الشعر وله المام بفقه الامام مالك وفي عهده اتسعت الزبارة وذلك لاسباب منها : هجوم الزنديين على البصره في عهد كريمخان الزندي ومحاصرتها حوالي سنة ونصف منذ سنة ١١٨٨هـ وقيل سنة ١١٨٩هـ وقيل دام الحصار اربعة عشر شهرا حتى سنة ١١٩٠هـ الموافق سنة ١٧٧٥م - ١٧٧٦م ودافع اهل البصرة عن مدينتهم ببسالة نادرة رغم نقص الطعام وقلة الذخيرة عندهم[١٢] ونهب العجم البصرة وفعلوا بها الافاعيل وكان متسلمها يومئذ « سليمان بك الكبير » ومعه فيها مشايخ المنتفك . فلما كانت سنة ١١٩٠هـ استولى العجم على البصرة صلحا ثم غدروا بأهلها ونهبوها وساروا الى بلد الزبير ونهبوه ودمروه وتركوه خاليا واهله ما بين منهزم طالب النجاة وقتيل[١٣] وهذا أدى الى انتقال كثير من اصحاب رؤوس الأموال والعلماء من البصرة والكويت الى « الزبارة » و « الاحساء » ومناطق الجنوب لبعدها عن الاحداث خاصة وان البصرة وقتئذ كانت مركزا تجاريا وفيها حركة اقتصادية نشيطة كما ان الرفاه الاقتصادي ادى الى التقدم في العلوم والعمران فيها فلما انتقل بعض التجار بخبرتهم واموالهم الى الزبارة انتعشت المدينة . ثم ان تحول طائفة من فحول العلماء والأدباء والشعراء اليها ساعد على التقدم العلمي حيث فتحوا المدارس فيها شأن ما ألفوه في البصرة . فعمرت الزبارة اقتصاديا وثقافيا . وممن هاجر اليها بسبب هذه الاحداث احمد بن رزق التاجر المعروف[١٤] .

وتعرضت البصرة لمرض الطاعون . حيث كتب شاهد عيان في حوادث سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م وهو « عبد الرحمن بن عبدالله السويدي » المؤرخ المعاصر لانتشار وباء الطاعون في العراق والذي انتقل من بغداد الى البصرة مع اهله ثم الى الزبير وبعدها الى الكويت ووصف الكويت فأقام بها شهرا فقال ان فيها اربعة عشر مسجدا وجامعين[١٥] . وأرخ لوريمر هذا الحدث في سنة ١٧٧٣م/١١٨٦هـ فقال : ان وباء الطاعون فتك بحوالي ٢٠٠ الف نسمة من اصل ثلثمائة الف من سكان البصرة[١٦] وفي رواية ولم يبق من اهل البصرة الا القليل فقد احصى من مات من اهلها فبلغوا ثلثمائة وخمسين الفا ، ومن اهل الزبير ستة آلاف نفس . وهذا الوباء دفع بالكثير من سكان البصرة الى النزوح الى الزبارة حتى قيل - خراب البصرة عمار الزبارة - لأن كثيرا من

العلماء الذين عاشوا في الزبارة كانوا في فترة من حياتهم في البصرة مثل بكر بن احمد البصري الزباري المتوفى سنة ١٢٠٢هـ ومعاصره احمد بن درويش العباسي ومحمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي وابنه عبدالله ومحمد بن فيروز والبيتوشي والعتيقي والهجري والطباطبائي وابن جامع وأخرين غيرهم أوردنا ذكرهم في الجدول وطرفا من حياتهم ودورهم في تقدم الزبارة الحضاري .

كذلك ظهر آل سعود وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأصلاحية بينما ضعف سلطان آل عريعر نتيجة الخلافات الأسرية بين آل عريعر وهم من بني خالد فتغلب الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود على نجد والبادية . هذا النزاع الأسري ادى الى نمو الزبارة والى التقدم الاقتصادي عند العتوب في ظل ذلك النزاع الذي كان له كبير الأثر في عدم الاستقرار واضطراب الأمن مما دفع بعض سكان الاحساء ونجد الى الرحيل عنها وسكنى الزبارة والكويت ، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد وعند ابن بشر وابن غنام مما يؤكد انه حصل في سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م قتال عظيم ووقائع عديدة اذ خرج « دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان » من الرياض وقصد الاحساء .

وفي سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م سار « عريعر بن دجين آل حميد الخالدي » رئيس الحسا والقطيف بالجنود العظيمة من الحاضرة والبادية واتجه نحو نجد وقصد بريده وعنيزه وحاصرها واجلى بعض اهلها ومات وهو في الطريق وخلفه ابنه « بطين » ولم يستقم له حال اذ قتله اخوه « سعدون » خنقا فلما تولى سعدون حارب قبيلة مطير وحالفته الدهامشة من عنزه ضد مطير واستمرت الحال حتى ١١٩٥هـ الموافق ١٧٨٠م . هذه الأحوال المضطربة في الاحساء ونجد ادت الى جلاء بعض اهاليها الى الزبارة وخاصة التجار والعلماء منهم[١٧] .

ان الفترة التي عاصرت نشوء وازدهار الزبارة قد شهدت حدوث قحط وغلاء . ففي سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م ارتفعت الأثمان ونفق الزاد في جميع البلدان واستمر الغلاء في السنة التي تليها وسمي ذلك القحط والغلاء العظيم « سوقه » مات فيه خلائق كثيرة جوعا وجلا كثير من اهل نجد الى البصرة والزبير والحسا ، ومن قحط الى وباء وطواعين وحروب حتى سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٢م حيث بدأ القحط والغلاء العظيم المسمى « دولاب » واستمر ثلاث سنين[١٨] .

وقد ساعد نزول آل خليفة ومن والاهم للزبارة على نمو الثروة لسكناهم بقرب المصدر الاساسي لثروة الخليج وهو اللؤلؤ ، وتمتعت الزبارة بنوع من حرية التجارة فأن عدم فرض ضرائب على السلع التجارية فيها شجع التجار على الدخول اليها بتجارتهم فاصبحت وقتئذ منطقة جذب اذ ترد اليها البضائع للاستهلاك ثم يصدر الفائض منها الى نجد والاحساء وغيرها[١٩] . كما ان ازدهار الزبارة ادى الى جذب كثير من تجارة البحرين التي كانت وقتئذ تحت حكم آل مذكور[٢٠] وجاء في وثائق « منتخبات سالدنها » ان حكومة الزبارة كانت تعفي السلع من المكوس ولا تجمع اى نوع من الرسوم الجمركية على البضائع التجارية[٢١] خاصة اذا علمنا ان الزبارة تشتهر حينئذ بتجارة اللؤلؤ فهي قريبة من المصائد الغنية بصيده . كل ذلك مما هيأ للزبارة ان تتبوأ مكانتها في التجارة والملاحة فدرّت عليها الخيرات من كل مكان . ان الازدهار والتقدم والثروة التي حصلت عليها

موانىء العتوب في الزبارة والكويت لمشاركتهم الفعالة في الغوص على اللؤلؤ والمتاجره به « الطواشه » والنقل البحري اثارت عليهم مشايخ الهوله واحسوا بمزاحمتهم فتعرضوا لهم ولسفنهم فأزدادت المنافسة بينهم وكان علي مراد خان في اصفهان يحرض شيوخ الهولة في جميع السواحل الفارسية بالقضاء على قوة العتوب الناشئة في الكويت والزبارة وحدثت معركة « الرقة » في هذه الظروف بعد معركة الرقة هاجم العتوب وهم مجتمعون من الزبارة والكويت والبحرين ونهبوا . وكتب بذلك لاتوش تقريره(٢٢) المؤرخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ الموافق ٢٧ ذى القعدة ١١٩٦هـ والموجه الى ديوان الادارة بلندن والذي جاء فيه :

ان بعض سكان « الزبارة » و « كرين » قاموا اخيرا بغارة على البحرين ونهبوها كما استولوا على عدة قوارب لبوشهر وبندر ريق عند مدخل هذا النهر « شط العرب » . وكان رد الفعل ان جمع الشيخ نصر قوة من بوشهر وبندر ريق والموانىء الفارسية الاخرى وتظاهر بأنه ينوي اخذ الثأر لهذه الاعتداءات بشن هجوم على الزبارة فارسل خطابا الى « علي مراد خان » في اصفهان يطالب فيه ان يمده بالاموال لتحقيق هذا الغرض .

كما وجه الشيخ نصر البوشهري نداء الى شيخ القرين يعرض عليه احلال السلام بينهما فرفض شيخ القرين هذه المبادره الا اذا وافق الشيخ نصر على دفع نصف ايرادات البحرين له مع نسبة كبيرة من مدخول بوشهر .

ومع ذلك لم تمض سنوات كثيرة على الوقت الذي كانت فيه القرين مضطره لدفع أتاوه كبيرة لبني كعب وكان اسم الزبارة قلما يعرف .

وعند هجوم الفرس على البصره تحول احد شيوخ « القرين » الى « الزبارة » ومعه عدد كبير من الشخصيات الكبيرة وعدد من التجار من البصـره الى هناك فـاصبحت « الزبارة » مركزا لتجارة اللؤلؤ والسلع الهندية وكذلك زادت اهمية « القرين » التجارية الى حد ما . وفي وقت لاحق استطاعت هذه المشيخات « الزبارة والقرين » ان تتحدى « بني كعب » وتكسب منها امتيازات عديده كما انها لم تعد تخشى تهديـدات الشيخ نصر . وبتحليل وثيقة « لاتوش » الوارد ذكرها نرى ان :

في اواخر ١٧٨٢م/١١٩٦هـ دب خلاف شديد بين العتوب من جهة ومشايخ الساحل الفارسي من جهة اخرى بتحريض من « علي مراد خان » . والسبب في ذلك يرجع للمنافسة على مصادر الرزق كالغوص والملاحة والقطاعة فأدت الى نشوب غارات بين الطرفين . واهم مصدر لدينا عن ذلك ما كتبه « لاتوش » في رسالته المؤرخة في ٤ نوفمبر ١٧٨٢م الموافق ٢٧ ذي القعدة ١١٩٦هـ والتي ورد فيها انه قبل تاريخ رسالته هذه حدث ان غار اهل القرين واهل الزبارة على البحرين وأورد لوريمر انهم احدثوا خسائـر في المنامـة وساقوا معهم سفينة كانت قادمة من بوشهر . كما ذكر لاتوش عن اغراق بعض السفن في وجه النهر « شط العرب » من قبل العتوب ، تلك السفن التابعة لبندر ريق وبوشهر وبني كعب ، مما نستدل منه على ان هذه السفن التي ذكر غرقها « لاتوش » هي المعركة التي حدثت في « الرقة » قرب فيلكا بين عتوب الكويت « القرين » في عهد الشيخ « عبدالله بن صباح » الذي حكم من ١١٧١هـ/١٧٥٧م الى ١٢٢٩هـ وبين بني كعب وحلفائهم ، ثم ذكر لاتوش انه بعد هذه الغارة وهذا الانتصار في وجه النهر اصبح العتوب في قوة لا

يخشون معها بني كعب او تهديدات الشيخ نصر بن مذكور . مع انه لم يمض وقت طويل على الوقت الذي كانت فيه القرين مجبرة ان تدفع اتاوة لبني كعب والذي كانت فيه الزبارة وقتئذ لم تشتهر بعد ، والعتوب الآن في « الزبارة والقرين » لا يخشون من التهديدات كما ذكر لاتوش ان الشيخ نصر بن مذكور تظاهر بأنه سيغزو الزبارة وقد كتب رسالة الى « علي مراد خان » في اصفهان وفيها يطلب المساعدة منه على غزو الزبارة . وفي نفس الوقت كتب الى شيخ « القرين » يطلب منه عقد صلح معه لكن شيخ القرين طلب منه نصف ايراد البحرين وقسما كبيرا من دخل بوشهر . ونحن نعتقد ان طلبه للصلح كان خدعة او انه يريد ان يفصل بين الحليفتين « الزبارة والكويت » ليتفرغ لغزو الزبارة والتي فعلا ينوي غزوها وقد اتم استعداداته فغزاها في ذي الحجة ١١٩٦/ديسمبر عام ١٧٨٢م .

ويقول لوريمر ولاتوش : نتيجة لرد الفعل للأحداث التي ذكرناها فقد امر حاكم اصفهان « علي مراد خان » في اواخر سنة ١١٩٦هـ الموافق ديسمبر عام ١٧٨٢م بأن يقوم الشيخ نصر آل مذكور بمحاصرة الزبارة بعد ان يعد حملة قوية ضد عتوب الزبارة مستعينا بحكام « ريق » و « جنابه » و « دشستان » وسواها ، وكان قوام هذه الحملة « الفي رجل » والمشهور ان الذي ادار المعركة هو الشيخ نصر آل مذكور وقد وقع سيفه بيد سلامة بن سيف البنعلي بعد ان انكسر جيشه وهزمت قواته وتراجعت الى سفنها متكبدة خسائر جسيمة كما قتل الشيخ محمد إبن أخي الشيخ نصر آل مذكور[٢٣] .

## احداث وقعة الزبارة :

لأسباب اوردنا ذكرها تضافرت مع بعضها البعض ادت الى وقعة الزبارة فجمع الشيخ نصر قوة كبيرة قوامها الفا مقاتل وقيل ٤٠٠٠[٢٤] جندي بقيادة محمد ابن اخي الشيخ نصر[٢٥] وحاصرت هذه القوة الغازية الزبارة . ورغم ان الشيخ نصر اعتبر هذه القوة كافية لغزو الزبارة الا انه اراد تقويض قوة العتوب بمجرد محاصرته لمينائهم وقام لذلك بدوريات يقوم بها اسطوله بين البحرين والزبارة باستمرار ودام الحصار للزبارة نحو شهر وقد توسط « ميرغني » من بندر ريج بين الشيخ نصر وآل خليفة حقنا للدماء ولكن الشيخ نصر قدم شروطا قاسية للصلح فلم تنجح الوساطة فحل محله الشيخ راشد بن الشيخ رحمه القاسمي شيخ جلفار « راس الخيمة » وحاول تسوية النزاع بين الطرفين بصورة سلمية ولكن محاولاته باءت بالفشل وكان « الشيخ عبدالله بن خليفة بن محمد آل خليفة » يمثل الزبارة في المفاوضات وقد وافق على شروط الصلح الا ان « الشيخ نصر آل مذكور » ومن يمثله رفضوا تلك الشروط وطلب استسلام اهل الزبارة بدون قيد او شرط واشترط له الحق في التحكم برقاب اهلها فلما لم تجد المفاوضات نفعا مع الشيخ نصر طلب الشيخ عبدالله بن خليفة منه ان ينزل قواته واخبره بأن حصاره للزبارة غير مجد ما دامت القوافل وهي تحمل الغذاء تأتي باستمرار من الصحراء . كما انه استفز خصمه بقوله انه من العار عليه وهو يمثل دولة العجم ان يبقى محاصرا للزبارة دون ان ينزل للحرب فأجابه شيخ آل مذكور انه يخشى ان يهرب اهل الزبارة عندما تنزل قواته ولكن الشيخ عبدالله بن خليفة وعده بالصمود والحرب حتى النصر او الشهادة فأنزل

الشيخ نصر قواته بين الزبارة وفريحـة في وقت صلاة الجمعـة وقد اتخـذ هذا الوقت لانشغال الناس باداء الصلاة فيفاجئهم وهم بالمساجد دون ان يعلم ان اجتماعهم هذا ادى الى قوتهم كما ان المصلين في « فريحه » توجهوا بسيوفهم لنجدة اخوانهم في الزبارة وكانت امرأة قد انتدبتهم واستنجدت بهم ضد الغزاة وحدثت المعركة في يوم الجمعة من ايام شهر ذي الحجة ١١٩٦هـ الموافق في ديسمبـر ١٧٨٢م . هكذا فـوجئت القوات الغازية بهجوم مضاد وقوي ضدها فور نزولها وبعد قتال عنيف اجبر الغزاة على الفرار الى قواربهم وقتل الشيخ محمد ابن اخى الشيخ نصر كما قتل ابن اخى الشيخ راشد وبعض الرجال البارزين من جماعة شيخ هرمز فرفع ذلك الانتصار من معنويات آل خليفة ومن معهم من القبائل الذين اتجهوا لفتح البحرين(٢٦) .

وكان آل خليفة في موقف قوي :

١ ـ لتأييد البنعلي لهم .

٢ ـ لموقعهم العسكري المحصن والمحكم حيث توجد القلعة والاسوار ذات الجـدران المتينة والعالية حول المدينة . ووراءها قلعة قوية ذات تحصينات وابراج متينة .

٣ ـ ومما زاد في معنويات جند آل خليفة طلب الشيخ نصر منهم الاستسلام والا يقتلهم جميعا حتى نساءهم واطفالهم وخدمهم وهذا مما اثـار حفيظة القبـائل العـربية فأنضمت لآل خليفة الذين وضعوا النساء والاطفال في القلعة وعينوا عليهم كبار السن من رجالهم ليحرسوهم حتى اذا ما انهزم آل خليفة في المعركة يقتلوهم لكيلا يقعوا في ايدي الاعداء . لذلك قاتل آل خليفة ومن والاهم بكل شجاعـة وقساوة مستخدمين السيوف والرماح بدون رحمة وهم على تلال الرمال التي الفوها وعرفوا مسالكها خارج اسوار الزبارة فأدت تلك الملحمة الى هزيمـة جيش نصر تاركـين قتلاهم وراءهم هاربين الى بقية سفنهم ومنهم نصر آل مذكور الذي ولى الادبار الى بوشهر حيث كان قد ترك ابنه في البحرين .

## أسباب فشل حصار الزبارة :

١ ـ العتوب يحاربون في ارضهم فيستطيعون التحرك الى الداخل بيسر وسهولة بينما العدو في البحر .

٢ ـ وجود قلعة « مرير » والتحصينات الأخرى .

٣ ـ تسرب اسرار الحرب اذ ان انباء وصول حملة نصر آل مذكور قد وصلت لآل خليفة قبل وصول الحملة نفسها فتحصنوا في معاقلهم واتخذوا الاستعدادات اللازمة من سلاح وعتاد وطعام وماء .

٤ ـ سهولة تموين جيش العتوب لأنهم في بلادهم وهي الزبارة سواء من الماء والزاد بينما تبعد مراكز تموين اعدائهم في بوشهر مئات الأميال او في البحرين عشرات الأميال .

٥ ـ استماتة آل خليفـة اذ جعلوا قلة من رجالهم وهم الشيـوخ المتقدمـو السن عند نسائهم واطفالهم واوصوهم اما النصر واما عليهم ان يقتلوا النساء والاطفال جميعا ولا يدعوهم يقعون اسرى ويسبون من قبل اعدائهم . خاصة وان الاعداء طلبوا الاستسلام وسبي نسائهم واطفـالهم وخدمهم جميعـا والا وضعوا السيـوف في

رقابهم حتى يفنوهم عن آخرهم فعظمت المحنة لديهم واستكبروا هذه الشروط فهان عليهم الموت في حفظ عرضهم ونسائهم واطفالهم . فأما حياة كريمة او الردى .

٦ ـ لقد نزلت قوات الشيخ نصر عند اكتمال مد البحر حتى اذا ما نزلت قواته بدأت المعركة . ولما انهزم جنده واتجهوا صوب سفنهم فوجدوا اكثرها قد جزر عنها الماء ولم يستطيعوا الابحار فيها حتى ان هناك جزيرة صغيرة قرب الزبارة تسمى « مجيتيله » وقد سميت كذلك لتجمع بعض الرجال وقد استحرَّ القتل فيهم بهذه الجزيرة فغلب عليها هذا الاسم ، وهرب من هرب منهم الى السفن التي كانت في عرض البحر .

٧ ـ مقتل قائد الحملة محمد ابن اخى الشيخ نصر آل مذكور ، وكذلك مقتل ابن اخى الشيخ راشد بن مطر القاسمي شيخ رأس الخيمة . وسواهما من وجهاء هرمز الذين صحبوا الحملة مما اوهن الافراد المقاتلين في المعركة . ومن المشهور ان الشيخ نصر اشترك في المعركة وسقط سيفه في يد سلامه البنعلي وهرب الشيخ نصر الى بوشهر تاركا البحرين ليس له فيها قوة تحميه .

٨ ـ تعرضت قوات الشيخ نصر المهاجمة لهجومين . الهجوم المضاد من الزبارة . وهجوم من الخلف شنه اهل فريحة عليهم واوقعوهم بين نارين فأضطربت صفوفهم واوقعوا بهم خسائر مما ادى الى تقهقرهم فأنسحابهم مدحورين تاركين قتلاهم .

٩ ـ هرب الشيخ نصر آل مذكور الى بوشهر تاركا حتى سيفه خسره في المعركة فآل الى سلامة بن سيف آل بن علي ثم آل السيف الى الشيخ سلطان بن سلامة ثم الى مريم بنت سيف بن سلطان . واستطرد راشد بن فاضل البنعلي بقوله : ثم وهبتني اياه واهديته مع هذه الابيات من الشعر الى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فقلت :

ان المآثر تنبي ذكر صاحبها        بما عليه من الافعال مذكور[٢٨] .

١٠ـ استخدام الخدعة بتحميل الجمال حمولات لايهام العدو بوصول الامدادات من الطعام والعتاد لأهل الزبارة .

## نتائج المعركة :

وكان انسحاب نصر بمعظم ما بقي من قواته الى بوشهر قد ادى الى سوء الاحوال في البحرين نظرا لضعف حاميتها وكانوا ينتظرون مددا من الشيخ نصر حتى نهاية شهر محرم وعند ذلك علموا عن استعداد العتوب لمهاجمة البحرين خاصة وانه كان في البحرين من العتوب آل فاضل ومن والاهم . وصادف ان حدثت فتنة اهلية في داخل البحرين[٢٩] . فبعضهم يؤيد العتوب وعلى رأس هذا الفريق « احمد بن محمد آل ماجد الجشي البلادي » .

والبعض الاخر يؤيد نصر آل مذكور ويرأس هذا الفريق (الحاج مدن الجد حفصي) وقد كانت له مكانة لدى الشيخ نصر ومن المقربين لديه. هذه الفتنة مهدت لدخول العتوب البحرين. ودخلت الزبارة عهدا جديدا يمتاز بالقوة والمنعة والامن فنشطت تجارتها وزادت خيراتها وحاول نصر آل مذكور شيخ بوشهر القيام باعداد حملة مع الشيخ راشد

بن مطر القاسمي ولكن محاولتهما باءت بالفشل[٣٠].

ومن النتائج لمعركة الزبارة فتح البحرين:

بعد هزيمة الشيخ نصر وفراره الى بوشهر ومحاولاته الفاشلة بتجميع قوة يسترد بها هيبته في الخليج ووصول تلك الاخبار الى الشيخ احمد بن محمد آل خليفة في الزبارة المتضمنة ضعف الحامية في البحرين واضطراب الامن فيها وانشقاق اهلها على انفسهم ووجود بعض الموالين له واعوانهم من العتوب في البحرين قرر مهاجمة البحرين فأخذ يستعد لفتحها حيث اطمأن انه ليس للشيخ نصر القوة لحمايتها او استردادها.

خاصة ان ايران كانت تواجه حربا عائلية بين افراد الاسرة الحاكمة فيها. وبعد ان استكمل الشيخ احمد قوته هاجم البحرين في شهر صفر ١١٩٧ هـ/١٧٨٣ م ولم يجد قوة تذكر لحمايتها وعند دخوله البحرين التجأت حاميتها الصغيرة وعائلة الشيخ نصر ومن والاهم الى قلعة الديوان بالمنامة وقلعة البحرين في الجابور فحوصرتا وقد تم اقتحام قلعة الديوان بالطريقة التالية:

كانت في وسط القلعة عين ماء جارية يشرب منها سكان القلعة ويجري ماؤها في جدول متجها شمالا خارج القلعة والجدول مسقوف وبه عدة فتحات للنور والهواء تعرف (بالتناقيب) ويمر بفريق (المشبر) في المنامة ثم يسقي بستانا داخل المنامة يعرف (بالباخشة) (باغجة) تصغير كلمة (باغ) الفارسية وتعني البستان وكان اهل المنامة يشربون وينتفعون من مياه هذا الجدول الجارية الى البستان والمارة ببيوتهم وقد وضع الشيخ احمد مع الخاصة من رجاله خطة لاقتحام القلعة عن طريق هذا الجدول او المشبر كما كان يسمى فاختار نخبة من رجاله الاشداء يحملون السيوف وامرهم ان يدخلوا القلعة من هذا الجدول او (المشبر) وفعلا دخل الرجال في الجدول وهو يشبه النفق حيث كان مسقوفا ولما وصل اولهم الى فتحة العين فوجىء رجل كان يغتسل في العين بخروج الرجل عليه من جدول الماء وفعلا خرج الرجال من العين واتجهوا للبوابة وفتحوها ودخلت القوات القلعة واستسلمت الحامية التي فيها بمن فيهم النساء والاطفال من عائلة الشيخ نصر فأمر الشيخ احمد بتجهيز سفن لنقل الجميع الى ابي شهر وطلب من الشيخ علي بن خليفة الفاضل ان يصحب الحملة وان يوصلهم آمنين الى اهلهم في ابي شهر.

وهكذا وصلت عائلة الشيخ نصر وجميع اتباعه الى بوشهر مكرمين معززين. واكبر الشيخ نصر هذا العمل الطيب وكان له كبير الاثر في نفوس اعدائه الذين اكبروا فيه هذه الروح العربية الاسلامية.

اما افراد حامية قلعة البحرين وهم الذين تحصنوا من اتباع الشيخ نصر فقد استسلموا بعد مضي شهر واحد على استسلام قلعة الديوان في المنامة وعين الشيخ احمد عليها اميرا يسمى (عجاج) فأطلق عليها قلعة عجاج وعجاج هذا هو جد ابناء عجاج المعروفين اليوم في المحرق، واتخذ الشيخ احمد هذه القلعة سجنا.

وهكذا اطلق على الشيخ احمد بن محمد الخليفة لقب ( الفاتح ) لفتحه البحرين أرخ احدهم هذا الفتح بقوله ( احمد صار في اوال خليفة ) في سنة ١١٩٧هـ الموافق ١٧٨٣م[٣١].

وبدخول احمد الفاتح البحرين عادت البحرين الى الحكم العربي حتى الوقت الحاضر.

ولما استتب حكم الشيخ احمد الفاتح ورتب امور البلد عاد الى الزبارة بعد ان جعل على البحرين اميرا من قبله وهو الشيخ علي بن فارس الشاعر الأديب قال ابن سند : لقد وزر والى اوال الشيخ أحمد بن محمد الخليفة للشيخ علي بن فارس فزيّن تلك الوزارة وجمّل هاتيك الامارة بأرائه الثواقب وسيرته الحسنة وجعل مقره قلعة الديوان الكائنة في المنامة وصار الشيخ احمد يأتي الى البحرين صيفا وفي الزبارة شتاء. واذا حل الربيع كان الشيخ احمد يرتاد (جري الشيخ احمد) وهي روضة مستطيلة في البحرين تخضر بعد سقوط المطر وفيها عين ماء جارية . ومن الاحداث التي عاصرها الشيخ احمد الفاتح في مطلع القرن الثاني عشر الهجري توسع الدولة السعودية الاولى في شرق الجزيرة العربية ومحاربتها لآل عريعر وهم من (بني خالد) في الاحساء والقطيف والتي ادت الى التجاء آل عريعر الى الدولة العثمانية، وقد امدوهم بقوة كبيرة اتجهت لمحاربة الامام سعود في الاحساء والقطيف وذلك عن طريق البحر. ونشبت الحرب بين الطرفين. وبدأت الزبارة تستعد للدفاع عن نفسها، فجمع الشيخ احمد الفاتح قومه في الزبارة والبحرين واخذ يتشاور معهم للدفاع عن بلادهم ففكروا بحفر قناة تصل بين (العديد) و(سلوى) فتجعل من قطر جزيرة ولكنهم استصعبوا الامر واكتفوا بحفر خندق من البحرين الى قلعة (مرير) في الزبارة وطوله نحو فرسخ ونصف، وجمع رجاله وأشار عليهم ان يبني على طرفي هذا الخندق او القناة حصونا او ابراجا لتحمي السفن حتى تصل الى القلعة وتعهد جماعة الشيخ احمد الفاتح من اهل الزبارة والبحرين بتحمل مصاريف الحفر ولما تم انجاز هذا المشروع الدفاعي انتقل الشيخ احمد بن محمد الخليفة (الفاتح) الى جوار ربه في عام ١٢٠٩ هـ الموافق ١٧٩٤ م[٣٢].

# تحقيق تاريخ فتح البحرين

اولا: حج الشيخ (خليفة بن محمد بن خليفة) في شهر ذي الحجة سنة ١١٩٦ هـ الموافق اوائل نوفمبر ١٧٨٢ م

ثانيا: ان ( اول محرم من سنة ١١٩٧هـ يوافق ٧ ديسمبر ١٧٨٢م )

ثالثا: ( اول صفر ١١٩٧هـ يوافق ٦ يناير ١٧٨٣م و ٣٠ صفر ١١٩٧هـ يوافق ٥ فبراير ١٧٨٣هـ )

**وفي اواخر صفر ١١٩٧ هـ الموافق بداية فبراير ١٧٨٣ م كان فتح البحرين**

وفي ذلك قال الشاعر الشيخ محمد بن احمد بن سلمان الخليفة المتوفي سنة ١٢٥٨ هـ في قصيدته التي مطلعها:

| | |
|---|---|
| سقى قصر صبحا من عوادي ربابها | موطن اجدودي كم شيخ ربابها |
| غزينا على البحرين في آخر الشهر | آخر صفر الخير فتحنا ابوابها |
| بألف وميه وسبعة وتسعين صادفت | بدعوة خليفة والاله استجابها |

**اما الادلة على صحة هذا التاريخ فهي:**

١ - ينطبق مع حساب الجمل (احمد صار في اوال خليفة) وهو ١١٩٧ هـ

٢ - يوافق قول (النبهاني) حيث قال: ان الشيخ (خليفة بن محمد) سافر لأداء فريضة الحج عام ١١٩٦ هـ/١٧٨٢ م وتوفي في مكة بعد مرض لم يمهله طويلا بعد اداء فريضة الحج واستطرد النبهاني بقوله ان الشيخ خليفة بن محمد قال لاصحابه وهو في مكة وهو يطوف بالبيت العتيق (ادعوا لاصحابكم فانهم في ضيق) فصادف ذلك الوقت (وقعة الزبارة) فاذا اضفنا لها شهرا او شهرين على حد قول (لوريمر) اذ يقول: وبعد شهر او شهرين من وقعة الزبارة تم فتح البحرين فيصبح شهر صفر ١١٩٧ هـ الموافق فبراير ١٧٨٣ م هو تاريخ فتح البحرين.

رابعا: ان التاريخ الذي ذكره (النبهاني) وهو (حدثت وقعة نصور في ١٨ جمادي الثانية ١١٩٧ هـ/ ويوافق ٢١ مايو ١٧٨٣ م يناقض ما ذكره هو نفسه (اعني النبهاني) حين ذكر ان الشيخ (خليفة بن محمد) حج عام ١١٩٦ هـ وانه قال لاصحابه وهو يطوف بالبيت (ادعوا لاصحابكم فانهم في ضيق) فأرخوا ذلك اليوم فكان يوم هجوم نصر آل مذكور على الزبارة.

فكيف يستقيم ذلك والوقعة في ١٨ جمادى الثانية اي بعد حج عام ١١٩٦ هـ بستة اشهر بينما حصار الزبارة دام شهرا او شهرين ؟

خامسا: قول (واردن ص ٣٦٥): انه تم (فتح البحرين) واستسلم الحرس الفارسي في البحرين وانسحبوا الى بوشهر في ٢٦ شعبان ١١٩٧ هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٨٣ م. وكذلك كمبل ص ١٤١ الذي اعد تقريره ١٨٤٤ قال انه تم فتح البحرين في ٢٨ يوليو

١٧٨٣ م. والتعليق على ذلك: ان قول واردن الذي كان عضوا في المجلس التشريعي في بومباي عام ١٨١٩ م يشابه ما ذكره النبهاني وهو (وقعة نصور) في ٢١ مايو ١٧٨٣ م الموافق ١٨ جمادى الثانية ١١٩٧ هـ فاذا صح ما ذكره النبهاني ـ فيكون ما ذكره واردن معقولا لكننا قدمنا ادلة على ضعف نص النبهاني لذلك فان ما ذكره واردن ليس له دليل تاريخي. ومثل ذلك من كتب ان فتح البحرين حدث في ١٤ اوكست ١٧٨٣ م الموافق ١٦ رجب سنة ١١٩٧ م.. فالخلاصة ان (فتح البحرين) حدث في اواخر شهر صفر ١١٩٧ هـ الموافق بداية شهر فبراير ١٧٨٣ م

**قلعة مرير :**

وتسمى (صبحا) على اسم قلعة العتوب في الهدار التي بناها جدهم (فيصل الجميلي) وهو من (جميلة وائل) من عنزة. وعادة ينتقل الناس فيحملون معهم مسمياتهم فحين انتقل العتوب ومنهم آل خليفة بنوا قلعة في الزبارة على غرار قلعة آبائهم واجدادهم في نجد وسموها (صبحا) بنفس الاسم لقلعتهم في الهدار.

لقد بناها الشيخ (محمد بن خليفة) وجعل في كل جهة منها ثلاثة ابراج عظام وفي كل برج مزاغل للمدافع. ويقول شاهد عيان من المسنين، انا ذرعت ساس هذه القلعة فكانت خمسة اذرع وبيابها مسجد للجمعة مطوي سقفه بالقباب وبها بئر ماء عذب، واتم بناءها الشيخ محمد بن خليفة في سنة ١١٨٢ هـ/١٧٦٨ م وأرخ بناءها بجملة (تمت بعزوعون الله حاميها) سنة ١١٨٢ هـ ( ٨٤٠ + ٧٩ + ١٣٢ + ٦٦ + ٦٥ )

ثم اضاف الشيخ احمد بن محمد آل خليفة (الفاتح) الى هذه القلعة سورين من باب الزبارة الى القلعة: سور من الجنوب مستطيل يمتد من باب البلد شرقا الى القلعة. والثاني يمتد من الشمال ويتصل من القلعة الى باب البلد من الغرب. والطريق يقع بين سورين. وقد حفروا من جنوب البلد خليجا للسفن كالقناة ومسافة هذه القناة او الحفر نحو ميلين وتجرى فيه السفن الصغيرة. لقد شقوا من البحر هذه القناة واحاطوها بسورين يمتدان من البلد الى القلعة وتحمي السفن الداخلة او الخارجة، فيها ابراج على جانبي هذه القناة حتى تصل الى القلعة. ويقول آخر ان داخل قلعة مرير مسجد مقبب ليس في سقوفه حطب بل على شكل قباب (خننة) جمع خن[٣٣] وانه رأى المسجد بقبابه قبل اكثر من ثلاثين عاما اي حوالي ١٩٥٠ م وان الذي بنى هذا المسجد من العراق والذي ارسله (ابن عتاب) ويقع المسجد قرب باب القلعة في المجلس. والمجالس عبارة عن ممرات. اما البئر ففي داخل القلعة عند المسجد والدولاب جنوب الرولا وكان فيه نخل وسدرة في الجلعة من جنوب المقرن الجنوبي القبلي. وفي داخل الجلعة سانية فيها سدرة ونخلة والبيوت أي بيوت الشيوخ مع بيوت الفداوية في الداخل وعددها حوالي خمسة وثلاثين بيتا وقال غيره ان عددهم يتراوح ما بين ٥٠ ـ ٦٠ بيتا وبين هذه البيوت وبين جدار القلعة ساحة والقلعة لها اربع جهات وعليها مدفع طوله ٢١ ذراعا عند الباب وللقلعة جدار او سور عريض يكفي ان يسير عليه ستة انفار كما انه مرتفع جدا اذ يبلغ ارتفاعه نحو عشرة اذرع، وفي جنوب القلعة باب صغير بينما الباب الكبير يقع في شماليها عند المسجد ومقابل هذا الباب الكبير هناك حفر او مدخل للبحر حيث تصل السفن الصغيرة (القلوص) الى قرب الباب

لاجل ايصال المواد الغذائية الى القلعة من السفن الكبيرة (الابوام). وأتم الشيخ احمد الاضافات والتحصينات المذكورة في عام ١٢٠٨ هـ

وفي لمع الشهاب ان احمد الفاتح الذي كان الحاكم على الكل والبحرين بعد ان قال تجار الزبارة ان يبني ابراجا على الماء واكواتا مستطيلة يخلف بعضها بعضا الى قرب سور الزبارة ورتب على كل كوت كذا رجلا على الدوام وجعل في كل كوت اربعة مدافع حتى يمشي الساقي للماء والحطب: ثم يستطرد صاحب لمع الشهاب بقوله: فأتم بنيانها - اي الابراج - وتوفي ذلك العام احمد بن محمد الخليفة (الفاتح) سنة ١٢٠٩ هـ/ ١٧٩٤ م[٣٤].

## احمد بن رزق :

هو التاجر المشهور احمد بن محمد بن حسين بن رزق، وابن رزق او (الرزيجي) كما هو معروف في بعض انحاء الخليج اصله من آل رزق اهل (حرمه) في نجد وانتقلوا منها وسكنـوا في بلد (الغاط) وهم من بني خـالد [٣٥]. وابن رزق من اشهر تجـار الزبارة واوسعهم ثراء اشتهر بكرمه وجوده، ألف فيه الشيخ عثمان بن سند كتابا سماه (سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد) خلد فيه مآثره وجوده. هاجر أبوه رزق من نجد الى الكويت في زمن (الشيخ عبد الله بن صبـاح) وانجب ولده احمد الذي ولد في الكويت على الارجح حوالي عام ١١٥٠ هـ ولما بلغ عشر سنين جلس مع اقرانه فبرز له معاشر في صورة شاعر فأنشده منظوم تلك البلدة ليعلم بذلك رفده وعندما كمل ما عنده قام اليه وكساه برده، ثم لم تمض الا ايام حتى اخذ يبتاع الجواهر وهو مكفول بأبيه وعاش في الكويت البلدة المصغرة وضعا المكبرة بطلعته.. ويستطرد ابن سنـد بسجعه فيقول : هي الكويت بضم الكاف واسكان الياء بلا خلاف على ساحل بحر العدان بفتح العين في ضبط ذوي الاتقان، لم تعمر وورود ابيه العظيم الشأن الا بريهة من زمان وهنا اشارة مهمة الى عمران الكويت فالمعروف انها عمرت في حوالي سنة ١١٢٠ هـ/١٧٠٨ م وفي ذلك اقوال وقد وجدنا ان قاضي الكويت الشيخ محمد بن فيروز الوارد ترجمته والمتوفى ١١٣٥ هـ وهو ممن سكنوا الكويت وتولى القضاء فيها وله تلامذة اجازهم في الكويت.

وهنـا استنتجنا ان احمـد بن رزق ولد سنة ١١٥٠ هـ والثـابت ان وفاتـه سنـة ١٢٢٤ هـ[٣٦] متفق عليه فقد عاش اربعا وسبعين سنة ولذا فان الكويت حين قدوم رزق اليها حديثة العهد في عمرانها.

وقد سكنها بنو عتبة ولهم في عنزة بن اسد نسبة، والذي يظهر انهم متباينو النسب لم تجمعهم في شجرة ام وأب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض وما قارب الشيء يعطي حكمه على الفرض والمقدم على بني عتبة حين ورود ابيه (رزق) اليهم كان الشيخ عبد الله بن صباح وفقه الله للصلاح[٣٧]. وهنا لا بد من تحقيق لهذا النص.

ان رزق لما اتى الى الكويت كان المقدم عليهم الشيخ عبد الله بن صباح وان رزق لما وصل الكويت كان فقيرا فاقترض من الوالي ثلاثة دنانير واغلب الظن ان الوالي المذكور هو الشيخ عبد الله بن صباح وان رزق تاجر بها في اللآلىء فرزقه الله من ذلك ثلاثمائة دينار فتزوج رزق في الكويت والدة (احمد) فأنجبت له احمد في الكويت، وفي سنة ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م هاجر رزق من الكويت الى الاحساء. ومن هذا النص نستدل على ما يلي:

تكاد تجمع تواريخ الكويت على ان الشيخ صباح بن جابر توفي عام ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦ م فلو فرضنا انه عمر ثمانين عاما فيكون مولودا سنة ١١١٠ هـ/ ١٦٩٨ م وعند سكناهم الكويت يكون له من العمر عشر سنوات او حواليها وهذا غير صحيح. فمن تحقيقنا التاريخي استنادا على النص الذي اورده الشيخ ابن سند نقول: ان الشيخ صباح بن جابر توفي قبل ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ م بدليلين: اولهما: ما ذكره الشيخ ابن سند من انه عندما هاجر رزق الى الكويت كان المقدم على بني عتبة الشيخ عبد الله بن صباح وبقي رزق في الكويت وتزوج بها وانجب ابنه احمد من زواجه هذا في الكويت وجمع بها ثروة، ثم هاجر من الكويت الى الاحساء في عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م هذا ما أرخه الشيخ ابن سند بقوله: (وقد انتقل رزق في عام أرخ:(ختام ود وسلام)الى الاحساء من البحرين فما كان الا ايام حتى انتجع ابو هذا الهمام (ابو احمد) ـ ويعني رزق ـ منتجعا في (الزبارة)[٣٨]). هذا احد الادلة التي تثبت ان الشيخ صباح قد مات قبل ١١٩٠ هـ/١٧٧٦ م.

والدليل الثاني: الوثائق الهولندية المؤرخة في ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤ م وهي تذكر ان شيخ الكويت وقتئذ هو الشيخ مبارك بن صباح مما يدل على ان والده قد مات قبل هذا التاريخ[٣٩]، والذي جعلنا نعتمد على هذين النصين هو: ان الشيخ عثمان بن سند المولود في (فيلكة) والذي عاش شطرا من حياته في الكويت وتقلد القضاء في (الزبارة) وتوفي في عام ١٢٤٢هـ ببغداد عن عمر يناهز الثمانين عاما فهو من مواليد ١١٦٥هـ او حواليها وبذلك يكون ابن سند من معاصري الشيخ عبد الله بن صباح وليس ببعيد عهد عن زمن الشيخ صباح بن جابر، ولذا فان الشيخ ابن سند حين يكتب فهو والحالة هذه شاهد عيان كتب عن حوادث عاصرها او قريب عهد بها وانه يترجم لاشخاص عاصرهم[٤٠].

واما التقرير الهولندي فقد كتب بواسطة (نيفهاوسن) مدير شركة الهند الهولندية الشرقية. ونائبه (هولست) المقيم في جزيرة (خارج) وهما يكتبان عن احداث عاصرتهما.

وذكر الشيخ ابن سند انه بعد ان هاجر (ابن رزق) الى الاحساء ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م واستقر فيها كتب له الشيخ خليفة بن محمد لسكنى الزبارة والشيخ خليفة هو الذي ورث مشيخة ابيه (الشيخ محمد بن خليفة) مؤسس الزبارة وباني قلعتها والتي اتم بناءها عام ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨ م وكتب عليها مؤرخا (تمت بعز وعون الله حاميها). فيكون سكنى رزق الزبارة بعد بناء القلعة بحوالي ست سنوات وبعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد بن خليفة الذي قدرنا وفاته سنة ١١٨٦ هـ/ ١٧٧٠ م.

وان (رزق) بعد ان سكن الزبارة توفي فيها بعد سنوات معدودات. وخلف ابنه (احمد) الذي ورث عن والده ثروة طائلة استطاع ان ينميها في اعمال الخير. وقد رحل احمد بن رزق مع آل خليفة الى جزيرة البحرين وسكن موضعا يسمى (جو) وذلك في سنة ١٢١٠ هـ/ ١٢٩٥ م، ثم حدثت احداث في عام ١٢١٧ هـ بسبب استيلاء سلطان مسقط على البحرين فنزل احمد بن رزق البصرة وتوفي هناك سنة ١٢٢٤ هـ في بلد (قردلان) عن عمر يناهز الرابعة والسبعين ورثاه الشيخ بن سند في قصيدة قال فيها:

(وما مات من ابقى له مثل احمد ـ وان مات في راي النواظر قالبه) وترك خمسة من الابناء هم: محمد بن احمد بن رزق ولد في الزبارة سنة ١١٩٥ هـ وهي بلد والده في ايام هي الرياض في النضارة وساد فيها.

ويوسف بن احمد بن رزق ولد في الزبارة سنة ١٢٠٠ هـ

وعبد المحسن بن احمد بن رزق ولد في الزبارة سنة ١٢٠٢ هـ فقدمت القصائد لأبيه في تهنئته.

وخالد بن احمد بن رزق ولد في الزبارة في ايام مستطابة مستجادة وتفاخرت الشعراء بالتهاني. وكانت ولادته سنة ١٢٠٧ هـ وكان يقدمه ابوه على كافة بنيه.

وعبد العزيز بن احمد بن رزق ولد سنة ١٢٠٩ هـ في الزبارة وهو شقيق خالد.

وقد عاصرهم الشيخ عثمان بن سند وأطنب في مدحهم[٤١].

# من علماء الزبارة

## الشيخ محمد بن فيروز :

هو محمد بن فيروز بن محمد بن محمد بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب الوهيبي التميمي نسبا النجدي اصلا الاحسائي سكنا . اول قاض في الكويت توفى سنة ١١٣٥ هـ وهو جد العالم المشهور محمد بن فيروز الاحسائى فقد قال الشيخ محمد بن فيروز عن جده ما نصه : والجد أخذ العلم عن الشيخ يوسف بن عزاز ) . وقال محمد بن فيروز في اجازته لابن عزاز في ارجوزة الاجازة :

وعن ابيه والدى قد أخذ ومن لكل باطل قد نبذا
سيف بن عزاز التقى الزاهد وذاك جد أب أم والدى

كما أن الشيخ محمد بن فيروز اول قاض في الكويت وهو المتوفى سنة ١١٣٥ هـ كما انه تلميذ لسيف بن عزاز فابن فيروز أيضا سبط لوالد ابن عزاز وتذكر الاجازات الكثيرة عن ابن فيروز تذكره بالعلم والفقه والتقى والصلاح . ولد سيف بن عزاز سنة ١٠٨٥ هـ وتوفى سنة ١١٢٩ هـ(٤٢) اما ( عبدالله ) بن فيروز فقد ولد سنة ١١٠٥ هـ وتوفى سنة ١١٧٥ هـ وقيل في ١١٦٥ هـ(٤٣) . وخلف عبدالله ولدا اسمه ( محمد ) ولد سنة ١١٤٢ هـ وتوفى بالزبير سنة ١٢١٢ هـ وقيل انه توفى في سوق الشيوخ(٤٤) وقال ابن سند إن محمد بن عبدالله بن فيروز المتوفى في الزبير سنة ١٢١٢ هـ قد ارسل اليه أحمد بن رزق وهو في ( الزبارة ) هدايا ولما قدم البصرة اجتمع بأحمد وسيره بموكبه الى ( ابي شهر ) عام ١٢١٩ هـ وقد نشر اثاره عمر دفتر دار البصرة كتب فدعي بالكاتب(٤٥) وممن أخذ عنه كثير ومنهم محمد بن علي بن سلوم اخذ عنه الحساب والفقه والاداب والفرائض(٤٦) .

محمد : ولد سنة ١١٤٢ هـ وتوفى سنة ١٢١٢ هـ

فيروز

عبدالله : ولد سنة ١١٠٥ هـ وتوفى ١١٧٥ هـ

محمد : ولد سنة....... وتوفى ١١٣٥ هـ وهو أول قاض في الكويت

فيروز
↓
محمد
↓
بسام
↓
الوهيبي
↓
التميمي
↓
النجدى
↓
الأشيقرى
↓
ثم الاحسائي

## الشيخ ابراهيم العبد الرزاق

حفظ القرآن مع الضبط التـام والاتقان . وكـان له حظ وافـر من المال فـأكثر من الصدقات على الأهل والاقرباء واكرم القريب والبعيد . وكان من أصحاب أبي أحمد من الصغر ومات أبو أحمد قبله وصحب بعده نجله وأقام في الزبارة . وكانت وفاته بعد سنة ١١٨٨ هـ .

## الشيخ راشد بن خنين

من علماء ( الخرج ) الشيخ راشد بن خنين المالكي مذهبا المعاصر والمعارض للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته[٤٧] قال الشيخ ابن سند[٤٨] ( وأما ابن خنين الطائر ذكره في الخافقين النازل من المجد والزين منزله الراس والعين فانه قدم ( الزبارة ) وهي في غاية العمارة باسمة عن محاسن النضارة . اكرمه أحمد بن رزق ووفي عنه الدين وافاض عليه من بره الموائد ووصله بصلات هي عوائد وصيره في معاصريه صدرا فدرس فيها العلوم من منثور ومنظوم فعكف على بابه الخادم والمخـدوم وعمر فيهـا المدارس بعـد ما كن دوارس . وكان في الاسناد مالكها[٤٩] وان كان امامها ومسندها حتى قيل :

متي جـرت مـن ايـادى راشـد حكـم ... حـزت لكـفيـه في اصـحـابـه النعـم
رواشـد حـلة الاديـان حـكـمـتـه ... واحمـد حليـة الافضـال والكـرم[٥٠]
لا شـك انـهمـا بـحـران ذاك جـرى ... علمـا وذا مـوجـه بـالبـذل يلتـطم

وكم لراشد بن خنين غرر وحولها الكتب تحكي الشموس ثم وصفه بقوله :

العـلم عـلم ابـي حـنـيفـة والدهـاء ... كـدهـاء عـمـرو والذكـاء كـأيـاس
لو ابصر النـعمـان حـسـن قـيـاسـه ... لقضى له بـالفـضـل بـين النـاس[٥١]

الف ورتب وابان واعرب وابدع واغرب وجمع واستوعب . واستأسد في العلوم والمنثور والمنظوم فدعي فيها اسد الغابة[٥٢] وتفرس في علم حكم له على جالينوس كـل حكم . شاعرا . برز في الأقطار النجدية بروز البدر في الاقطر الفلكية وفقيها برع في الاحكام الفقهية واغرب في النوادر اللغوية واعرب عن المشكلات النحوية حتي خلنا ابا عمر[٥٣] اذا نظر . تخرج على علماء بلده عظماء محتده وتصدر اعلام علمانها فدعته امامها . عمر المدارس بالاسناد والمجالس بالطرائف والامداد .

مـهـمـا بـدا في صـدر مـدرسـه ... ابـدى بـمـقـولة لنـا زفـرا[٥٤]

ناظرا في الشعر الصفي نظار شعره المختار الصفي وبرز في المعاني على السكاكي[٥٥] والجرجاني[٥٦] وامام المكتين في دقائق الاصلين .

فما زال ابن خنين يفيد ويجدد ما درس ويعيد . وتوفي ابن خنين قبيل وفاة احمد بن رزق[٥٧] وحين وفد على إبن رزق الفاضـل الامام في بلده ( الزبـارة ) التي هي كدار السلام عبدالله بن محمد الكردى[٥٨] ولابن خنين قصيدة مطلعها :

خـليـلي هـل لي فيكمـا مـن مـرافق ... صـديـق صـدوق في المـودة رافـق

وفيها حكم واداب الا أن فيها غلوا اخرجها عن مذهب السلف في اخلاص العبادة(٥٩) . ووجدت صورة وثيقة باملاء الشيخ ابن خنين ومنقولة بخط الشيخ عبد العزيز بن صالح العيرامي أحد قضاة بلدان الخرج سابقا مؤرخة في رجب ١١٧٣هـ وصورة وثيقة باملاء الشيخ عثمان بن عبدالله بن جامع الحنبلي القاضي في محروسة الزبارة بتاريخ ١٢٠١ هجرية تتضمن وقفا في الاحساء على صاحب الترجمة وكتب حفيده عن وجود كتاب مخطوط لديه من كتب الحنفية وقد كتب عليه ( انتقل في ملك الفقير راشد بن محمد بن خنين بالابتياع الشرعي سنة ١١٩٦ هـ . واورد ابن بشر في الجزء الثاني من عنوان المجد نقلا عن محمد بن سلوم ونقله هذا العالم عن الكلام راشد بن خنين قاضي في الخرج وهذا يفيد ان من قبيلة المردة من بني حنيفة من بكر بن وائل كما قالها الشيخ محمد بن سلوم عن راشد بن خنين كما يفيد ان تولى القضاء في أحد بلدان الخرج والله اعلم(٦٠) .

## حجي بن حميدان(٦١)

## ( ت : ١١٩٢ هـ )

هو فضيلة الشيخ حجى ( بكسر الحاء وتشديد الجيم . وحميدان بضم الحاء ) . والظاهر انه نجدى الأصل وانه من هذه القبائل النجدية التي سكنت في اطراف بلدان ايران مما يلي العراق وولد في بلاد فارس فشب سلفيا صحيح العقيدة فقرا في بلاده فلما أراد التروى والاستزادة من العلم توجه الى الاحساء فقرأ على الشيخ عبدالله بن فيروز ثم على ابنه العلامة محمد بن فيروز . فكان فقيها فرضيا عربيا . ولما سكن أهل قطر الزبارة طلبوا من الشيخ محمد بن فيروز أن يرسل لهم اماما وخطيبا ومعلما فأذن لحجي بن حميدان في ذلك فكان لهم كذلك الى أن توفاه الله في الزبارة عام ١١٩٢ هجرية .

## صالح بن سيف بن احمد العتيقي

عالم جليل من علماء الزبارة ولد سنة ١١٦٣ ثم انتقل الى الزبارة وتركها مع أحمد بن رزق الى قردلان في البصرة وسكن عنده ثم عاد الى الاحساء واخذ العلم عن فضيلة الشيخ محمد بن فيروز التميمي ثم سكن الزبير وكانت وفاته في الزبير سنة ١٢٠٠ هـ .
أما والده سيف بن أحمد العتيقى : فقد قال عنه الشيخ محمد بن فيروز انه فقيه حافظ وتوفى سنة ١١٨٩ هـ وهو ابن ٨٣ سنة (٦٢) .

## بكر لؤلؤ احمد البصري القطري الزباري ت : ١٢٠٢هـ

وهو من علماء الزبارة ومن سمار احمد بن رزق . قرأ القرآن واتقنه اتم الاتفاق وطلب الرزق فاتجر بالاموال فحسنت له الأحوال وعمر المساجد للعبادة وارسل الصدقات الى الحرمين الشريفين . نشأ في البصرة وكان بيته موئلا للعلماء والاولياء ومن سماره النبلاء الاشراف كريما يضرب بكرمه الامثال حتى اذا كان عام الحصار على البصرة أى محاصرة

الزند لها سنة ١١٨٨هـ انتقل الى الزبارة وسكنها وهي في عنفوان العمارة فسلك فيها العدل واوسع فيها البذل فعظمت له فيها الرتبة وحسنت له فيها الاثار قال فيه الشيخ ابن سند :

وانـي لا القـى له الدهـر مـشـبـهـا ولو انـه مـن السـهـي بـيـمـيـنـه

بني في الاحساء من البحرين مدرسة أو مدرستين ومسجدا في الزبارة كالبدر في رأى العين . متى ذكر له عالم ارسل اليه وافاض من بره عليه وروى عنه لا تلذ له المسامرة الا بالمذاكرة لا سيما بالفرائض والحساب . توفى بعد الالف والمائتين مردفة بسنتين(٦٣) .

## ابو الحسن السندي الحنفي

من العلماء الذين أمضوا فترة من حياتهم في اواخر القرن الثانى عشر الهجرى في الزبارة وهو من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق اجازه وسمع عنه بعض العلوم من منثور ومنظوم وحصلت لابى الحسن عند شيخه ابن عفالق رتبة عليه . حتى دعي بامام بعض المدرسين في الاحكام فكان لا يعتمد على راو الا بتوثيقه واجتمع عليه للاقراء ما اجتمع على مالك و نافع . وقد أخذ من علماء مكة المكرمة . كما تخرج عليه جملة من العلماء ـ يقول الشيخ ابن سند ـ وقد ذكرت منهم في كتابي ـ الغرر في وجوه القرنين الثانى عشر والثالث عشر ـ جملة تدل على غزارة علم الشيخ ابو الحسن السندى ومازال يروى العلم حتى قدم الزبارة على احمد بن رزق فاكرمه اكراما يليق بمقامه . ثم انتقل الى البصرة فتولى التدريس بالسليمانية وانتهت اليه فيها الرياسة العلمية وارسله وزير بغداد وزاد ذكره وهنا يقول الشيخ ابن سند واتصلت به وقرأت عليه فهو من اجل مشايخى الاعلام وتوفى سنة ١٢١٦ هـ . وممن أخذ عنه وروى عن علومـه ولده عبد الوهـاب المعدود من جملة الاصحـاب لأحمد رغم صغـر سنه . ورحـل الى البصـرة فاشتهر عبد الوهاب بن أبى الحسن السندى هناك وولاه ثويني بن عبدالله زمام احكامها فألف وحقق . وانعزل بعد عزل ثويني فقدم الى ( هجر ) ومات بعد اشهر وذلك سنـة ١٢٠٠ ودفن في مقبرة الزبير قريبا من تربة طلحة الخير واما ولادته في ١١٤٦ هـ(٦٤) .

## عثمان بن جامع الانصاري الخزرجي القطري البصري دارا

قرا كأبنه احمد الجامع على بن فيروز وتصدر المذهب الحنبلي وولي القضاء فحسنت سيرته وقرأ في مكة والمدينة الفقه والآداب والمواريث والحساب ورحل ابنه الى اليمن ومكة والمدينة فأدرك من العلم ما طلب ومن سماره بكر بن أحمد البصرى القطرى الزبارى ت ( ١٢٠٢ هـ ) .

كان عبدالله بن عثمان بن جامع البليغ في المحاضر والمجامع قد أخذ النحو عن شيخنا الكردى وقال فيه هو اجل من قرأ عندى وروى زنده من زندي ، وعن ابن فيروز نجله

لذريتها وربما تغني عن ذكر حدوده ثم ان الرجل الحاج بكر محمد وقف
بيته ايضا الواقع في سكة المزيب في فريق المزايدة من كوت الاحساء
المحروسة المعروف سابقا ببيت الدوغان على مولانا الرجل الشيخ
راشد بن محمد المزبور وعلى اولاده على الترتيب المذكور والجهة المزبورة بما للبيت
من حدود وحقوق التوابع واللواحق والارض والسقوف والابواب والحيطان
والطريق وقفا مؤبدا وجعل الشيخ راشد الوقف المذكور له ولمن يأتي من
بعده في البيت ان اراد ان يسكنه او يؤجره ويأكل غلته فله
بتغلبه وهو الناظر على الوقف بيت ... المصالح من يستحقه
من ذريته ابدا جرى ذلك من المالك الحاج بكر في حال صحة من عقله
وبدنه ونفوذ تصرفه شرعا فحين ذلك وثبت وحكم بصحته ولزومه
كما تبه الرقيق عثمان بن عبدالله بن جامع الحنبلي القاضي في محروسة
الزبارة عفا الله عنه وعن جميع المسلمين جرى ذلك ١٦ شعبان المعظم
شهود الحال شهد بذلك الفقير الى الله عبدالله بن عبدالله بن فلاح بن عمير
شهد بذلك الرقيق احمد بن راشد بن محمد الكويتي وقد جرى بصحة بما هو
مذكور اقرارا شرعيا وانا الفقير الحاج بكر بن الملا احمد بن الملا عبدالله
القاري
وليعلم بان المساكن الوقف المذكور في يا ... حال التاريخ
هو عبدالله بن عثمان لكونه من ذرية الشيخ راشد وكون جده اباً له
[illegible] يشتركه غيره املاه بعلمه الرقيق عبدالله بن عبدالرحمن بن
عمير سامحه الله ذو التمييز ...

محمد ... وحده

جميع ما ذكر في هذه الورقة نقل من اصله ولقوابي الاصل بقلم الشيخ
الرقيق عثمان بن عبدالله بن جامع الحنبلي القاضي في محروسة الزبارة
... المشار اليه ... من هذا الى آخره نقله الرقيق الشيخ عبدالله

وثيقة تبين ان الشيخ عثمان بن عبدالله بن جامع الحنبلي القاضي في محروسة الزبارة في ١٦ شعبان سنة ١٢٠١هـ

علمي الفقه واصله وعن ابن ختين وغيرهم من علماء البحرين رحل عبدالله بن عثمان بن جامع الى اليمن وكملت له الدراية بعدما حصلت له الرواية داخل مكة والمدينة ورحل الى الشام وحلب فأدرك ما طلب وتدبر معاني القران وصحب أحمد ( ابن رزق ) يساعده مساعدة الساعد وكان هو وأبوه في قيد الحياة كما نرجوه بدو وحضر ومن سماره وجملة أخباره بكر بن أحمد البصرى القطرى الزبارى ( ت ١٢٠٢ هـ )(٦٥) .

والتقط من زهر نثره ونظمه ابوه الأمام عثمان بن جامع بهجة صدور المجامع وزهرة رياض الجوامع وعمدة المستفتين في النوازل الانصارى الخزرجي نجارا القطري البصرى دارا هو والله نادرة عصره وناظرة بلده وقطره قرأ كأبنه على ابن فيروز وعرف به ما يحرم وما يجوز وروى الاحاديث النبوية وتصدر في الحنبلية وشرح اخصر المختصرات في المذهب شرحا ابان عن فضله واعرب وولي القضاء فحسنت سيرته ورحل الى مكة وطيبة وقد قرأ الفقه والآداب والمواريث والحساب ففاق مشايخه بلا ارتياب لذكائه .

ووجدت صورة الوثيقة باملاء الشيخ عثمان بن عبدالله بن جامع الحنبلي القاضي في محروسة الزبارة بتاريخ ١٢٠١ هجرية متضمن وقفا في الاحساء على صاحب الترجمة .

أحمد بن عثمان بن جامع : ولد في سنة ١١٩٤ هـ في بلدة الزبارة وتوفى سنة ١٢٨٥ هـ وقرأ على ابيه الشيخ عثمان وغيره ولعله ادرك الشيخ محمد بن فيروز شيخ والده في البصرة فقرأ عليه وولي قضاء البحرين بعد والده فباشرها مدة طويلة حتى اذا كان عام ١٢٥٨ هـ وافته المنية(٦٦) .

## أحمد بن درويش العباسى

## ( ت ١٢١١ هـ )

قال الشيخ ابن سند ان التاجر ابن رزق شاد له بعد وروده بأيام مدرسة في البصرة كالنظامية في دار السلام ولكنه توفى قبل أن يقرر ويدرس وذلك سنة ١٢١١ هـ وأرخه الشيخ ابن سند في عام ( جاه غرب )(٦٧) .

وممن عاصره بكر بن احمد البصري القطري الزبارى المتوفى ١٢٠٢ هـ والذى سكن الزبارة بعد محاصرة الزندى لها ١١٨٩ هـ ان بنى احمد بن رزق فيها مسجدا كالبدر فى رأى العين(٦٨) .

نشأ في البصرة فى بيته الذى كان ركنا تستلمه العلماء وانتقل من نواحيها عام الحصار محاصرة الزند لها عام ١١٨٩ هـ وسكن الزبارة وهى في عنوان العمارة فبنى ( احمد بن رزق ) فى الأحساء من البحرين مدرسة أو مدرستين ومسجدا فى الزبارة كالبدر في رأى العين متى اذا ذكر له عالم ارسل اليه وزادت المذاكرة في الفرائض والحساب(٦٩) .

## عبدالله بن محمد الكردى البيتوشي

## ١١٦١ ـ ١٢٢١ هـ

## ١٧٤٨ ـ ١٨٠٦ م

ولد ونشأ في بيتوش التابعة لقضاء دشت في كردستان والأرجح ولادته في الفترة ما بين

١١٣٠ ـ ١١٤٠ هـ وهاجر الى بغداد ثم قصد الاحساء لطلب العلم وبقي الى ١١٧٨ هـ ثم خرج منها ثم رجع اليها ثانية سنة ١١٨٠ هـ ثم عاد الى بيتوش ثم عاد الى الاحساء سنة ١١٩٠ هـ ومات في الاحساء وقيل مات في البصرة ١٢١٠ او ١٢١١ هـ(٧٠) له كتب منها ( حاشية على شرح الفاكهي لقطر ابن هشام وهو مخطوطة في متحف البحرين وثلاثة شروح لها طبع احدها وله نظم حسن في ديوان مخطوط وللشيخ محمد الخال كتاب ( البيتوشي ) مطبوع في بغداد وله كتب أخرى اوردها كوركيس عواد وفي كتاب شعراء هجر ص ١٨ ـ ٢٢(٧١) .

ومن شعره قوله :

انـي احـن الى العـراق ولم اكـن لا مـن رصـافتـه ولا مـن كـرخـه
لكـن في بـغـداد لي مـن قـربـه اشهى الي من الشبـاب وشـرخـه(٧٢)

وممن اخذ النحو عن الشيخ الكردى البيتوشي الشيخ عبدالله بن عثمان بن جامع فقال فيه هو أجل من قرأ عندى وروى زنده من زندى(٧٣) .

فالبيتوشي اديبا رحل الى بغداد والشام وهو غلام فأستفاد وافاد وبحث وحقق فى أدب البحث والمناظرة حتى كأنه ابن الحاجب في التصريف ولو ان التفتازاني وعبد القاهر والسكاكي والخطيب رأوه لأقروا له في التلخيص والتهذيب حتى غدا ابن سينا في البرهان والبلاغة والبيان والمعاني . ودخل الكوفتين ووصل الأحساء قدم الزبارة وملك زمام ادبها حتى اصبح مضرب الأمثال ببلاغته ثم آل الى اوال ( وهى جزيرة البحرين ) فألقى عصا الترحال ثم انتقل الى البصرة البلدة البرية البحرية(٧٤) وفيها توفى سنة ١٢١٠ أو ١٢١١ هـ .

## محمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائي

## ( ت ١٢٢١ هـ )

أديب وشاعر قرأ العلوم اللغوية حتى صار فيها القاموس ، والحكمية اذعن له جالينوس والنحوية حتى لحق ابن مالك والحديث حتى كأنه مالك والفقه والفتاوى والبيان والمعاني حتى برز على الجرجاني وعلم الاعداد . تخرج في بلده ومصره على ابيه وغيره من العلماء الاعلام وتأوب بهم فبلغ في الأدب الذروة في مدارس معمورة بالدارس والدروس احيت من العلم الدروس كان اباؤه واجداده علماء كرماء قرروا العلوم وحرروا المنثور والمنظوم وبحثوا فحققوا .

قدم محمد بن احمد بن عبد اللطيف الاحسائي الشافعي ( الزبارة ) وهي ذات نضارة بعد ما هجر جاره قاصدا الحج لا التجارة وهي ذات نضارة ووجوه ناضرة وعيون باناسي الكرم ناظرة وفيها احمد بن رزق فأجتمع بفضلائها وتأدب به عامة ادبائها حتى صار لادباء تلك النوادى بمنزلة الشمس والقمر فما ارتحل عنها بعدما قضى الوطر منها مصحوبا بكرم ابن رزقها متمنيا العود اليها حانا حنين الورق عليها فوصل الى قطر عمان فأكرمه سكانه ثم الى البيت الحرام وزيارة مسجد النبي عليه الصلاة والسلام وروى عن افاضل العلماء ثم انصرف الى بلده واقام قريبا من سبعة اعوام ثم رجع فأجتمع بالهمام القمقام ( احمد بن محمد ) فاجزل عطاءه واحله في بحبوحة داره فانتجع من عمان

منتجعا الى ان توفاه الله تعالى وندبته العلوم وبكى عليه المنثور والمنظوم فرثاه الشيخ ابن سند :

| | |
|---|---|
| لعمرى لقد ضم الثرى منه كوكبا | اذا ما بدا اخفى سناه الكواكبا |
| فقلت ودمعي كالسحاب مؤرخا | يقود له فضل من الله واهبا |
| | (١٢٢١ هـ) |

ولما بلغ احمد بن رزق نعي محمد بن احمد بن عبد اللطيف الشافعي سنة ١٢٢١هـ ومن خواص اصحابه المعاصرين له ابان شبابه عثمان بن سليمان بن داود البصري[٧٥] .

## فضيلة الشيخ عبد العزيز بن موسى الهجرى

### ( المتوفى ١٢٢٣ هـ )

شاعر وأديب تأدب بالفاضل ابن ختين العالم الأديب الذى اتخذه احمد صدرا في مجلسه لأدبه ونسبه لا لثروته ونشبه . رحل الى البصرة وبغداد والحرمين وما والاهما من البلاد نقلته القدرة الربانية من نجد الى ( الزبارة ) من أرض قطر فأذاع علمه ونشره وتأدب بعلمه عبد العزيز فأخذ عنه النحو والمعاني والأدب ولقي بعده شيخنا الكردى ( عبدالله بن محمد الكردى البيتوشى ) المتوفى سنة ١٢٢١ هـ . اشبه بالمعرى في جزاله المبانى وبأبن الفارض في دقة المعاني .

وممن اخذ عنه ( محمد بن عبد اللطيف ) وهو ممن حظي بصحبة احمد ( بالزبارة ) قال ابن سند : وقرأت عليه النحو والصرف وشرح سقط الزند للمعرى وبعض دواوين العرب وذلك في الاحساء اعاد الله عمارتها وسمعت منه القرآن بروايته حفص عن عاصم وجملين بالأدب فكان والله البحر علما له المؤلفات البديعية ومما قرأت له من تأليفه شرح نظمه في حروف المعاني[٧٦] .

## فضيلة الشيخ علي بن فارس

هو الأمام اللوذعي والهمام الالمعي ممن اصطفاه احمد بن رزق في الزبارة فكم كسى سائلا ببرده تحرجا من جبهة رده فمدح بالقصائد فكم منح الفوائد حتى قال فيه لسان الحال :

| | |
|---|---|
| اليه تناهى المجد والعز والبذل | فكل ثناء تم فهو له اهل |
| يحن الى الاعطاء منه عاشق | الى الخل لما ان جفاه ذلك الخل |

ولقد كان بدرا للمعاشر والمجالس . انه شاعر وأديب شبهه بالصاحب بن عباد ، وابن العميد الكاتب بلغ من الحكمة غايتها حتى صار أيتها سريع الترسل ان انشأ رسالة فهى للبلاغة حاله . فهو الكامل في أدبه[٧٨] والجلال في اتقانه[٧٩] والربيع بطيب اوانه[٨٠] والأمام في برهانه[٨١] ثم وزره والي اوال ( أحمد بن محمد ) فزين تلك الوزارة وجمل هاتيك الامارة بأرائه الثواقب وسيرته هي السيرة العمرية ومن جلسائه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن موسى الهجرى[٨٢] .

بنفس ابيه : وشيمة عربيه ، وهمة اسكندريه ، وسياسة شرعيه ، ومكرمة حاتميه ،
وشجاعة علويه ، فمازال كذلك والايام له مساعده ، واجفان الردى عنه راقده ، محفوفا
بسحاب ، هم لدوائر اللطافة اقطاب ، ولجيد الضرافة سحاب ، ولرياض النباهة ازهار ،
ولافلاك السماحة اقمار ، ومن اصطفاه للمجالسه ! وارتضاه للموانسه ، ورآه معدنا لاكثير
اسراره ، ومطلعا لفصص اسماره ، وصدقة للتالي اخباره ، الهمام الالمعي ، والامام الاوذعي ،
( علي بن فارس ) الذي هو في كل فضل فارس ، الجاني ثمر التنا ، إذ كان لاصوله غارس :
يطلع ارق من انفاس الصب : واميل من معاطف الغصن الرطب : يفيء من افيائه الادب
افيح في ، ونشر مكارمه فطوى ذكر طي : وبسط وامتزج بها اخلاق : الطف من نظرات
الاحداق : فكم كسى سائلا ببرده محرجا من جبهه وزده على ان هذه الطباع : من طباع
احمد بلا نزاع : ان مدح بالقصائد : فكم منح الفوائد : حتى قال فيه لسان الحال

يتعاطون للنشيد فنونا ، فيهزون كل روح وراح
وقف الوجد منهم كل طبع ، لم يزل للندى كثير ارتياح

وبالجملة فهم كواكب ؟ ولكن ليسوا بغوارب ! وبدور عوارف ، ولكن غير كواسف !
وشموس معارف ! لاينسخها ليل سادف ! ورياح كرم ولكنها على الاعداء عواصف ،
وافضال شرف على ذوي الامال عواطف ؟ بافيا مروة كل منها ظليل وارف ؟ ولكنهم
انما شرفوا بشرفه ! والتقطوا الدر من صدفه ! وتعرفوا الى الفضائل بتعرفه ! لاسيما من
صار وزيره ، ونصيحه ومشيره ! الذي اوجبت النباهة تصديره ! ورفعت الرياسة مكانه !
وزان به الفضل بعد مازانه ! وذلك حين عرف احمد قدره ! واشاع في اندية الشرف ذكره !
وزره ( والي اوال احمد بن محمد ذو الكمال ) فزين تلك الوزاره ! وجمل وجوه هاتيك
الاماره ، باراء هي السبعة السياره لابل البدور الثواقب ! وعزمات هي البوارق في
السحائب ؟ وسيرة هي السيرة العمريه ! وان كانت في النسبة علويه ! ولا عجب في ذلك
يوجد ان فضل علي باتباع احمد ! ومن اصحابه الكمل ! وجلسائه الذين بهم لايعدل
( عبدالعزيز بن موسى الهجري ) هو بان تعطر الاذيال اردية الاخبار بذكره حرى !
فرع الادب وهو ابن عشر ، وبرع فيه حتى ضاع منه النشر ، ان نظم فاق من نظم ! او نثر
اراك نثر المجرة في الظلم ! كم وشح فيه ورشح ؟ وكنى في مجازه وصرح ! واشار الى دقائقه

فضيلة الشيخ علي بن فارس الذي وزره والي اوال الشيخ احمد بن محمد الخليفة ( احمد الفاتح ) بعد فتح البحرين ١١٩٧هـ .

# الشيخ محمد بن عبد اللطيف

## ( ت ١٢٢٣ هـ )

وهو ممن أخذ عن عبد العزيز بن موسى الهجري ووقعت بينهما مـراسلة واجازات ومساجلة وان الشيخ محمد بن عبد اللطيف ممن حظي بصحبة أحمد بن رزق . واما عبد العزيز الهجري فهو ذو أدب غزير وكتابة برز بها اتم تبريز وقد اتخذه احمد صدرا في مجلسه متصدرا بنسبه وأدبه توفي عام تاريخه ( أدب يفور = ١٢٢٣ هـ ) . وقيل انه قد قضى قبله بعام فأرخت وفاته ثانيا في عام ارخه ( راعد هد ) ١٢٢٢ هـ[٨٣] .

أما الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي فهو الذى نزل عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الاحساء بعد خروجه من البصرة والزبير[٨٤] .

# عبد العزيز بن صالح الموسى

احد العلماء الذين عاصروا بعض علماء الزبارة وأخذوا عنهم . فقد ذكر الشيخ ابن سند ان الشيخ عبد العزيز بن صالح الموسى قد تأدب مع الشيخ راشد بن خنين والشيخ البيتوشي والشيخ محمد بن عبد اللطيف الاحسائي كما عثر على نسخة خطية من كتاب ( القلائد ) في احدى مكتبات الكويت . وقد توفي سنة ١٢٢ ١هـ[٨٥] .

# الحاج عثمان بن الحاج سليمان بن داود البصري[٨٦]

## ١١٧٠ ـ ١٢٢٦ هـ

من خـواص أصحاب ابن رزق ومحمـد بن عبد اللطيف الشـافعي المتـوفي سنـة ١٢٢١ هـ المعاصرين له ابان شبابه فهو عثمـان بن سليمان بن داود البصـرى دارا والقرشي التميمي نسبة ونجارا نشأ في البصرة مسقط رأسه ومطلع نير شمسه قرأ فيها جملة من الأدب ونظم الشعر كما هي سجية العرب وكتب مفاخر به من كتب وبرع في فني النظم والنثر براعة سلمها له أهل العصر مع الاشتغال بالتجارة ثم نقلته الأقدار الى الديار الهندية بعدما استولى على بلدة الزندية ( سنة ١١٨٩ هـ ـ ١١٩٣ هـ ) واقام في هاتيك الاوطان لا ينطبق له جفنان ثم رجع للبلاد فطاب له انسه وذلك بعد ملاقاة الرجال . برز في البصرة كما تقدم فصدره فضله على اقرانه وقدم وقد كفله ابوه وجده الى أن ساعده اقباله وجده وبرز على الاقران مجده .

وعاشر أحمد بن رزق في شبابه فصدره في اصحابه اذ كان يخصه بالمشاورة ويصطفيه للمحاورة فيجده في المحاورة ذا محاضرة وربما استشاره وهو في الزبارة فيرسل اليه بجواب يكشف عن مخدراتها النقاب وبالجملة في الذكاء لا يوجد في سواه .

( لله در ذكي حاذق يقظ ـ يكاد يفهم قبل النطق ماهجـا ) له النثر الرايق الحسن والشعر الحسن . قال ابن سند ( وعاشرته فما الذ واطيب وسامرته فما الطف وانسب

واما النسب فشذور الذهب وكذا الآداب والرسائل كاللآلىء والانشاء بديع فقال فيه ابن سند :

صاحبته وبلوته فوجدته ابدا اذا طاش الجليس موقرا

نزل (الزبارة) وما نزل بل ارتفع بالفضل وكمل وزار الحرمين وصحب في سفره اليهما محمد بن عبد اللطيف الشافعي فحصلت له مع ابن عبد اللطيف اجازات هي البلاغة والفصاحة مجازات ولد بعد الألف والماية قريبا من السبعين وتوفي سنة ١٢٢٦ هـ وممن عرف بصحبته ناصر بن سليمان بن سحيم .

## عثمان ابن سند النجدى الوائلي البصري

عثمان ابن سند النجدى الوائلي البصري : شاعر اديب ومؤرخ قديم من نوابغ المتاخرين اصله من عرب عنيزة ولد بنجد وسكن البصرة وتوفي ببغداد ولد ١١٨٠ هـ ١٧٦٦م وتوفي ببغداد ١٢٤٢هـ/١٨٢٦ دفن بجوار الشيخ معروف الكرخي عليه الرحمة(٨٧) وكان ابن سند قاضي قضاة الزبارة .

وعين مديرا لمدرسة في البصرة كان قد بناها محمود بن عبد الرحمن الرديني النجار البصري المتوفي ١٢٢٩ هـ والذي ولاه ثويني بن عبدالله وامر على البصرة حاميا لها عن بني كعب وكانت هذه المدرسة في البصرة شقيقة الازهر هي التي درس فيها ودارها الشيخ عثمان بن سند(٨٨) .

من هاجر من البصرة والزبير من مناطق حضارية فلهم خلفية حضارية كالتجارة والزراعة فالزبارة وارثة البصرة في هذه الفترة(٨٩) .

ومن كتبه ( الغزو في وجوه القرن الثالث عشر ) نحا فيه منحى سلافة العصر و ( مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود ) ويقع في نيف وستمائة صفحة ضمنها أخبار الوالي العثماني داود والي بغداد من ١١٨٨ الى ١٢٤٢ هـ .

و ( نظم الجوهر في مدائح حمير )

و ( نظم مغنى اللبيب ) نحو خمسة الاف بيت

و ( نظم الورقات ) لامام الحرمين ( وشرحه )

و ( شرح الجوهر الفريد على الجيد ) شرح قصيدة له في العروض

و ( اصفى الموارد ) فى احوال الشيخ خالد النقشبندى

و ( تفهيم المتفهم شرح تعليم المتعلم )

و ( سبائك العسجد فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد )

و ( اوضح المسالك فى فقه الامام مالك )

و ( الغرر في جبهة بهجة البصر ) شرح لمنظومة له سماها ( بهجة البصر ) في مصطلح الحديث .

و ( نخبة الفكر ) وهي منظومة فى الحديث ومجموعة رسائل منها ( فكاهة السامر وقوة الناظر )

و ( نسمات السحر ) و ( روضة الفكر )

## محمد بن علي بن سلوم

(ت : ١٢٤٦ هـ)

ولد في نجد ثم سافر الى هجر من البحرين واخذ عن محمد بن عبد الله بن فيروز المتوفى سنة ١٢١٢ هـ . اشتهر العالم محمد بن سلوم بغزارة علمه بالفلك ودقائق الحساب معرفته بالانساب لقد أخذ عن ابن فيروز في الحساب وحرر عنه الفقه والاداب فاكتسب الصدارة واعتمد عليه واقتبس من آرائه فادرك علم الفرائض حتى صار فيه العلم . قال الشيخ ابن سند قد أخذت عنه طرفا من علم الفرائض والفلك وعاشرته فى مدة اعوام فله الفضل علي في العلم .

كما كان احمد بن رزق يجله وبحاله فاذا نطق اسكت سائر الفرق واذا كتب انقاد له الادب ولد عام ١١٦٠ هـ وهو فى سربال الحياة رافل على حد قول معاصره الشيخ ابن سند .

## ناصر بن سليمان بن سحيم[٩٠]

حوض علم لا ينزف فهو لعقد الأدب التيمية ، تمكن من العلوم العقلية والنقلية وعني بجميع الشوارد الأدبية ازدهرت به للحديث رياض واستطرد الشيخ ابن سند بقوله : صحبته في الصغر وذاكرته وشملتني دعوته ، اخذ العلم عن الجامع بين المعقول والمنقول والآتي في فن الأصول وهو الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز وعن ابنه عبدالوهاب وغيرهما كأبن سلوم في الحساب وشيخنا الكردي في النحو والقرآن وشيئا من فن الأصول والميزان وروى البخارى وشرحه ارشاد السارى اجازه وسماعا عن شيخه قدوة المحدثين وحافظ عصره في الاحسائيين واخذ عنه المعاني والبيان والبديع والنحو حتى برز على الأقران والعروض والقوافي .

انتقل من نجد يافع السن فوصل الى هجر وقصد زيارة احمد فزاد في اكرامه ثم انتقل الى البصرة قبة الاسلام فتبوأ من مقاعدها الصدر وتولى شيخه المدرسة بين يديه الى ان انتقل شيخه بالرحمة فتصدر بعده فيها ناهجا منهجه ، وقد حضر الشيخ ابن سند دروسه مرارا فوجده بحرا زاخرا ومن ملازميه الأديب عبدالله بن عثمان بن جامع .

## السيد عبد الجليل الطباطبائي

هو عبد الجليل بن ياسين بن ابراهيم بن طه بن خليل الطباطبائي الحسيني البصرى مولدا[٩١] ، وهو الشاعر المعروف المتوفى في الكويت في سنة ١٢٧٠ هـ وفي رواية ١٢٧٢ هـ وله ديوان شعر مطبوع وهو من تجار اللؤلؤ القديمين الذين يتاجرون مع حلب وله رسالة بهذا الصدد ارسلها لآل عبود في حلب عن اللؤلؤ وهم اشهر تجار اللؤلؤ هناك[٩٢] .

ومن يقارن بين شعر ونثر السيد عبد الجليل مع معاصريه من الشعراء والأدباء يجعله في الطليعة بينهم والسيد عبد الجليل ينتمي نسبه الى الدوحة النبوية الهاشمية فهو

السيد عبد الجليل بن السيد ياسين البصري بن السيد ابراهيم بن السيد طه بن السيد خليل بن السيد محمد صفي الدين . يتصل نسبه الى السيد ابراهيم الملقب طباطبا بن السيد اسماعيل الملقب بالديباج بن السيد ابراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عنهم اجمعين .

ولد في البصرة عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م ونشأ فيها ودرس على يد علمائها الاجلاء قراءة القرآن والكتابة وعلوم الدين واللغة ومن اساتذته الذين اجازوه الشيخ محمد بن فيروز العالم المشهور وقد اجازه عام ١٢١١ هـ والاجازة ارجوزة مثبتة في الديوان .

غادر البصرة الى الزبارة وهو في ريعان الشباب ولا نعرف بالضبط في أى سنة هاجر شاعرنا الى الزبارة ولكن نستطيع القول انه استوطنها قبل ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م . ودليلنا على ذلك قصيدته التى قالها وهو في البصرة عند غزو سلطان مسقط ( السيد سلطان بن أحمد ) للزبارة والبحرين عند اشتداد الحصار على الزبارة فى اوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٠٢ الموافق في اوائل شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٧ هـ ومطلعها :

| | |
|---|---|
| لك الله انـي مـن فـراق الحـبـائـب | لفـي لاعـج بـين الاضـالـع لاهـب |
| هـواى زبـارى ولسـت بـكـاتـم | هـواي ولا مـصـغ للاح وعـائـب |
| اتـوق اذا هـب الجـنـوب لانـنـي | اشـم الغـوالي من هـبـوب الجنـائـب |
| نـأت دار من اهـوى وعـز قـرارهـا | ومن دونهـا قـد حـال قـرع الكتـائب |
| وسـد طريق القـرب منهـا بخـمسـة | وخمسـين جـلا مـن عـظام المـراكب |

ومن وصفنا للزبارة نجد ان شاعرنا قد استوطنها وهي في عصرها الذهبي وقد برز نبوغه وشاعريته بها وأول نظم قاله كان سنة ١٢١١ هـ ـ ١٧٩٦ م وسنه حينئذ ٢١ سنة مؤرخا ميلاد ابنه البكر عبد الوهاب بقوله :

| | |
|---|---|
| وخـير الفـال أرخـت لأبـنـي | بـطلعـتـه بـشـير السـعـد بـاهـى |

وظل شاعرنا مستوطنا الزبارة حتى هجرها اهلهـا الى البحرين عـام ١٢٢٥ هـ ـ ١٨١٠ م فانتقل معهم الى المحرق احدى مدن البحرين .

وكانت للسيد عبد الجليل مكانة عند امراء البحرين ومنهم الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة والشيخ أحمـد بن سلمان بن أحمـد آل خليفة والشيـخ عبدالله بن احمـد آل خليفة وقد تولى مراسلاتهم الرسمية كما مثلهم فى المؤتمـر الذى عقد بـين امارات الخليج وبريطانيا في رأس الخيمـة عام ١٨٢٠م المـوافق ١٢٣٥هـ كما كـانت له اليد الطولى بين ادباء عصره . واصبح مرجعا وحكما فيما يحصل بينهم من خلاف وتوطدت بينه وبين رجالات عصره الصلات .

وفي عام ١٢٥٩ هـ/ ١٨٤٣ م انتقل من البحرين الى الكويت حيث وافاه الأجل هناك عام ١٢٧١ هـ/ ١٨٥٤ م[٩٣] .

ويتبين مما قدمناه ان الشاعر قضى زهرة حياته فى الزبارة ثم البحرين حيث هاجر من البصرة الى الزبارة وعمره يزيد على العشرين وغادرها حين استـولى عليها آل سعـود فانتقل الى البحرين وظل فيها الى سنة ١٢٥٩ هـ ثم استوطن الكويت[٩٤] وعمره سبعون سنة وعاش فيها احدى عشرة سنة ومات فيها عن عمر يناهز الاحدى والثمانين سنة رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته .

وطبع ديوانه مرتين مرة في مطبعة البيان في بومبي الهند سنة ١٣١٥ ومرة فى احدى دور الطباعة فى القاهرة وفى شعره تطريز وتخميس وتشطير وتضمين والغاز كما ان فيه ما يشير الى حوادث تاريخية معاصرة فهو وثيقة تاريخية للفترة التى عاشها فى القرن الثالث عشر وهو صورة صادقة للحياة التى كان اناس ذلك العهد يحيونها من مختلف النواحي الاجتماعية والأدبية والسياسية .

## الشيخ احمد بن على بن مشرف التميمي

## ( ت : ١٢٨٥ هـ )

كان عالما محدثا ورعا ناطقا بالحق ولد في قرية الزبارة وتولى قضاء الاحساء أيام الامام فيصل بن تركي آل سعود وكان مكفوف البصر . وقد صنف في علم الأصول ودافع عن عقيدة التوحيد ومذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصائد تفيض حرارة وايمانا وقد سكن قرية الزبارة فى قطر مدة من الزمن ثم عاد الى الاحساء[٩٥] .

# من علماء الزبارة

| المصادر | سكناه مدينة الزبارة | سنة الوفاة | اسم العالم |
|---|---|---|---|
| البسام ١/ جـ ١/ص ٢١١ | قدم من فارس الى محمد بن فيروز فقرا على والده، وسكن (الزبارة) وصار إماما وخطيبا ومعلما وتوفي فيها. | ١١٩٢ هـ | حجي بن حميدان |
| ابن سند. ص ٦٠ | من البصرة انتقل عام حصار الزندي، ١١٨٩ هـ الى (الزبارة) وبنى مدرسة في الاحساء او مدرستين وبنى مسجدا في (الزبارة) | ١٢٠٢ هـ | بكر بن احمد البصري القطري الزباري |
| ابند سند. ص٣٨ و ٦٠ | من البصرة عاصر احمد بن بكر البصري المتوفي عام ١٢٠٢ هـ | ١٢١١ هـ | احمد بن درويش العباسي |
| ابن بشر، ١/ ١١. وابن سند، ٧و٢٤ و٤٤ | قدم (الزبارة) وعاصر احمد الفاتح ثم رحل ونزل عليه محمد بن عبد الوهاب في الاحساء بعدما خرج من البصرة والزبير. | ١٢١٢ هـ | محمد عبد اللطيف الشافعي الاحسائي وابنه عبدالله |
| ابن سند، ص ٧٠ و٧٥ و٨٠ و١٠٣ مشاهير علماء نجد، ص١٨٨، والاعلام ٧/ ١٢٠، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص ١٣٣ | من البصرة الى (الزبارة) ارسل عليه احمد (ت ١٢٢٤ هـ) | ١٢١٢ هـ | محمد بن عبد الله بن فيروز |
| مشاهير علماء نجد ص ١٩٥. وابن سند، ص ٣٦. | ولد في ١١٦١ هـ سكن بغداد ثم البصرة والاحساء ثم (الزبارة) فالبحرين والبصرة وتوفي في الاحساء. | ١٢٢١ هـ | عبدالله بن محمد البيتوشي |

| المصادر | سكناه مدينة الزبارة | سنة الوفاة | اسم العالم |
| --- | --- | --- | --- |
| البسام. علماء نجد. ٣٥٢/٢. والد هلوي. فيض الملك المتعالي ٩/٢ (مخطوط). | ولد سنة ١١٦٣ هـ ثم انتقل الى (الزبارة) وانتقل مع احمد بن رزق من الزبارة الى قردلان بالبصرة وسكن عنده ثم للاحساء وأخذ عن محمد بن فيروز ثم سكن في الزبير وتوفي فيها. اما والده سيف بن احمد العتيقي، قال الشيخ محمد بن فيروز انه فقيه حافظ وتوفي سيف سنة ١١٨٩ هـ وهو ابن ٨٣ سنة. | ١٢٢٣ هـ | صالح بن سيف العتيقي |
| ابن سند، ص ٢٣. | من البصرة ثم رحل الى نجد ثم (الزبارة) | ١٢٢٣ هـ | عبد العزيز بن موسى الهجري |
| ابن سند، ص ٢١ | عاصر احمد بن رزق في (الزبارة) وزر للشيخ احمد الفاتح في البحرين | | علي بن فارس |
| ابن سند، ص ٢٦ | قدم (الزبارة) فعمر المدارس | | راشد بن خنين |
| ابن سند، ص ٥٣ | ولد سنة ١١٧٠ هـ وخرج من البصرة ١١٨٩ هـ بعد هجوم الزنديين على البصرة فسكن (الزبارة) ثم عاد اليها. | ١٢٢٦ هـ | عثمان بن سليمان بن داود البصري |
| ابن سند، ص ٥٦ | من نجد ولد في الزبير فاخذ عن علامة الاحساء محمد بن فيروز سافر الى هجر ثم الى (الزبارة) في عهد احمد ثم البصرة وتوفي في الزبير. | ١٢٢٦ هـ | ناصر بن سليمان بن سحيم |

| المصادر | سكناه مدينة الزبارة | سنة الوفاة | اسم العالم |
|---|---|---|---|
| الاعلام، ٤/٣٦٧ سبائك، ٦٦ ـ ٦٩ | ولد سنة ١١٨٠ هـ بنجد وسكن البصرة ودرس في مدرسة البصرة بناها الرديني (المتوفي سنة ١٢٢٩ هـ) وهي شقيقة الازهر وصار مديرها ثم ذهب الى (الزبارة) وصار قاضي قضائها. عاصر احمد بن رزق في (الزبارة) ورحل الى بغداد وتوفي بها. | ١٢٤٢ هـ | عثمان بن سند البصري |
| ابن سند، ص٨٧ والدهلوي فيض الملك المتعالي ٣/٢٠٧ مخطوط. | ولد في نجد ثم سافر الى هجر واخذ عن محمد بن عبد الله بن فيروز المتوفي ١٢١٢ هـ وتوفي محمد بن علي بن سلوم في الزبير ١٢٤٦ هـ | ١٢٤٦ هـ | محمد بن علي بن سلوم |
| ابن سند، ص ٩٦ | عاد (للزبارة) الى احمد فاكرمه | | ابو الحسن السندي الحنفي |
| ابن سند، ص ٩٨ | اقام بـ (الزبارة) | | ابراهيم آل عبد الرزاق |
| مقدمة ديوان الخل والخليل للسيد عبد الجليل. | ولد سنة ١١٩٠ هـ بالبصرة وممن اجازه محمد بن فيروز عام ١٢١١ هـ ـ غادر البصرة (للزبارة) قبل سنة ١٢١٧ هـ ـ وهو اديب وشاعر ومن تجار اللؤلؤ في الكويت. | ١٢٧٠ هـ | السيد عبد الجليل الطباطبائي |
| سبائك العسجد ، ص ٥٨ ، ٦٠ | ولي القضاء في الزبارة بعد ان قرا على بن فيروز ورحل الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وقرا الفقه والآداب والمواريث والحساب . | | عثمان بن جامع الانصاري الخزرجي القطري الزباري |
| نفس المصدر ص ٥٩ ٦٠ | رحل من الزبارة الى اليمن ودخل مكة والمدينة والشام وحلب فادرك من العلم ما طلب وصاحب احمد بن رزق . | كان حيا ١٢٢٤ هـ | عبدالله بن عثمان ابن جامع |

| اسم العالم | سنة الوفاة | سكناه مدينة الزبارة | المصادر |
|---|---|---|---|
| احمد بن عثمان بن جامع | ١٢٨٥ هـ | ولد سنة ١١٩٤ هـ في (الزبارة) وقرا على عثمان ولعله ادرك محمد بن فيروز بالبصرة. ولي قضاء البحرين بعد ابيه مدة طويلة ثم وقع فتن بين امرائها فرحل الى بلدة الزبير وتولى قضاءها الى ان توفي سنة ١٢٨٥ هـ ثم تولى القضاء بعده اكبر ابنائه محمد فلم يتم سنة حتى توفاه الله | ابن سند. ص ٥٨ البسام. علماء نجد ٧٥/١ الدهلوي. فيض الملك المتعالي ١٨/١ (مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف) |

# الهـــوامش

( ١ ) والدليل على ذلك قول الشاعر وهو يؤرخ عهد آل حميد وهم من بني خالد في الاحساء والقطيف فيقول:

رأيت البدو آل حميد لما تولوا احدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا كفانا الله شرهم (طغى الماء)

وجملة (طغى الماء) بالف مقصورة وتحسب ياء ١٠٩١ هـ واذا حسبت (طغا) بالف ممدودة فيصبح التاريخ ١٠٨٢ هـ وهو تاريخ وصول العتوب في الاحساء ثم دخولهم قطر. ط=٩+غ=١٠٠٠+ى=١٠+١= ١+ل= ٣٠+م= ٤٠+ا=١= ١٠٩١ هجرية الموافق ١٦٨٠ ميلادية.
وحين احتساب طغا بالالف الممدودة برقم (١) بدلا من الياء رقم (١٠) فيصبح التاريخ ١٠٨٢ هجرية الموافق ١٦٧١ م. وانتهى حكم آل عريعر سنة ١٢٠٧ هـ فارخها الشاعر بقوله. وتاريخ الزوال اتى طباقا - (وغار) اذ انتهى الاجل المسمى.. وبناء على تاريخ هجرتهم من نجد نستطيع ان نقول ان جميع الرجال الذين هاجروا من نجد لا يمكن ان تمتد اعمارهم الى اكثر من عام ١١٤٠ هجرية فعليه كل من عاش بعد هذا التاريخ يكون من مواليد ما بعد تلك الهجرة او انه كان طفلا عند هجرتهم.

( ٢ ) القول الى الشيخ عبد الله بن خالد الخليفة.

( ٣ ) ابن سند ، سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد، ص١٨، طبع بومباي، ١٣١٥ هـ.

( ٤ ) انظر بحث (من تاريخ العتوب خلال المخطوطات والوثائق) نشر في مجلة الوثيقة. العدد الاول، يوليو ١٩٨٢م

( ٥ ) القول للشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة.

( ٦ ) واردن ، نبذة عن تاريخ قبيلة العتوب العربية.

( ٧ ) البسام . علماء نجد، ٣٢٩/١ و٣٣٠. اما الشعر الذي اورده الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة فقد ذكره الدكتور ابو حاكمة في هامش محاضراته ص٩٣ نقلا عن تاريخ الكويت ص١٠٥

(٨) الوثيقة هولندية في الارشيف الهولندي بدنهاخ ، وصورتها نشرت في العدد الثالث من الوثيقة ضمن تقرير كتبه (نيفاوسن) مدير شركة الهند الهولندية في خارج سنة ١٧٥٤م/ ١١٦٨هـ ، ترجمه الدكتور سلوت للانجليزية . وانظر الوثيقة العثمانية رقم د.م ١١١ ص٧١٣ وفيها (كان للعتوب بنادق وان سفنهم مزودة بمدافع) وهذا يخالف ما اوردته الوثيقة الهولندية .

(٩) الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة خواله ال صباح . فخاله الشيخ صباح بن جابر وقد انجب خليفة هذا ولدا سماه عبد الله ولعبد الله ذرية الى الان . انظر هامش التحفة النبهانية ص١٢٨ .

الشيخ احمد بن محمد بن خليفة وشقيقه الشيخ مقرن وخالهما عمرو بن سنان من ال مبارك من ال بن علي . انظر هامش التحفة النبهانية ص١٢٨ .

الشيخ مقرن بن محمد بن خليفة خوالة من ال بن علي كما اوردنا . وقد انجب محمد ، ومحمد هذا هو الذي سجن في مسقط في برج الجلالي نسبة الى موزة الجلالي .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن خليفة وشقيقه الشيخ علي خوالهما من ال بوكوارة من ال الشيخ . انظر هامش التحفة النبهانية ص١٢٨ .

اما الباقون فجدهم علي بن لحدان .

(١٠) ابن منظور ، لسان العرب ٤/٣١٥ ، بيروت ١٩٥٥ ، والفيروز ابادي قاموس المحيط ٢/٣٧ ، مصر ١٣٥٢ هـ .

(١١) الطباطبائي ، عبد الجليل ياسين ، روض الخل والخليل ديوان السيد عبد الجليل (المقدمة) ح ، وسبائك العسجد ، للشيخ ابن سند ص١٩ و٢٠ .

(١٢) ميرزا حسن خان ، تاريخ ولاية البصرة ، ص١٢٢ طبع مركز دراسات الخليج بجامعة البصرة سنة ١٩٨٠ ، ابن سند ، عثمان ، مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود ص٣و٤ طبع بومباي سنة ١٣٠٤ هـ

(١٣) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ١/٧٦ . ولوريمر ، دليل الخليج الجزء ٣ القسم التاريخي ، ص ١١٩٦ . والحيدري ، عنوان المجد (مخطوط) ص٨٧ و٨٨

(١٤) ابن سند سبائك العسجد ، ص١٨

(١٥) مجلة العربي ، العدد ٢٤٨ .

(١٦) تاريخ ولاية البصرة ، ص ١١٨ . ولوريمر ، دليل الخليج (القسم التاريخي) ج٤ ، ص١٨٣٩ و١٨٤٠ ، والعزاوي ، ج٦ ، ص١٣ عن تحفة عالم .

(١٧) ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص١١١ و١١٤ و١١٥ و١١٨ و١٢٣ ، وابن سند ، سبائك العسجد ، ص٢٣ ـ ١٠٣ . وعبد الرحمن ال الشيخ ، مشاهير علماء نجد ، ص١٨٨

(١٨) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص٩٥ و١٠٩ و١١٣ و١٢١ . تاريخ نجد ٢/٧٦ و٧٧ ، مصر ١٩٤٩ .

(١٩) تقرير جونز عن التجارة في بلاد العرو فارس عام ١٧٩٠م/١٢٠٥هـ انظر ابوحاكمة ، في تاريخ الكويت ج١/ق٢/ص٢٠

(٢٠) لوريمر ١/ ٧٨٧ . ود . ابو حاكمة ٨٤

(٢١) انظر منتخبات سالدنها ، ص٤٠٩ ، ومحاضرات الدكتور ابوحاكمة ص٨٥

(٢٢) تقرير من لاتوش المقيم التجاري في البصرة رقم ٢١/ ٢٩ مجلد ١٧ رقم الارسال ١٢٣٠

(٢٣) لاتوش ، ٢١/ ٢٩ ـ ١٧/ ١٢٣٠ ـ ولوريمر ، ٣/١١٩٧ . وبلكريف ص٦

(٢٤) راشد بن عبدالرحمن الفاضل (مخطوط ص ٤)

(٢٥) واردن ، ص١٢ .

(٢٦) ن . م . س ص١٣ و١٤

(٢٧) لوريمر ٣/١١٩٧ والنبهاني . ص١٢٤ و١٢٥ .

(٢٨) النبهاني . ص ١٢٦ . وراشد بن عبد الرحمن الفاضل (مخطوط ص ٤)

(٢٩) ن . م . س . ص١٢٤ ـ ١٢٦

(٣٠) لوريمر ٣/١١٩٧

(٣١) النبهاني. ص١٢٦ و١٢٧
(٣٢) لمع الشهاب ١٨٥ ـ ١٩٩ (مخطوط)
(٣٣) مقابلة مسجلة مع الشيخ جاسم بن عبد الله ال خليفة المولود سنة ١٢٩٩ هـ ومقابلة مسجلة مع الشيخ احمد بن عبد الله الغتم المولود سنة ١٩٢٤ هـ اما تاريخ بناء القلعة ففي سنة ١١٨٢ هـ حيث ارخت في جملة (تمت بعز وعون الله حاميها)

ت= ٤٠٠ + م = ٤٠ + ت = ٤٠٠ + ب = ٢ + ع = ٧٠ + ز = ٧ + و = ٦ +
ن = ٥٠ + ا = ١ + ل = ٣٠ + ل = ٣٠ + هـ = ٥ + ح = ٨ + ا = ١ + م = ٤٠ +
ى = ١٠ + هـ ٥ + إ = ١ = ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م

| تمت | بعز | وعون | الله | حاميها |
|---|---|---|---|---|
| ٨٤٠ | ٧٩ | ١٣٢ | ٦٦ | ٦٥ |

(٣٤) لمع الشهاب ، (مخطوط) ص ١٨٥ ـ ١٩٩
(٣٥) ابراهيم بن صالح بن عيسى. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص١٣٣. طبع الرياض ١٩٦٦م
(٣٦) ابن سند ، سبائك العسجد، ص١٠٣. وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص١٣٣
(٣٧) ن . م . س ص١٨
(٣٨) ن . م . س ص١٨
(٣٩) صورة الوثيقة وترجمتها نشرت في العدد الثالث من الوثيقة
(٤٠) الزركلي ، الاعلام ، ٣٦٧/٤، وابن سند، ص٦٦ و٦٩
(٤١) ابن سند ، ص١١٠ ـ ١١٤

(٤٢) البسام ، علماء نجد ، ٣٢٩/١ و٢٣٠ و٦٢٧/٢ طبع مكة ط١/ ١٣٩٨ هـ
(٤٣) ابراهيم بن صالح بن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١١٠ ، والبسام علماء نجد ، ٦٢٨/٢
(٤٤) الزركلي ، الاعلام ١٢٠/٧ وسبائك العسجد ص ٧٠/ ومشاهير علماء نجد ص ١٨٨
(٤٥) ابن سند سبائك العسجد ص ٧٥ ـ ٨٠
(٤٦) ابن سند سبائك العسجد ص ٨٧
(٤٧) البسام : علماء نجد ١٩/١ طبع مكة ١٣٩٨ هـ .
(٤٨) سبائك العسجد ص ٢٦ ـ ٣٤
(٤٩) نسبة الى الامام مالك بن انس امام دار الهجرة .
(٥٠) راشد هو المترجم له . واحمد هو ابن رزق .
(٥١) النعمان هو الامام ابو حنيفة النعمان الذى ياخذ بالقياس وهو من اصول الفقه .
(٥٢) اسد الغابة : كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن حجر .
(٥٣) ابا عمر
(٥٤) زفر : من تلاميذه .
(٥٥) السكاكي
(٥٦) الجرجاني
(٥٧) توفي ابن رزق ١٢٢٤ هـ
(٥٨) سبائك العسجد ص ٣٤ .
(٥٩) البسام : علماء نجد ٥٦٧/٢ .
(٦٠) ابن بشر . عنوان المجد ١٠/٢ ط١/ مكة ١٣٤٩ هـ
(٦١) البسام . علماء نجد ٢١١/١ ( كله نص ) .
(٦٢) البسام . علماء نجد ، ٣٥٢/٢ . والدهلوى ، فيض الملك المتعالى (مخطوط) ٩/٢ .
(٦٣) سبائك العسجد ص ٦٠ ـ ٦٢

(٦٤) سبائك العسجد ص ٩٤ ـ ٩٦ .
(٦٥) سبائك ص ٥٨ ـ ٦٠
(٦٦) البسام ، علماء نجد ، ١٧٥/١ .
(٦٧) سبائك العسجد ص ٣٨ و ٤٠
(٦٨) سبائك ص ٦٨ .
(٦٩) سبائك ص ٦٠ .
(٧٠) الحلو عبد الفتاح ، شعراء هجر من القرن ١٢ ـ ١٤ ، ص ١٨ ، ط٢ بيروت ١٩٧٩ م .
(٧١) الاعلام ١٣١/٤
(٧٢) هامش مشاهير علماء نجد ، ص ١٩٥ ، ط ٢ ، ١٣٩٤ هـ للشيخ عبد الرحمن ال الشيخ .
(٧٣) سبائك ص ٥٨ ـ ٦٠ ويعني بزنده ( سقط الزند للمعرى ) .
(٧٤) سبائك ص ٣٦ و٣٧ .
(٧٥) سبائك العسجد ص ٤٤ ـ ٥٣ .
(٧٦) سبائك العسجد ص ٢٣ و ٢٤ .
(٧٧) سبائك العسجد ، ص ٢١ .
(٧٨) الكامل في ادبه : يعني الكامل لابن المبرد .
(٧٩) الجلال في اتقانه : يعني الاتقان في علوم القران للسيوطي .
(٨٠) الربيع بطيب اوانه .
(٨١) الامام في برهانه
(٨٢) سبائك العسجد ، ص ٢٣ .
(٨٣) سبائك العسجد ص ٢٤
(٨٤) ابن بشر ، عنوان المجد ، جـ ١ ، ص ١١ ، ط ٣ ، الرياض .
(٨٥) العرب ، الاستاذ حمد الجاسر ، ج ٥ و ٦ س١٧ / ١٩٨٢ .
(٨٦) سبائك العسجد ص ٥٣ ـ ٥٦ .
(٨٧) الزركلي ، الاعلام ٤٠ / ٣٦٧ .
(٨٨) ابن سند ، سبائك العسجد ٦٦ ـ ٦٩
(٨٩) الاعلام ، ٤ / ٢٠٦
(٩٠) سبائك العسجد ص ٥٦ ـ ٥٨ .
(٩١) الزركلي ، الاعلام ٢٧٦/٣ ، طبع بيروت .
(٩٢) سيف مرزوق الشملان ، تاريخ الغوص ١ / ٢٦٢ .
(٩٣) الشيخ عبدالله بن خالد ال خليفة ، روض الخل والخليل . المقدمة . وفي الاعلام انه توفي ١٢٧٠ / ١٨٥٤م . انظر ٢٧٦/٣ .
(٩٤) الاعلام ٢٧٦/٣ . وفي هامش الاعلام ، بروكلمن ٧٩١/٢ ومعجم المطبوعات ١٢٧٠ والموسوعة الكويتية ٩١٥ .
(٩٥) من الشعر القطرى ديوان محمد بن عبد الوهاب الفيحاني وماجد الخليفي واحمد بن علي بن شاهين ، ط٢ ، ١٩٦٩ ، قطر .
وانظر ترجمته في نزهة الابصار ص ٩١٨ . والاعلام للزركلي ١٨٢/١ . والتحفة للاحسائي ومعجم المؤلفين ٢٣/٢ . ومجلة العرب للاستاذ حمد الجاسر ١٠٥٣/٥ .

# البحرين في القرن السابع الميلادي

**بقلم : د. حسين أمين ـ العراق**

**مع بدايات القرن السابع الميلادى كانت البحرين وهى الجزء الواضح من الوطن العربى الكبير ، تحت النفوذ الفارسى وكان حاكمها العربى المنذر بن ساوى التميمى ، وتتميز فى هذه البلاد قبائل عبد القيس والأزد ووائل وتميم ، وكانت البلاد قد دخلتها اليهودية والنصرانية كما شاعت فيها ديانة الأوثان ، وان البحرين وهى الجزيرة المشهورة فى منطقة الخليج العربى كانت من أنشط المراكز التجارية فى هذه المنطقة ويشتغل أهلها فى صناعة السفن وركوب البحر والزراعة والقيام بعملية التوريد والتصدير كمعمل أهلها وسطاء فى تسهيل المعاملات التجارية العربية والعالمية ، ان هذا ان دل انما يدل على اصالة حضارية وتقدم اجتماعى .**

ومما لا شك فيه ان نشاط البحرين الدينى والسياسى والاجتماعى ، كان واضحا منذ أن وصلها الصحابى الكريم العلاء الحضرمى حاملا رسالة خطية من الرسول الكريم ( ص ) يدعو أهل البحرين الى الاسلام ، وقد لبى أهل البحرين دعوة الرسول ( ص ) وأعلنوا اسلامهم دون أية مشاكل ، وهذا دليل على تسامحهم ونضوج فكرهم وصفاء نفوسهم ونزعتهم للتخلص من حالة التخلف الدينى والتردى الفكرى ، وهذه مزايا قل أن نجدها فى أية مجموعة واجهت الدعوة الاسلامية ، وقد تكون هذه

المزايا تعبيرا للأصالة الحضارية التى ورثها شعب البحرين عبر تاريخهم الحضارى السحيق .

وبعد فترة قصيرة ، نظم أهل البحرين وفدا برئاسة عبد الله بن عوف الأشج ، وسار الوفد بانتظام حتى وصل المدينة واستقبلهم الرسول ( ص ) فى مسجده الكريم ، وبقى الوفد مدة عشرة أيام فى المدينة ، يلتقون بالرسول ( ص ) ويسائلونه فى أمور الدين والمبادىء الاسلامية واننى ارى أن فى تكوين الوفد ومسيرته ووجوده فى المدينة وملازمته للرسول ، تعبير آخر للتنظيم الاجتماعي للجماعة التى كانت تستوطن البحرين فى تلك الفترة الزمنية ، كما أن مساءلة الرسول فى أمور الدين والتباحث معه ( ص ) دليل على اهتمام هذه الجماعة بالافكار الجديدة وبالمبادىء التى لم يعهدوها من قبل وليتعرفوا عليها بشكل منتظم وليتثبتوا من تلك المبادىء ويستخلصوا منها الدروس المعبرة ارضاء لضميرهم وخدمة للجماعة الاسلامية ، وكان الرسول ( ص ) معجبا كل الاعجاب بوفد البحرين وبرئيس الوفد الذى قال فيه الرسول ( ص ) : فيك خصلتان يحبهما الله فقال عبد الله : ما هما يا رسول الله قال : الحلم والأناة ، وكما احتفى الرسول الكريم بالوفد وخصه بعنايته ورعايته ، تفضل ( ص ) وأمر بتقديم جوائز للوفد تقديرا وتكريما لجهودهم واخلاصهم للدين الاسلامي .

وبعد وفاة الرسول ( ص ) ارتد من ارتد من أهل البحرين وانقسموا بين ملتزم وثابت على اسلامه ومرتد سرت اليه نغمة ، ان محمدا ( ص ) يجب أن لا يموت ، ووجه الخليفة ابو بكر ( رض ) جيشا بقيادة العلاء الحضرمى ، الذى يعرف البلد وأهله ويعرف كل زاوية من زواياه كما يعرف مواطن قوته ونقاط ضعفه ، وبعد جهاد جهيد نجح العلاء الحضرمى فى استعادة البحرين الى حظيرة الاسلام وعادت فى هذه المرة قلعة حصينة للمسلمين ونقطة انطلاقهم للفتوح العظيمة .

ولعل من الجدير بالذكر أن العلاء الحضرمي كان أول من فكر ونفذ الانطلاق من البحرين الى فتح بلاد فارس ، حيث حشد الجموع وعهد بقيادة جموعه للجارود بن المعلى والسوار بن همام وخليد بن المنذر ، ولأول مرة فى التاريخ الاسلامى يعبر جيش عربى اسلامى الخليج العربى منطلقا من قاعدته فى البحرين وتدور معارك شديدة انتصر فيها المجاهدون المسلمون على الفرس فى عقبة الطاووس ، ولكن الفرس بعد تلك المعركة تجمعوا وتمكنوا من قطع الطريق على المسلمين الى البصرة كما تمكنوا من اغراق العديد من سفنهم وبذلك وقع المسلمون فى مأزق شديد ، فأمر الخليفة عمر ( رض ) بعزل العلاء الحضرمى لقيامه بهذا العمل دون اذنه على ما يبدو ، كما طلب الخليفة من القائد عتبة بن غزوان نجدة المسلمين ، فارسل عتبة جيشا بقيادة أبى سبرة بن ابى درهم ، والذى نجح فى الوصول الى جيش خليد بن المنذر والانتصار على الفرس وانقاذ المسلمين والعودة الى البصرة بغنائم كثيرة .

ويحدثنا التاريخ أن العلاء الحضرمى بعد عزله توجه الى البصرة وقد مرض فى هذه الأثناء وتوفى سنة ٢٥ هـ واصدر الخليفة عمر ( رض ) أمرا بتولية عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين ويهمنا من هذه الفترة أن البحرين كما قلت أصبحت نقطة انطلاق المسلمين للفتوحات العظيمة ، حيث انطلق المسلمون من البحرين لفتح اصطخر فى بلاد فارس كما صار المسلمون يوجهون

أنظارهم نحو الهند حيث وصل بعضهم الى القريب من بومباى ، كما وصلوا الى جزيرة سيلان وفتحوها ، وفى عهد الخليفة عثمان ( رض ) تمردت اصطخر مرة ثانية فارسل والى البحرين جيشا انتصر به على الاعداء وتمكن من فتح اصطخر والقضاء على الجيش الفارسى فى تلك المدينة .

هذه صورة لواقع البحرين الاستراتيجى للانطلاقة الاسلامية وأهميتها فى نشر الدعوة الجديدة . ومما لا شك فيه كما يبدو لى أن القرن السابع الميلادى هو الفترة التاريخية المتميزة للبحرين والتى تعتبر من اهم مراحلها عبر العصور والأجيال ذلك أن البحرين فى هذه الفترة أى القرن السابع الميلادى تحولت من موقع الحماية والاستحواذ الأجنبى الى التحرر والانعتاق واصبحت مركزا مهما من مراكز الانطلاق للفتوح وانصهرت انصهارا مثاليا لأنها واكبت وساهمت وتأثرت بعملية انتشار الاسلام وبحالة الردة بعد وفاة الرسول وحركة الفتوح العظيمة وبالثورات والفتن وبنشاط الخوارج والحركات السياسية التى ظهرت فى العالم الاسلامى .

ولعل أكثر الحركات اثرا فى البحرين فى القرن السابع الميلادى والذى نحن فى صدده هى حركة الخوارج التى ظهرت اثر معركة صفين ، والخوارج هم الذين يقولون باختيار الخلفاء من الذين ترتضيهم الجماعة الاسلامية دون النظر الى الطبقة التى ينتمون اليها وهم الذين طرحوا شعار ( لا حكم الا لله ) . ولعل من أشهر رجال الخوارج الذين كان لهم دورهم التاريخى فى منطقة البحرين فى القرن السابع الميلادى هو نجدة بن عامر الحرورى الحنفى ٣٦ ـ ٦٩ هـ « ٦٥٦ ـ ٦٨٨ م » وهو من بنى حنيفة ، من بكر بن وائل وهو مؤسس ومنظم فرقة الخوارج المعروفة بالفرقة النجدية ، وكان أول أمره مع زعيم الخوارج نافع بن الأزرق المتوفى سنة ٦٥ هـ ـ ٦٨٥ م وكان هذا من الموالين للأمام على بن أبى طالب ( رض ) ومن المشاركين فى جيشه فى معركة صفين وهو من بين الذين اجتمعوا فى ( حروراء ) وهى قرية فى ظاهر الكوفة ونادوا بالخروج على على ( رض ) وعرفوا ومن تبعهم بالخوارج وهو رأس الفرقة المعروفة بالأزارقة ، وتعتبر هذه الفرقة من فرق غلاة الخوارج .

ويذكر ابن الاثير ان نجدة بن عامر دخل البحرين سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م فقالت الازد : نجدة أحب الينا من ولاتنا ، لأنه ينكر الجور ، وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته ، فقال بعض الأزد : نجدة اقرب اليكم منه الينا لأنكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه ، وقال بعضهم : لا ندع نجدة وهو حرورى مارق تجرى علينا احكامه ، فالتقوا بالقطيف ، فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح فى جمع المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير ( واد باليمامة ) فقتل المطرح ابن نجدة وجماعة من أصحابه ، وعندئذ أرسل نجدة بن عامر سرية الى الخط ( موضع فى البحرين ) فظفر بأهله ، واقام نجدة بن عامر بالبحرين .

واتخذ نجدة البحرين مقرا له ولجيشه واتخذها قاعدة لنشاطه السياسى والعسكرى ولما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة ٦٩ هـ ـ ٦٨٨ م وجه اليه جيشا يقوده عبد الله بن عمير الليثى فى اربعة عشر الفا ، وأرسل الى نجدة يهدده ويتوعده ، فلما قدم ذلك الجيش كان نجدة فى منطقة القطيف ، وهنا تظهر كفاءة نجدة العسكرية وقدرته التعبوية ، فهاجم نجدة جيش عبد

الله بن عمير وأوقع فيهم الكثير من القتل وشتت شملهم وانهزموا خائبين ، وبعد نجاحه هذا وجه نجدة بن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفي ونجح عطية فى الاستيلاء على عمان . وبعث نجدة بعد هذه الانتصارات الى البوادى من يأخذ من أهلها الصدقة ، وقاتل أصحابه بنى تميم بكاظمة ( موقع على بعد مرحلتين من البصرة ) ولما حاول أهل طويلع ( واد فى طريق البصرة الى اليمامة وأهله من تميم ) مساعدة بنى تميم اغار نجدة على طويلع وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى عددا ، ثم انه دعاهم بعد ذلك فأجابوه فأخذ منهم الصدقة ، ثم سار نجدة بعد هذا الى صنعاء فى خف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا أن وراءه جيشا كبيرا ، وبعث الى مخاليفها فأخذ منهم الصدقة ، كما بعث أبا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها ، وحج نجدة سنة ٦٨ هـ وقيل سنة ٦٩ وهو فى ثمانمائة وستين رجلا وقيل فى ألفين وستمائة رجل ، وصالح ابن الزبير على أن يصلى كل واحد بأصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض ولما عزم زيارة المدينة المنورة تأهب اهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا ، ولما كان بنخل أخبر بلبس عبد الله بن عمر السلاح فرجع الى الطائف ، ولما سار نجدة من الطائف اتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف : وعاد نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن أهل مكة والمدينة وعن اليمامة فكتب اليه ابن عباس أن ثمامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله ( ص ) ان أهل مكة أهل الله ، فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم ، وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ، ولم يزل عمال نجدة على النواحى حتى اختلف عليه اصحابه وكان نتيجة ذلك الاختلاف مقتل نجدة سنة ٦٩ هـ ـ ٦٨٨ م .

من هذا العرض يتبين لنا أهمية البحرين فى هذه الفترة المضطربة فى حوادثها واخبارها وتنازع المطالبين وتنافسهم على السلطة والنفوذ ، كما تظهر نشاط وشجاعة هذا الخارجى المتحمس والذى سيطر فى فترة وجيزة من سنة ٦٧ ـ ٦٩ على البحرين واليمامة واليمن وحضرموت وعمان ووصلت جيوشه الى محاذاة البصرة ، ان المتأمل فى التاريخ الاسلامى لا بد وان يتتبع هذا الاندفاع ويتأمل هذه الانتصارات السريعة ، وان يتعرف على أسبابها ومقوماتها وليس عندى من شك أن مركز الاندفاع ونقطة الانطلاق التى هى البحرين كانت هى المعين الذى يمد هذا المقاتل الخارجى بالميرة والمؤونة والذخيرة وبالرجال واذا ما تتبعنا الخوارج فى نشاطهم وحركاتهم لم نجد من زعيم غير هذا اتسعت دائرة نشاطه بهذا الاتساع وهذا الانطلاق ، اعود وأقول أن الوطن الحضارى هو أبدا يكون العامل المساعد فى انجاح الكثير من الأفكار والمبادىء وهو الذى يمنح القادة والطموحين كل أسباب الدعم والنصر .

واننى لأعتقد أن دخول نجدة بن عامر الى عمان له اثره الكبير فى وضع الأسس الأولى لمبادىء الخوارج فى تلك البقعة من الوطن العربى ، وأرجو أن تتاح الفرصة لاحد الباحثين العرب لتقصى وتتبع هذه النقطة من تاريخنا الاسلامى ، وجدير بالاشارة هنا أن بعض المؤرخين يعتقد أن نسبة الأباضية الى ( اباض ) بضم الهمزة وهى قرية بعرض اليمامة بها كانت وقعة خالد بن الوليد بمسيلمة ، وكان قد نزل بها نجدة بن عامر الحرورى ، وقد يكون دخول نجدة بن عامر الى عمان هو الأساس فى نشر مفاهيم وافكار الخوارج

والتى تميزت باسم الاباضية وقد تكشف عنها جهود الباحثين والمتخصصين فى هذا المجال ، وما من شك أن البحرين كانت هى نقطة الانطلاق ومركزا لدفع ، لاعتبارات استراتيجية وعوامل حضارية ، لا بد وأن تؤخذ بنظر الاعتبار عند دراسة هذا الموضوع .

تولى أمر البحرين ولاة من الصحابة والتابعين فى القرن السابع الميلادى وكان أول أولئك الولاة هو العلاء الحضرمى والذى ولاه الرسول ( ص ) على البحرين سنة ٨ هـ ، وجعل له جباية الصدقة من أغنياء البحرين وتوزيعها على فقرائها ، وبعد وفاة الرسول ( ص ) اقره الخليفة ابو بكر ، ثم عزله عن الولاية وعين بدلا عنه قدامة بن مضعون ، ثم عزل قدامة واعاد العلاء الحضرمى ، لقتال المرتدين من أهل البحرين ، وتوفى العلاء الحضرمى وتولى من بعده أمر البحرين عثمان بن ابى العاص بن بشر الثقفى واستمر هذا الى أن ولى الخليفة عمر مكانه أبا هريرة ( عبد الرحمن بن صخر ) وعزله عمر ( رض ) عن ولاية البحرين وأقام فيها عثمان بن أبى العاص ثانية ، وتولى أمر البحرين بعده الربيع ابن زياد الحارثى المتوفى سنة ٥٣ هـ ٦٧٣ م وكان من القادة الشجعان والموصوفين بالتواضع والتقوى ، وفى عهد معاوية بن ابى سفيان أصبحت البحرين من ضمن امارة زياد بن ابيه الذى كان واليا على البصرة وجمع له خراسان وسجستان والسند والبحرين وعمان .

وبرز فى البحرين علماء وادباء وشعراء ولعل من أشهر من ذكرهم التاريخ صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى المتوفى سنة ٦٠ هـ ٦٨٠ م وكان من الخطباء البلغاء وكان شهد صفين مع الامام على ( رض ) ونفاه المغيرة بن شعبة من الكوفة الى أوال فى البحرين بأمر من معاوية ، وبقى فى البحرين الى أن توفى . وقثم بن خبية العبدى المشهور بالصلتان العبدى المتوفى سنة ٨٠ هـ ٧٠٠ م وهو من عبد القيس وكان شاعرا حكيما ، وقد نتلمس بلاغة القوم ونضوجهم الفكرى من الكلمات والخطب التى كانوا يقولونها عند لقائهم الرسول ( ص ) فى المدينة ، أو فى ما يرددونه شعرا فى سوح المعارك ، فهذا يدل بوضوح على اصالة القوم الحضارية ونضوجهم الفكرى والثقافى .

ان البحرين فى القرن السابع الميلادى فترة مهمة من فترات تاريخنا الاسلامى ، حيث برزت هذه البقعة العربية بشكل يبعث على الفخر والاعجاب ، وبما جبلت عليه من مكانة جغرافية وأصالة حضارية كان دورها عظيما فى تلبية دعوة الرسول محمد ( ص ) وفى نشر تلك المبادىء الاسلامية السامية بأمانة واخلاص ، وكان أثرها واضحا ونشيطا فى حركة الفتوح الاسلامية وفى الدفاع عن تلك المبادىء ، ولما كانت البحرين على اتصال وثيق مع مراكز الحضارة العربية وبخاصة منطقة العراق فان صدى حركات الفكر والمعارضة كانت تجد مكانا خصبا فى هذه المنطقة ذات التراث التاريخى الأصيل ، كما ادت البحرين فى هذا القرن دورها الكبير فى فهم ونقل وتطوير الدراسات الاسلامية ، كما وبرز هنا عدد من الأدباء والعلماء الذين كانوا اللبنات العربية الاسلامية الأولى فى ازدهار الأدب والعلم فى هذا القطر العربى الذى هو بحق مهد الحضارة الانسانية ومبعث فكرها وأساطيرها وهو بحق أرض الخلود وملتقى الحضارات ولؤلؤة الخليج العربى .

# وثيقة لم

# مَاهوسي الحروف الأبجديّة

يعتقد بعض الكتاب انهم استطاعوا ان يذللوا الصعاب بالنسبة للوثائق التى يزخر بها مثلا ارشيف (طوري دو طومبو) في البرتغال أو (سيمانكاس) فى اسبانيا .. والواقع ان هذه الأماكن ما تزال الى الآن منجما مترامي الأطراف بحاجة الى المزيد من البحث والتنقيب .

وان مما يزيد في امتناعه وابتعاده مصاعب التمكن من اللغة القديمة التى حُررت بها تلك الوثائق التى لم تنل ما تستحقه من طلبتنا من اهتمام جديرة به نظرا للحقبة الطويلة التى عاشها العرب فى رحاب الجزيرة الايبرية وعاشها كذلك الايبريون في المغرب والمشرق ، ومثل هذا يمكن ان نقوله عن الوثائق التى تتعلق بنا مما كتب باللغة الفارسية او التركية القديمة .

# تنشر عن البحرين

## على خريطة الرائد البرتغالي المجهول؟

بقلم : د.
عبدالهادى التازي ـ المغرب

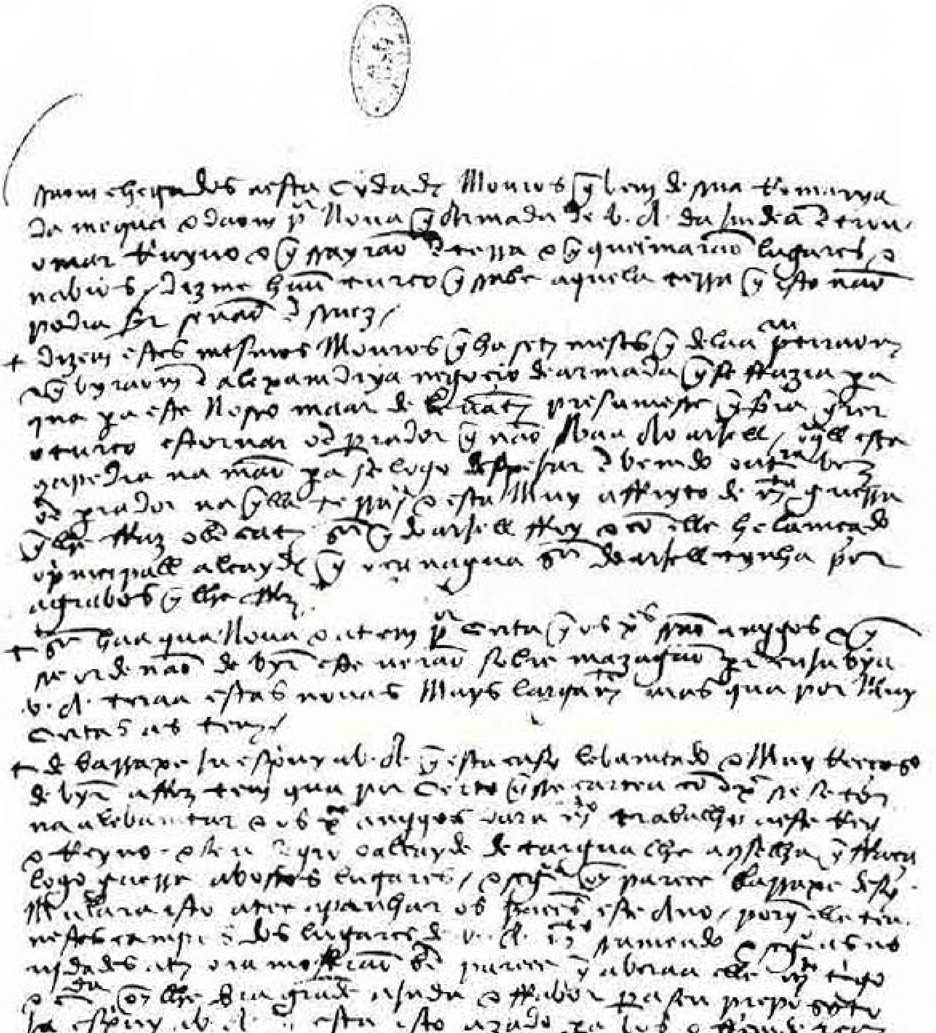
وهكذا فمع كل المحاولات التى قام بها ويقوم بها المؤلفون هنا او هناك حول الوجود البرتغالي فى الخليج او المحيط فاننا ما نزال نشعر بأننا امام فجوات شاسعة في التاريخ الذى ربطنا ردحا من الزمان بهذه الامبراطورية العظيمة .

ولهذا فان من واجبنا ان نكبر اى جهد يبذل من اجل المساعدة على ملء تلك الفجوات بشكل صحيح سليم ، ونعتقد ان كل فصل يحرر عن منطقة ما من المناطق ، من شأنه ان يفيد المنطقة الاخرى لان تاريخنا متكامل بعضه مع بعض ..

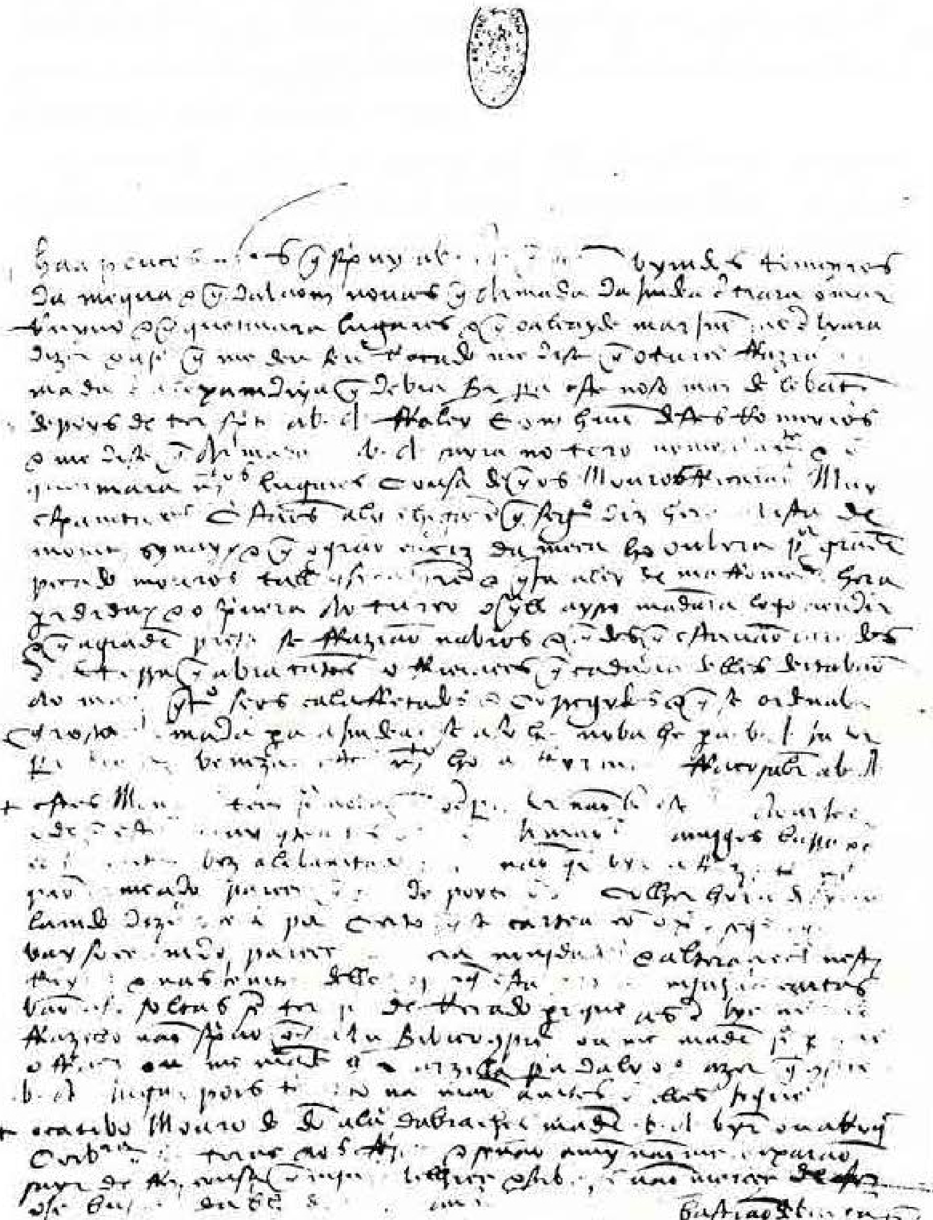
واعتقد ان الحديث عما سميناه « بالفجوات » سيبقى طوقا في اعناقنا ما لم نستوعب عددا من الجوانب التي ما تزال في الظل مما لم نصل الى معالجته اليوم .

ومع ترحيبنا الواسع وتقديرنا الجم لما اخذ يظهر بين الفينة والأخرى من رسائل قيمة ودراسات مستفيضة عن الخليج ، وبصفة دقيقة عن الوجود الأجنبي بهذه المنطقة ، الا اننا مع ذلك نلاحظ في بعض الأحيان ان هناك **قفزات ووثبات** على بعض الفترات تصل احيانا لعشر سنوات وربما بلغت احيانا ربع القرن او نصف القرن !! يمر دون ان نجد ذكرا لانتفاضة او انتقاضة .. وما يحصل بالنسبة للمصادر العربية يحصل مثله في المصادر التركية والفارسية .. وهكذا يكون لزاما تضافر الجهود **وتنسيق** العمل ..

هناك من الفجوات الملاحظة فى تاريخ الخليج عدم ربط نضال ابنائه مع نضال ابناء المغرب على اطراف المحيط ، مع العلم بأن فى الاستطاعة ان نلمس هذا الربط من خلال



(1) رسالة باستياو دوفاركاس الى جان الثالث من فاس بتاريخ 30 مارس 1542 يتحدث فيها عن ان حجاجا عادوا من مكة يحملون الى فاس اخبار العمليات الحالية للبرتغاليين في البحر الاحمر .. ومن جهة اخرى يخبر التقرير بانه حصل تفاهم بين امراء المغرب ، وانهم يعتزمون الغارة جميعا على البرتغاليين في مدينة (الجديدة) المحتلة ، وان المغاربة اذا ما ابطأوا في الهجوم على البرتغال فانما ذلك لانهم ينتظرون حصد زروعهم ..



(2) رسالة ثانية من دو فاركاس الى الملك جان الثالث كتبت بفاس بتاريخ 8 ابريل 1542 يكرر فيها اصداء الاخبار التي وصلت عن تحرك البرتغال في البحر الاحمر ، وان نجاح الحملة البرتغالية في طور خلف اثراً سيئاً جداً في نفوس المسلمين هنا بالمغرب .. وقد طلب دو فاركاس ان يزوده الملك برجل بريد ثقة حتى يمكنه ان يثق به فيما يبعث به ..

التقارير البرتغالية مثلا ، واشير بهذا لما حرره السفير البرتغالي بمدينة فاس دو فاركاس DE VARGAS الى جان الثالث ملك البرتغال بتاريخ ثلاثين مارس وثامن ابريل 1542 يتحدث عن اهتمام الحجاج المغاربة العائدين بأخبار تحرك البرتغال بديار المشرق واشتباكاتهم المتوالية مع المسلمين هنا وهناك[1] .

وفي استطاعتنا ان نلمس الربط ايضا من خلال الآثار الادبية المغربية ، واشير بذلك الى القصائد الرائعة التى وصفت المعركة العظيمة المعروفة بوادى المخازن .. على مقربة من مدينة القصر الكبير شمال المغرب حيث لقى ملك البرتغال دون سباستيان مصرعه على يد الجيش المغربى عام 1578/986 .. وهكذا فكما رأينا لويس دى كامويس LUIS DE CAMOES يصف المعركة التى جرت سنة 1553/961 في منطقة الخليج[2] وجدنا عبدالعزيز القشتالي يصف الواقعة ويهنىء العاهل المغربي احمد المنصور الذهبي بالقصيدة التى يشير فيها للربط بين مصير الجهتين ، ويتحدث الشاعر عن ان ابناء الخليج يتنفسون الصعداء ، بدون شك ، وهم يتلقون اصداء معركة وادى المخازن على مقربة من المحيط الاطلسي ، هذه المعركة الحاسمة التى ما يزال الكثير من المؤرخين لمنطقة الخليج يهملون الحديث عنها باستثناء المؤرخ البريطانى روبير لاندن في كتابه عن تاريخ عمان[3] .

لقد ابتدأ الوزير القشتالي قصيدته بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتخلص فيها الى تهنئة السلطان احمد المنصور[4] ، وكان هذا مطلعها :

هم سلبوني الصبر والصبر من شأني وهم حرموا من لذة الغمض اجفاني

الى ان قال :

من اللائى جرعن العدا غصص الردى وعفر في وجه الثرى وجه (بستان)[5]

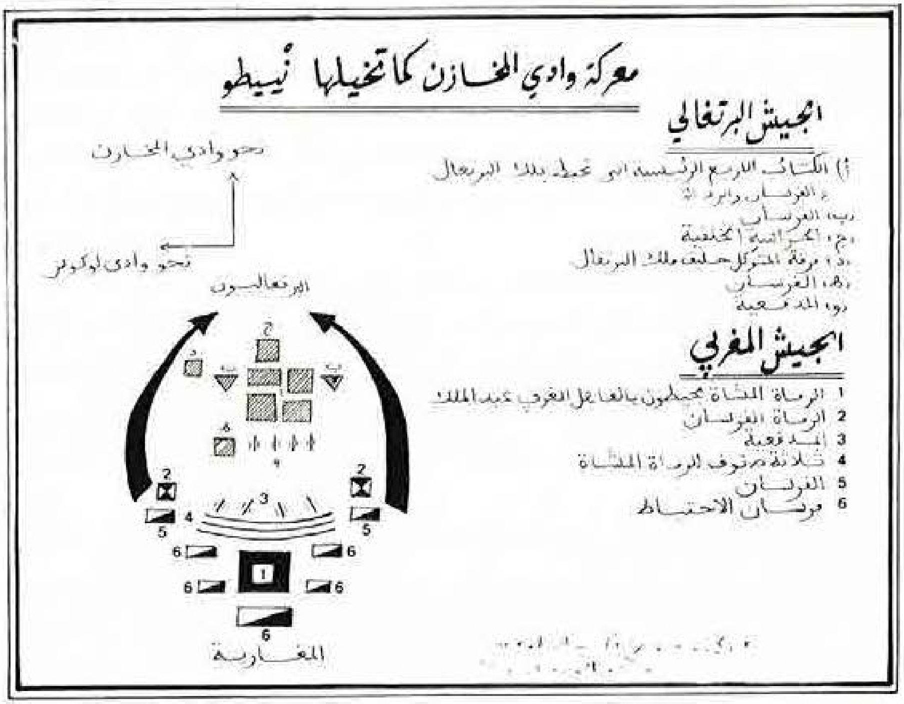
اولئك فخرى ان فخرت على الورى ونافس بيتي في الولا بيت سلمان !

فكم هنأت ارض العراق بك العلا ووافت بك البشرى لأرض عُمان !

وقد كان في صدر **الفجوات** التى اهملتها معظم المصادر العربية والتركية والفارسية ما يتعلق بالمعركة الضاربة التى يمكن ان نجد فيها شبها بمعركة وادي المخازن التى كان المغرب مسرحا لها .

ويتعلق الأمر بالحرب الضروس التى جرت فى شعبان 989 صيف سنة 1581 بعد ثلاث سنوات من وقعة وادى المخازن ـ ضد الوجود البرتغالى فى البحرين .

هناك وفي بساتين النخيل القريبة من القلعة .. تمت المعارك الكبرى ضد البرتغال حيث أصيب القائد العام للاسطول البرتغالي دون الفارو دا سيلفيرا (D. ALVARO DA SILVEIRA) اصابة قاتلة أودت بحياته وكان يحيط به فى تلك المعارك عدد من النبلاء ورجالات القوم .. كانوا يحاولون ، على الأقل ، نقل جثته الى القلعة بيد ان العرب كانوا يفدون بأعداد كبيرة لتوجيه الطعنات المميتة لكل من يريد الاقتراب من جثمان القائد العام .. عشرات القتلى والجرحى .. وعشرات الأسرى .




(3) رسم تاريخي لمعركة وادى المخازن التى جرت يوم 30 جمادى الاولى 986 رابع غشت 578 وهى المعركة التى صرع فيها الجيش المغربى الامبراطور دون سباستيان ملك البرتغال حيث انهارت بسبب ذلك الامبراطورية كلها ... وربما عرفت المعركة باسم معركة الملوك الثلاثة حيث مات فيها ثلاثة ملوك : فعلاوة على سباستيان مات السلطان مولاى عبدالملك الذى كان مريضا ودفن بقلة بنى مرين بفاس ، كما قتل امير مغربى كان فى صف البرتغال ... وربما سميت معركة القصر الكبير .

انها بالفعل المعركة التى تعيد الى الذهن معركة وادي المخازن التى صرع فيها دون سباستيان امبراطور البرتغال وهلك معه عشرات القواد والضباط وأسرت مئات الجنود والمرتزقة .

وكما ظهر في المعركة المغربية احد القادة المغاربة يقف الى جانب البرتغال ، وجدنا في البحرين احد المشارقة يقف الى جانب البرتغال !

لقد قرأنا عن ان هدف الجيش البرتغالي في المغرب كان هو انزال الضربة القاضية بالعاصمة الاولى للاسلام بديار المغرب ، كما قرأنا عن ان الهدف من مجاوزتهم البحر الأحمر ومن وصولهم الى الخليج هو احتلال مكة والمدينة انتقاما من المسلمين الذين كانوا يحكمون فى البيت المقدس(6) .

ولقد كان من تلك الفجوات التى أهملناها ما يتصل بمجريات الاحداث ، واعنى بها ما يتعلق بقضايا المواقف الشجاعة والتعامل الشريف بين الأطراف المعنية عندما يقتضى الأمر ذلك .. وبين ايدينا صور مشرقة وامثلة رائعة عن تقاليد الشهامة والمروءة التى كانت تطبع السلوك العربي في المقاومة .

ويكفي ان اشير في هذا الصدد لما تضمنته بعض الوثائق البرتغالية من اشادة بالعرب المقاتلين وهم يحترمون حقيبة سياسية عثروا عليها في سفن خصومهم فأعـادوها الى وجهتها محروسة مصانة دون ان يكشفوا عن اسرارها .. ومـا تضمنته تلك الوثـائق البرتغالية ايضا من اشادة بالعرب المقاتلين وهم يرجعون ودائع غالية وصلبانا ذهبية ثمينة الى أهلها مبرهنين على أن المادة لم تكن هي هدفهم بقدر ما كان هدفهم التخلص من الأوضاع الجائرة .

وهـل ننسى ـ ونحن نستعرض «الفجـوات» ـ تلك الصفحـات الشيقـة التى تتعلق بالعلاقات الانسانية التى فرضها التعايش والجوار ، عشرات الأمراء والأميرات ممن رحلوا او رُحّلوا من جهة الى اخرى لم يلبثوا ان حملوا القاب ونعوت هذا الطرف اوذاك ، فأصبح فيرناندو خالا لابراهيم ! وأمست الزهراء عمة لانطونيو[7] ! عشرات القصص الغرامية الملتهبة التى كانت وراء هذا الموقف او ذاك .. ثغرات وفراغات ما نزال نتوق الى ملئها ..

وها نحن اليوم مع تخطيط (UN CROQUIS) للبحرين ، يرجع لبداية الربع الثاني من القرن السادس عشر .. يمكن ـ حسب علمي ـ ان اقول انه ظل الى الآن في عداد المخطوطات .. ومن شأنه ان يقدم صورة عن البحرين على ذلك العهد .

لقد وقفت على هذا الرسم معروضا لأول مرة في ليشبونة خريف السنة الماضية ، وراء حاجز من زجاج الى جانب تخطيط لجوا القديمة والجديدة . وقد كان على نحو ما عهدته في التصميمات التي وضعها البرتغاليون القدامى لعدد من الثغور المغـربية مثـل أزمور (AZAMIURUM) واسفي (SAFIM) التى كـانت لفتـرة من الوقت تحت الهيمنـة البرتغالية .




(4) رسم لمدينة ازمور المغربية وهي لا تبعد عن مدينة الجديدة ، وكانت محتلة من لدن البرتغال لفترة من الوقت ، وهذا رسم من عشرات الرسوم التي وضعها المهندسون البرتغاليون للمدن والمواقع التي كانت تحت نفوذهم

كان يصحبني في هذه الجولة المفيدة عالم كبير من علماء البرتغال الذى كان ، من حسن الحظ ، يتكلم اللغة الفرنسية .. ويتعلق الأمر بالبروفيسور جوزى بيريرا دكوسطا ( JOSE PEREIRA DA COSTA ) مـديـر الأرشيف الوطني لطوري دي طومبـو ( ARQIVO NACIONAL DA TORRE DO TOMBO ) .

وكان هدفي من هذه الرحلة يرمي من جهة الى تفقد بعض المراجع البرتغالية التى تمس تاريخ العلاقات مع المغرب ، ولكنه من جهة اخرى كان يقصد التعرف على بعض الخبايا التي كنت أتوق للوصول اليها منذ أزيـد من عشر سنوات عنـدما زرت المنـطقة لأول مرة(8) .

ولشد ما كان سروري عظيما وأنا أجد نفسي في حجرات تجمع بين وثائق من المحيط وأخرى من الخليج ، وكأنها ـ أى الحجرات ـ تعبر هي الأخرى عن قضية الترابط الذى يوجد فعلا بين المشرق والمغرب على نحو ما أشرنا .

لقد كانت احدى الحجرات تؤكد ، وهى تحتضن الوثائق الخليجية والمحيطية نفس الفكرة التي استخلصناها من صنيع فري جُواو دي سوزا ( PRE: JOAO DE SOUSA ) في كتابة (وثائق عربية) حيث وجدناه منذ قرنين مضطرا لان يربط في مؤلفه بين الوثائق المغربية والمشرقية(9) ..

***

لقـد كان ذلك «التخـطيط» يحمـل اسم «بـريم» هكـذا ( BAREM ).. وهي تعنى (البحرين) عند سائر الذين يشرفون على الارشيف الوطني وعلى رأسهم الزميل دا كوستا ( JOSE PEREIRA DA COSTA ) ..

وقد حاولت أن القى على نفسي بعض الشكوك حول ماذا كان القصد فعلا الى البحرين ، أى الى المنامة والمحرق وما يتصل بهما ، ولماذا حاولت القاء ذلك الشك على نفسي ؟

لأن المعلومات المقدمة اليّ مشافهة انما كـانت تنص على ان المخـطوط الذي يتضمن هذا «التصميم» كان تسجيلا لمذكرات لرائد برتغالي مجهول الاسم ابتدأ تحركه من (جوا) ( GOA ) جنوب غربي القارة الهندية الى ( ديو DIU ) .

ومعلوم أن (ديو) تقع بعض الشيء بعيدة عن البحرين التى تقع غربيها شمالا .

كما تساءلت ردحا من الزمان : عما اذا كان القصد الى جزيرة (بريم) ( PERIM ) في باب المندب جنوب (المخا) باليمن ، فلقد وصل البرتغاليون اليها منذ أوائل القرن العاشر الهجرى 1511م بقيادة الفونسو ديلبوكيرك عند عودته من البحر الأحمر حيث شيد بنايات عسكرية في الرأس الشمالي للميناء وهنـاك استهدف المسلمـون لتحالف صليبي بـين البرتغال والحبشة ، حيث وجدنا سفارة للامام أحمد لدى الباب العالي تطلب المساعدة ضد البرتغال(10) ..

لكني مع كل ذلك لاحظت اصرارا من زميلي داكوستا على ان القصـد الى البحرين مؤكدا هذا في خطاب بعث الي بتاريخ 26-10-1982 يقول بالحرف : ان تصميم البحرين ليس

له تعليق كما هو الحال بالنسبة للتصميمات الأخرى التى تشتمل عليها المجموعة .

وقد قمت الى جانب هذا بالاتصال مع زميلي الدكتور الاستاذ (انطونيو دياس فارينها) ( ANTONIO DIAS FARINHA ) المعروف بتأليفه المفيدة عن العلاقات البرتغالية العربية .. والذى يكون بالصدفة زوجا لمدام فارينها التى لها اشراف على مخطوطات (طورى دو طومبو) .. لكني حصلت منه أخيرا على خطاب يتساءل فيه بدوره (11)

وجوابا على طلبى لمساعدة سفيرنا بالهند طرحت الاستاذة شيرين راثناجار سلسلة من الاسئلة ولكنها ظلت تتحدث عن القارة الهندية دون ان تصل الى البحرين (12)

وفي احدى الخرائط التاريخية القديمة التى وقفت عليها فى أرشيف الاكاديمية الجغرافية في لشبونة بمرافقة البروفيسور دياس فارينها وجدت فعلا ان رسم البحرين الى جانب (قطر)[13] لكن على هذا النحو ( PAREM )أي بتعويض B المخفضة بـ P المثقلة .

وقد رسمه دي سوزا في وثائقه ( DOCUMENTOS ) هكذا : بوهاريم ( BOHARIM ) بينما وجدنا جاو دي باروس ( JOAO DE BARROS ) في كتابه عن ( ASIA ) يرسمه هكذا ( BAHAREM ) ، وهو نفس الرسم الذي قرأناه مقترنا باسم انطونيو دي كوريا ( ANTONIO DE CORREIRA ) عندما استصدر ملك البرتغال أمره القاضي بأن تضاف كلمة بحاريم ( BAHAREM ) الى اسم انطونيو تكريما له في اعقاب سقوط البحرين بيده في شعبان 927 غشت 1521 بعد معارك ضارية استشهد فيها الشيخ مقرن أو (مقرم) كما تسميه الوثائق البرتغالية[14] ..

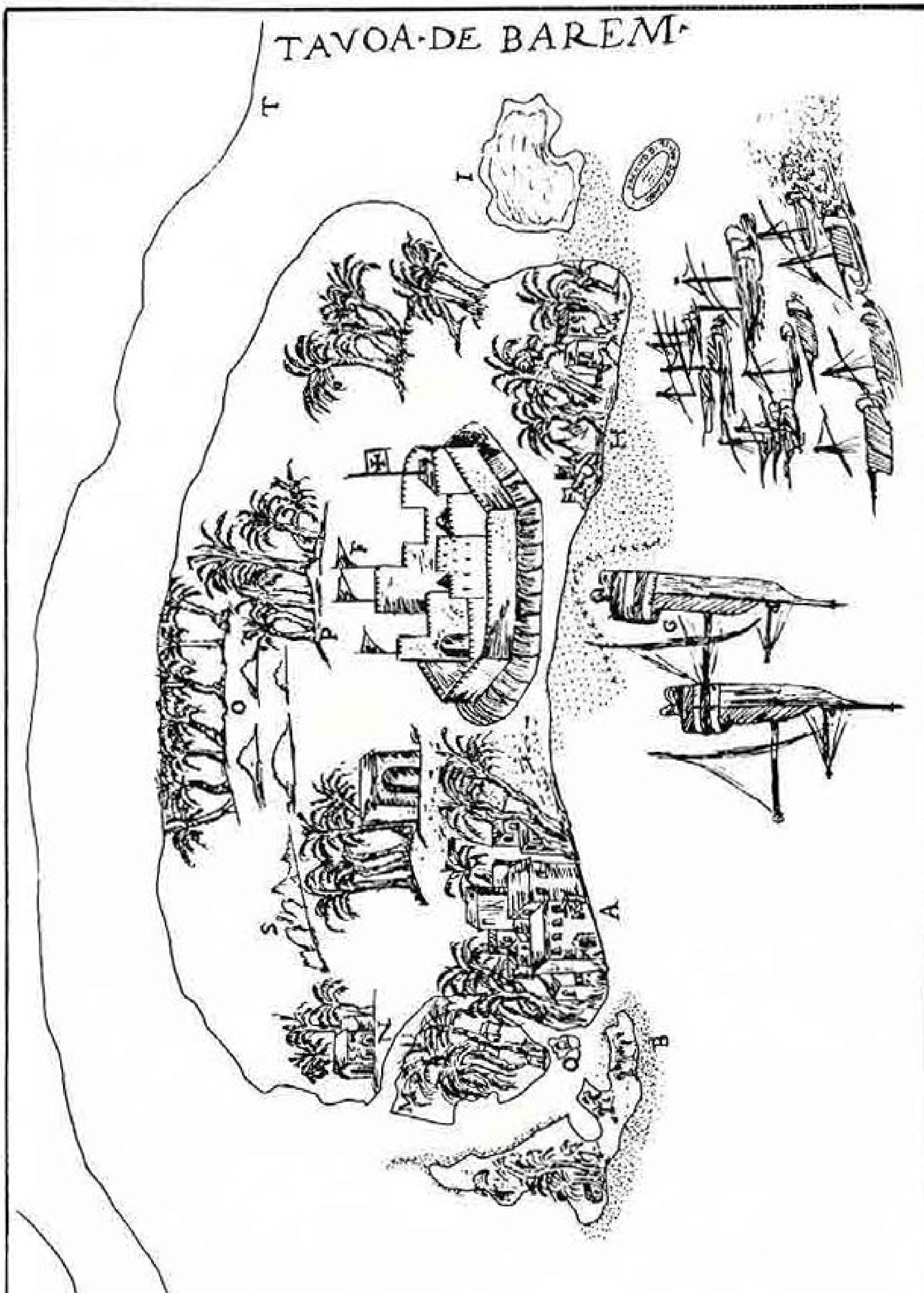
وهكذا فقد أخذ يتجلى أن كلمة ( BAREM ) اسم محرف لكلمة البحرين التى يقارب تصميمها اليوم ذلك التصميم .. فماذا بعد هذا حول تعليق المخطوط البرتغالي عن هذا الرسم ؟

لقد كان (الكروكي) المخطوط يمثل عددا من الجزر المتقاربة المختلفة المساحة ، وكان أكبرها يحتوى على طائفة من المواقع والأمكنة فيها مجموعة من البيوت المتصلة والمنعزلة ، وفيها بعض المرتفعات والتلال وبساتين النخيل اضافة الى بعض القلاع القريبة من الساحل الذى ترسو بجانبه قطع من السفن والمراكب .. هذا الى جزر صغيرة مأهولة .. وأخرى جرداء ..

وكان مما اثار الانتباه في هذا الرسم وجود ثلاثة عشر حرفا موزعة على الموقع بمعنى ان كل حرف كان يعنى الاشارة الى وظيفة المواقع ، وكانت على هذا النحو : A.B.C.F.G.I.M.N.P.O.Q.S.T.

وللتأكد من هذه الاشارات رجعنا الى المخطوط الذى استل منه (كروكي) البحرين و(كروكي) جوا كذلك ، هذا المخطوط يقبع في رفوف الارشيف الوطني الذى يحتضن زهاء ثلاثين مليونا من الوثائق التى تنساب هناك على مساحة خمسة وعشرين كيلو مترا !!

انه يوجد ، حسب المعلومات ، التى قدمها الي الزميل داكوستا[15] ضمن مجموعة S. VICENTE المُجلد 15 عنوان 111 [7] ، هكذا على ما أشرنا : T.T., COL.S. VICENTE, VOL. 15/TITULO III (7), FLS. 180/248.




تخطيط البحرين

1510

# DESCRIPCAM DE GOA

A uelha

A monte q esta na bocca da bahia na terra da Ilha sera A. A ponta q sae delle B, mas C, a ponta da mesa q esta na entrada da barra na terra firme, Asi q estas duas pontas A e B são asy corre norte sul, Os tres Ilheos q fazem ao mar da ponta desta mesa são D, E, F, e as tres pedras q auemos de ver entrando entrado polla barra serão L H I, mas a ultima onde auemos de gouernar direito sera K, a qual nao lança a terra firme q antes se sustem alta em meo a terra firme e logo o ponto o nos mostra a enseada onde esta o templo e lugar do surgidouro a letra O, se a aruore a qual tanto q descubrimos logo o fundo a qual entre e K mingua ate duas braças ao ponto P, e o lugar de agua em Q, o Ilheo ... o qual se ... estancia para os inuernarem onde mar ... nem outro algum inconueniente nos poderam fazer ...

# PRIMEIRO ROTEIRO

da Costa da India q se conte de goa ate agora de Cidade de Dio, e conta se nella a viagem q fez do gracia de noronha Visorey em socorro desta cidade estando cercada dos Turcos.

A vinte e dous dias do mes de nouembro de 1538 partio o Visorey da barra de goa caminho de Dio, ou ... e a ... como ... ate ... 6 do dito mes com toda sua armada sorgio ... legoa ao mar dos Ilheos queimados.

Rota da Costa.

Da enseada de goa obra de huã legoa pa o norte esta ... onde ... lança huã ponta ...

12 a.

انه مخطوط وتخطيط كما قلنا لرائد مجهول كان يقوم بجولة على الساحل الهندي من جوا الى ديو .. في احدى رحلات نائب الملك دون كارسيا دونورنها D. GARCIA DE NORONHA بين سنة 1540/1538 عندما وجدنا مراسلة من الممثلين للمصالح البرتغالية في الخليج الى ملك البرتغال تتحدث عن توجه العثمانيين في شعبان 944 يناير 1538 نحو البحر الهندي عن طريق البحر الاحمر قصد احتلال عدن واليمن وطرد البرتغاليين من مسقط والبحرين(16) ..

لقد كان البرتغاليون حاصروا البحرين عام 928-1521 حيث سقطت الجزيرة بعد معارك ضارية استشهد فيها الأمير مقرن على يد انطونيو دو كوريا ( ANTONIO DE CORREIRA ) على ما اسلفنا ..

وهنا سنحت الفرصة لتشييد القلعة البرتغالية التي تظهر في التصميم .

والمخطوط على حالة تسمح بتصفح اوراقه حيث وجدنا صفحة تقدم تفسيرا للرموز التي تشير لمواقع (جوا) القديمة والحديثة وتثبتها مع تفسيرها .

وقد شعرت بالخيبة عندما علمت انه لا يوجد تفسير لتصميم البحرين .. ويعتقد البروفيسور دا كوستا ان هذه الورقة ضاعت من الخزانة كما يفترض ايضا ان الرائد البرتغالي ربما كان نسي كتابة الورقة المتعلقة بالتفسير اهمالا منه واستراواحا(17) .

فهل يرجع تاريخ ضياع هذه «الورقة» للفترة الحساسة التي اعقبت النزول الايراني في الجزر الثلاث اوائل السبعينات عندما سمعنا بمقام بعثة ايرانية للبحث في الوثائق البرتغالية التي لها صلة بالمنطقة ؟

مهما يكن فاننا لم نتمكن من الورقة التي تحمل مفاتيح الحروف ، ولهذا نستأنس ببعض البيانات التي وردت في الرسائل الواردة علينا من ليشبونة وهي تعتمد أساسا على الاسترشاد بما سجلته تفسيرات تصميم جوا ..

وهكذا فان حرف B.A كلاهما يرمز الى جسر يربط ناحية بأخرى ، أما حرف Q فهو يشير الى جزيرة صغيرة .. وهو ما يوجد في تصميم جوا .. اما باقي الحروف فاننا لم نهتد الى دلالتها .. ولهذا فاننا نكتفي بالافتراضات التالية :

C : يشير الى ممر مائي
- F : يشير للقلعة
G : يشير للسفن الشراعية
- H : يشير الى مساكن وخيام
I : جزيرة غير مأهولة
- M : جزيرة مأهولة
N : منزل الحاكم ؟
P : بساتين النخيل
O : تلال وآكام
S : جبال
T : الخليج




(7) صفحة من المخطوط ... وهي تصميم لـ ( جوا ) القديمة ... ويلاحظ ان لهذا التصميم في المخطوط وصفا يشرح رموزه واشاراته ، على العكس مما يتعلق بتصميم البحرين حيث نجد ان التفسير يختفي من المخطوط .

والواقع ان هذا التصميم يظل وينبغي ان يظل هدفا للبحث لكل الذين يهتمون بالبحرين القديم ، وخاصة موقع القلعة وما كان يجاورها من بساتين كانت تتحول في اغلب الاحيان الى ساحات للقتال على ما يذكره جواءو دي باروس (JOAO DE BAR-ROS) في كتابه ( عن آسيا ( DA ASIA عند العشارية السابعة ، الجزء السابع ، الباب التاسع الذى اعدته لجنة جمع الوثائق البرتغالية حول الخليج ( سفارة سلطنة عُمان ـ باريز ) ..

وأحب هنا ان اضيف الى هذا التصميم ـ بما يتضمنه من اشارات ـ ما نقف عليه في بعض المراجع والمصادر سواء منها العربية او البرتغالية مما له صلة بوصف البحرين ، حتى تكتمل لدينا الصورة ..

هناك افادة وردت فى كتاب انباط المياه الخفية لأبي بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي ( 1019/410 ) وتتحدث عن سماع المؤلف بجزائر فيها عيون قوية ماؤها عذب مادتها ليست من ماء البحر المحيط بها لان سطح مياهها اسفل من سطوح ارضها .



(6) من الوثائق المتعلقة بالبحرين والتي يحتفظ بها الارشيف في ليشبونه . هذه الرسالة الموجهة من حاكم البحرين انذاك الى البرتغال يتحدث فيها عن توجه العثمانيين نحو البحر الاحمر بقصد طرد البرتغاليين من منطقة الخليج ..

ولابد ان نراجع مع هذا النص الدراسة والتعليق والترجمة التى قام بها الاستاذ على مزاهيري لهذا الكتاب الجليل ، فقد ركز على ان القصد الى **البحرين** محيلا على كتاب الاصطخرى وكتاب حدود العالم ومؤكدا على ان اسم **البحرين** يعنى بالذات الماء المالح والعذب الفرات[18]

وهناك افادة ثانية للجغرافي المغربي الشريف الادريسي فى كتابه (نزهة المشتاق) يتحدث فيها عن جبلى كسير وعوَيْر اللذين ردد صداهما ايضا الرحالة المغربى ابن بطوطة فيما بعد ، ولو ان الادريسى تحدث على انهما غائران تحت الماء لا يظهر منها شىء وان الربابنة يعرفون مكانيهما فيتجنبونهما بينما وجدنا ابن بطوطة يذكرهما وكأنهما باليابسة ، وكما تحدث الكرجي عن (عيون البحرين) رأينا الرحالة المغربى الذى زار البحرين عددا من المرات ، يتحدث عن بساتينها واشجارها وانهارها ومائها القريب المؤنة ..

والى جانب هذه اللقطات عن خريطة البحرين يقدم ابن بطوطة وصفا ظريفا لطريقة الغوص بحثا عن الجوهر لا تختلف عن طريقة البحث فى اعماق المياه المالحة عن الينابيع الجوفية من الماء العذب على نحو ما ورد فى وصف جُواؤو دي باروس (JOAO DE BARROS) فى العشارية السابعة من الجزء السابع في الباب التاسع عندما قدم وصفه للبحرين .

وهكذا فكما قلت منذ البداية هناك **فجوات** فى تاريخنا المشترك تحتاج الى التتبع المستمر بل انها تحتاج الى تخطيط محكم لا يهمل اعداد الأطر الكافية التى تتحمل اعباء البحث فى شتى المظان عما يساعدنا على صياغة تاريخنا صياغة شاملة كاملة .

# الهوامش

**(1) Robert Richard: Sources inedites de l'Histoire du Maroc Premiere Serie, Dinastie Sa'dienne. T. IV p.36-38**

**(2) كان الاميرال الجديد للاسطول التركى هو على جلبى ، وعلاوة على مقدرته كبحار مغوار كان كاتبا اديبا وهو الذى وصف البحرين فى احد كتبه بعد زيارته لها وذكر عيون المياه الموجودة بها .. الجبيلى : صوت البحرين 1371**

**(3) روبيرت لاندن (.R.G.L) عمان منذ 1856 مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد امين عبدالله 1966 سلطنة عمان ، وزارة التراث القومى والثقافة ، ص 27**

**(4) اعتاد الشعراء فى المغرب ان يدونوا المعارك الحربية والاحداث السياسية فى قصائدهم واراجيزهم ، ونذكر من ذلك ما قاله الكراسى فى (عروسة المسائل) بمناسبة انتصار الوطاسيين على البرتغاليين فى جزيرة (المليحة) رمضان 894 = غشت 1489 بعد ضرب الحصار عليهم فى نهر لكوس .**

(5) اللائى : نعت للكتائب .. و(بشتان) اختصار سباستيان . ابو العباس احمد المقرى : روضة الآس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس . المطبعة الملكية ـ الرباط 1383-1964 ص112-163 د . عبد الهادى التازى : اشعاع المغرب على المشرق ، محاضرات الموسم الثقافى فى (ابو ظبى) 15-1-1976 تجاوب الادب العربى مع نوازع الخليج .. الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربى فى جامعة البصرة اخر مارس 1977

(6) باروس (BARROS) العشارية الثالثة ، الجزء الأول ، الفصل الثالث ص 24 - 41.

(7) ELEINE SANCEAU: Cascilos en Africa - Chapitre XI

(8) وردت سفيرا لبلادى على المنطقة منذ سنة 1974 ، ومنذ ذلك الحين تضاعف اهتمامي بتاريخها ... وفى هذا الصدد كانت لقاءات ولقاءات مع عدد من الشخصيات المعنية ، اذكر منها الشيخ عبدالله بن خالد وزير العدل فى دولة البحرين ، والسيد فيصل بن على وزير التراث فى سلطنة عمان ، والسيد سعيد عبدالله سلمان وزير التربية فى دولة الامارات العربية المتحدة كما اذكر المشاريع الاولى التى خططت مع الزميل الدكتور مرسى عبدالله منذ اوائل السبعينات ...

(9) Documentos Arabicos, FR. JOAO DE Sousa Lisboa 1789.

(10) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص100-010a حمزة على لقمان : تاريخ الجزر اليمنية ، مطبعة يوسف وفيليب الجميل ببيروت ، لبنان ص 19 ، عبدالله الحبيد : سفارة الامام المتوكل ، مجلة كلية الشريعة عدد 3 سنة 1397 ، نوال حمزة يوسف الصيرفى : النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى 31 مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ص 170 الرياض 1403 = 1983.

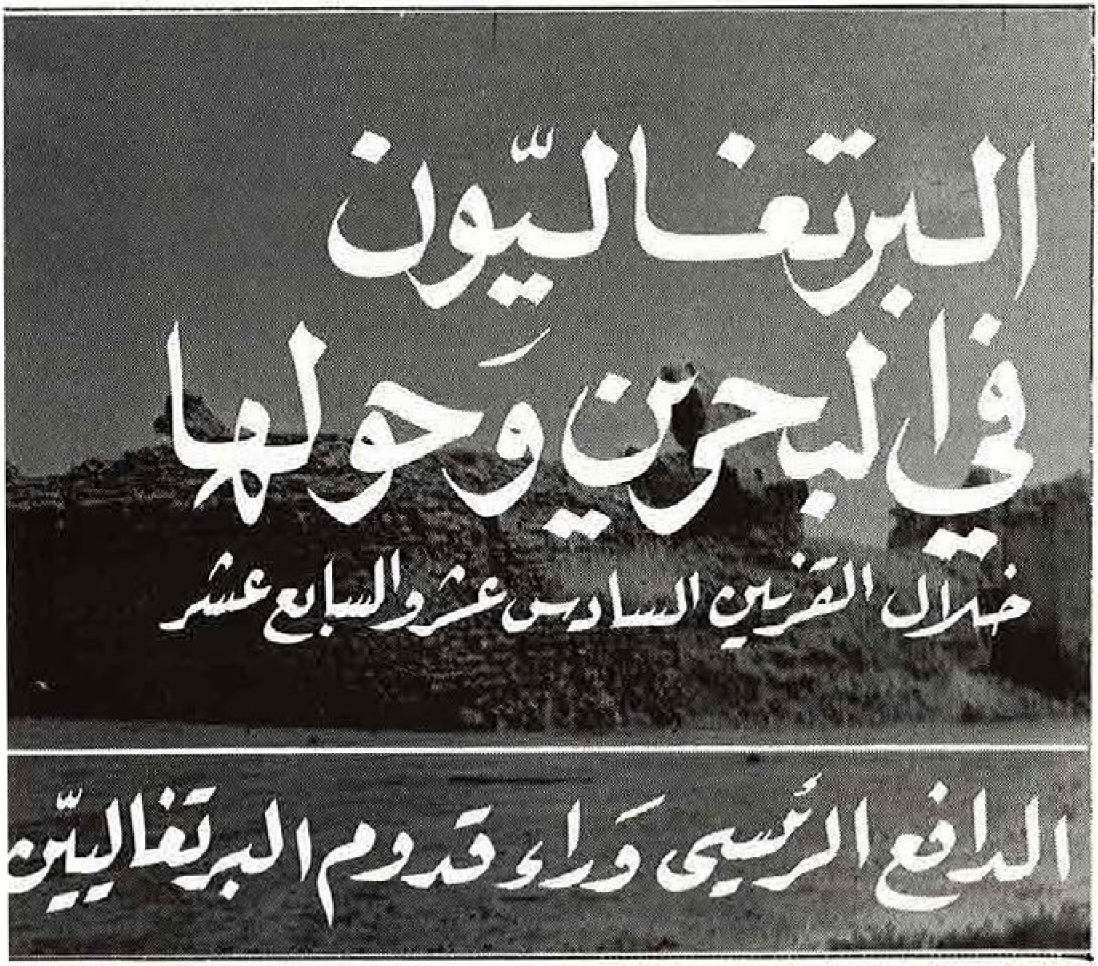
(11) كانت رسالتى بتاريخ : 28 - 2 - 1983 ، وكان جوابه بتاريخ 14 / 9 / 1983
(12) كان جواب السيد السفير يوم : 5 -4 - 1983.
كانت رسالة سفيرنا العربى ملين اولا بتاريخ 5 / 4 / 1983 ثم ثانيا بتاريخ 9 / 9 / 1983.
(13) رسمت قطر فى الخرائط المذكورة : قطارة .
(14) دكتر جها نكير قائم مقامي : استاد فارسى عربى وتركى جلد يكم ـ مدخل 1975 م/ 1354هى شمسو 1354 ص 68-69 عبدالرضا الجبيلى : ايران وتاريخ البحرين العربية السياسى فى عهد البرتغاليين ـ مجلة ( صوت البحرين ) عدد 3 السنة الثانية ، ربيع الاول 1371 ـ نوال حمزة يوسف : النفوذ البرتغالي فى الخليج العربى 31 مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز الرياض 1403= 1983ص 127-128.

(15) من رسالة تاكيدية لمدير .A.N.T.T بتاريخ 26-10-1982 تحت رقم (496)408
(16) دكتر جهانكير قائم مقامي : استاد فارسى عربى وتركى دار ارشيف ملى برتغال صفحة 112 لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخى 1ص .16 proc

(17) من رسالة للسفير المغربى فى البرتغال مولاى سلامة بن زيدان وهى بتاريخ : 24 مارس 1983.

(18) الكرجي : انباط المياه الخفية ، طبعة اولى حيدر اباد سنة 1359 ، ص 6 . Aly Mazaheri: La civilisation des eaux cachees I.D.E.R.I.C Avril 1973 p. 142.

د . عبدالهادى التازى : الماء ـ الغداء ـ الانسان بين التراث الاسلامي والتاريخ المغربى اكاديمية المملكة المغربية 1982.



# البرتغاليّون في البحرين وحولها

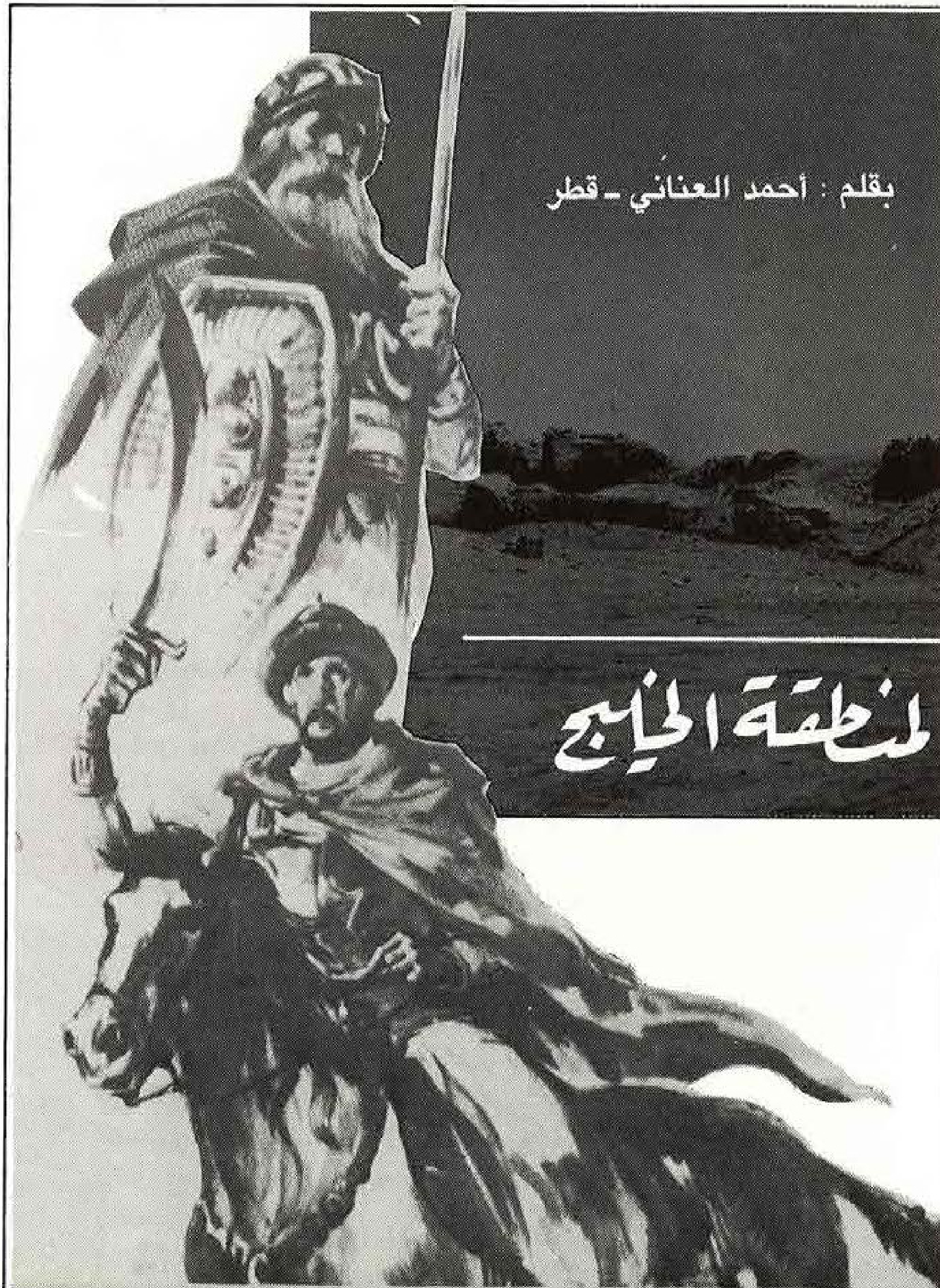
## خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر

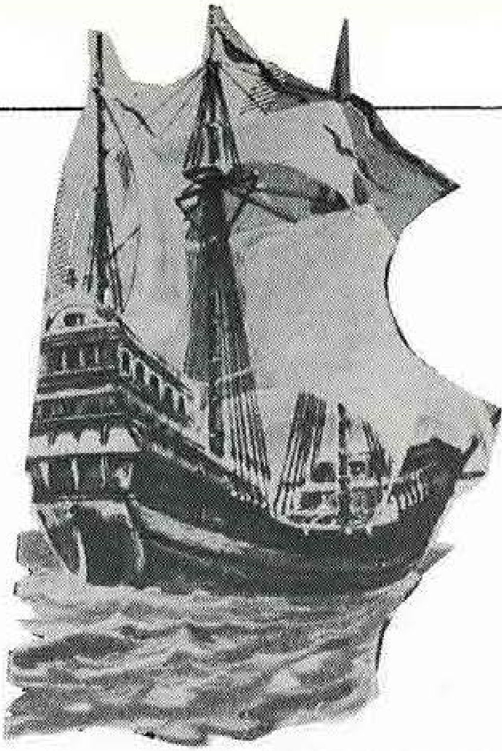
## الدافع الرئيسي وراء قدوم البرتغاليّين

تعتبر فترة الوجود البرتغالي في حوض الخليج العربي وعلى مياهه من أشد الفترات حلكة في تاريخ هذا الجانب من الوطن العربي فلقد أظهر ذلك الشعب الواغل في الوطن الاسلامي انه كان ممتلئا حتى الثمالة كراهية للمسلمين وحقدا عليهم وتعطشا لسفك دمائهم ونهب ديارهم، ومعروف عن هذا الشعب ضآلة موارده الطبيعية في بلاده الجبلية التي تكسو معظمها الاشجار البرية الحرجية، كما انه كان دائم الاحساس بالغبن حيال جيرانه المباشرين من الاسبان في شبه جزيرة ايبيريا التي دخلها الاسلام بعد معركة شريش الحاسمة اوائل القرن الثامن للميلاد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان. وقد خضع معظم بلاد البرتغال للمسلمين الذين كان لهم وجود مستمر لأكثر من ثلاثمائة سنة في سائر

بقلم : أحمد العناني ـ قطر

# لمنطقة الخليج





مناطقه، ولا تزال آثار الحضارة الاسلامية والعمران الاسلامي ماثلة في العاصمة لشبونة والمدن الاقليمية ولا سيما كويمبره التي كانت تعرف لثلاثة قرون في العصر الاسلامي باسم القلمرية.

لكن مياه البرتغال كانت وما تزال معروفة بوجود انواع طيبة من الاسماك فيها كسمك السردين ولما كان معظم البلاد واقعا على ساحل المحيط الاطلسي فقد ادى هذان العاملان الى اقبال البرتغاليين على البحر، وتمرسهم بالفنون الملاحية.

وعلى أثر سقوط دولة غرناطة آخر معاقل المسلمين في شبه جزيرة ايبيريا بأيدي الاسبان اصبح علماء المسلمين واساتذتهم المشاهير في علوم الفلك والبحار وغيرها تحت رحمة اعدائهم الذين اعتصروا منهم كل ما يستطيعونه واستغلوهم على احسن ما استطاعوا. وقد ظهر في البرتغال عندئذ سلسلة من الحكام اهمهم هنري الملاح من المتحمسين للاكتشافات البحرية ومن الحالمين بنهب ثروات الشرق الاسلامي والوصول الى الهند ومصادر البضائع الثمينة كالتوابل والحرير وخشب الصندل والعطور والعاج وريش النعام وغيرها.

ان هنري الملاح وغيره من حكام اسبانيا خاصة واوربا الغربية لم يعتبروا سقوط غرناطة وخروج المسلمين من القارة الاوربية نهاية للحروب الصليبية وانما هم استأنفوها ضد شمال افريقيا مستغلين لاقصى الحدود تفوقهم النسبي الناشيء عن تفرق المسلمين منذ سقوط دولة الموحدين التي أنشأها عبد المؤمن بن علي ورد بها عاديات المشركين عن الوطن الاسلامي.. ورغم ان الموانيء العربية الاسلامية في شمالي افريقيا اصابها ضرر بالغ من الاعتداءات الصليبية الا ان المسلمين استطاعوا في معركة وادي المخازن الحاسمة ان يوقفوا كل طموح للاوربيين المعتدين للتغلغل في عمق الوطن الاسلامي.

كذلك فأن استغاثات الاقلية الاسلامية التي بقيت في وطنها الاسباني تقاسي من ظلم الحكومات الصليبية استفزت الكثيرين من المسلمين في المشرق ومن هؤلاء عدد من مشاهير البحارة الابطال كخير الدين بربروسا وبيير رئيسي التركيين ممن اسهموا في القتال دفاعا عن الاسلام في غربي البحر الابيض المتوسط.

على ان البرتغاليين لم يكونوا ليجدوا امامهم اى عائق يذكر في انطلاقهم ازاء السواحل الغربية الافريقية على المحيط الاطلسي، وقد ظلوا بالفعل يتقدمون من هناك شيئا فشيئا، ويطرحون عنهم خرافات الماضي عن محاذير بحر الظلمات الى ان تمكن بحار مغامر منهم يدعى فاسكو دي غاما من الالتفاف قبيل انتهاء القرن الخامس عشر من حول رأس الرجاء الصالح ليدخل المياه الاسلامية في شرقي افريقيا وليصبح المحيط الهندي وكل من البحرين التجاريين المفضيين اليه، البحر الاحمر والخليج العربي مهدده جميعها بطوفان الاوربيين المتحرقين شوقا للوصول الى طرق التجارة الاسلامية ومصادر الشرق للمواد الاولية، وكان البرتغاليون بطبيعة الحال هم رأس الرمح لهذا الزحف الجديد.

## البرتغاليون في الهند والخليج

من الأمور المؤسفة بلا ريب اننا نفتقر الى المصادر التاريخية الاسلامية في سائر الفترات التاريخية غير المواتية لنا. من ذلك هذه الفترة الممتدة من بداية القرن السادس عشر وحتى اوائل القرن السابع عشر حين قامت ثورة اليعاربة العمانيين الذين تمكنوا من طرد البرتغاليين من مسقط ثم من سائر الارض العمانية. هناك بعض المعلومات عن قبيلة الجبور المتفوقة في منطقة الاحساء ولكنها معلومات لا تقدم اية صورة شاملة متماسكة للاوضاع العربية في الخليج خلال ذلك القرن السادس عشر البالغ الحلكه، لكنها تؤكد هدفا اساسيا من اهداف هذا البحث عن البرتغاليين في البحرين وما حولها الا وهو تعاون الأطراف العربية في المنطقة في الانتقاض على البرتغاليين ومقاومتهم قدر الاستطاعة.

نحن لذلك مضطرون مع بالغ الاسف الى قبول الرواية البرتغالية للعديد من الاحداث خلال تفوق البرتغاليين، وازاء هذه الروايات فأن حديثنا عن الحرب الصليبية التي ظلت مستعرة في الشمال الافريقي حتى بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في اسبانيا هو حديث وارد ذلك بأن البرتغاليين كانوا يعتبرون انفسهم جنودا للصليب في محاربة

المسلمين بدلالة ما يلي:

**اولا** : اتصالهم بنجاشي الحبشة وتحريضه على الدخول معهم في حلف نصراني لمقاتلة المسلمين «١» ونشر المسيحية في اراض جديدة.

**ثانيا** : اصرارهم في سائر اتفاقاتهم مع هرمز على تثبيت شارة الصليب على الابنية الادارية الرسمية في الجزيرة...

**ثالثا** : التماسهم من البابا الموافقة على تسمية البرتغاليين بـ «سادة الفتح والملاحة في الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس» وهو التماس أقره البابا وصدق عليه.

**رابعا** : واهم مما سبق جميعا انهم كانوا يكتبون الى الملك عمانويل الاول ملك البرتغال رسائل مستفيضة يتحدثون فيها بافتخار بالغ عن حريق بلاد الكفار «ويعنون المسلمين» وعن بقر بطون الحوامل وجدع انوف الاسرى وآذانهم، ناهيك عن النهب والسلب معتبرين ذلك مفاخر تستأهل التسجيل، وذلك وارد في رسائل سائر قادتهم المعروفين كالفونسو دي البوكيرك، ودي الميدا وغيرهما.

ولم يحدث اطلاقا ان حصلت مواجهة بين الحضارتين الاسلامية والنصرانية على الاسس التي استعان بها البرتغاليون وهي القضاء على طرق التجارة الاسلامية والاقتصاد الاسلامي وتقتيل المسلمين وتشتيتهم واحلال الدين المسيحي والحضارة المسيحية مكان دينهم ولقد كان البرتغاليون يعلمون ان القوة القاهرة هي وسيلتهم الوحيدة للمحافظة على وجودهم ولهذا عمدوا الى انشاء القلاع الحصينة حيثما كان ذلك لازما كما انهم ظلوا في المراحل الاولى من انتشارهم الواسع في الهند والخليج وشرقي افريقيا يحافظون على تقاليد بحرية صارمة ويختارون لقياداتهم افضل الضباط واصلبهم عودا واشدهم احتمالا للشدائد والى هؤلاء يعزى أكبر الفضل في استمرارية حكمهم، حتى اذا ما وقعت البرتغال تحت حكم جيرانها الاسبان عام ١٥٨٠م بدأت تلك التقاليد الصارمة تفقد قوتها وفاعليتها ، وبدا واضحا منذ مطلع القرن السابع عشر ان عهد الضباط الاقوياء المغامرين قد انتهى وان اسطورة المنعة البرتغالية بدأت تفقد سحرها..الى ان جاء وقت اصبح فيه البرتغاليون مجرد مرتزقة يتشبثون بأطلال ماض زال ويؤجرون خدماتهم للحكام المحليين كما تشير الى ذلك الوثائق البرتغالية «٢» نفسها.

## البحرين قبل البرتغاليين

وقبل ان يصبح الكلام واردا في العلاقات البحرينية البرتغالية التي هي صلب هذا البحث، يقتضينا الوضوح العلمي ان نشرح اوضاع البحرين خلال الجزء الاخير من القرن الرابع عشر للميلاد «السابع / الثامن للهجرة» السابق لظهور البرتغاليين على مسرح الاحداث في الخليج، وسوف نجد هنا تشابكا كبيرا في علاقات البحرين بكل من هرمز من جهة، وبالاحساء من الجهة الاخرى. الاولى بسبب وضعها التجاري الفذ، والاخرى بالنظر لتحركات ونفوذ اسرة الجبوريين ولا سيما مقرن بن أجود بن زامل الذي تسميه المصادر العربية سلطان البحرين والقطيف «٣» وأرى من الملائم هنا ان اقتبس بعض ما يذكره صاحب تحفه المستفيد في صدد هذا الأمر «ولما مات سيف بن زامل خلفه اخوه اجود بن زامل واتسعت مملكته بحيث

ملك البحرين وعمان» وانتزع مملكة هرمز من ابن أخ الصرغل. وكان رئيس نجد هذا ذا أتباع يزيدون عن الوصف مع فروسيه.. وقال السيد السمهودي في كتابه «وفا الوفا بأخبار دار المصطفى» «٤» صلى الله عليه وسلم.. رئيس اهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف، فريد الوصف والنعت صلاحا وافضالا وحسن عقيده، ابو الجود اجود بن زامل بن جبر ايده الله وسدده. ويزيد على ذلك الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي في كتابه «درر الفوائد المنظومة» «٥» قوله في اجود بن زامل « ... وولي بعد اخيه واتسعت له المملكة بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكة هرموز من ابن اخ لصرغل كان استقر فيها بعد موت ابيه » .. وهنا تثور اسئلة كثيرة بطبيعة الحال.. متى والى متى استمرت تبعية هرمز والبحرين للجبوريين وما هي الأوضاع التى جعلت من الممكن أن يفضي الحال بمثل تلك المراكز الحضارية والتجارية ذات الثراء والقوى البحرية الى الوقوع تحت رحمة قوة برية نجدية كالجبوريين؟

في الواقع ان الظروف التي جعلت من الممكن قيام دولة قوية في هرمز هي نفسها التي كانت تؤدي احيانا الى انتقال زمام الأمور الى عرب الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية..

## مملكة هرمز وكيف نشأت؟

يذكر تكسيرا انه كان لهرمز القديمة سلالة من الحكام العرب الذين روى تاريخهم احد احفادهم المدعو طوران شاه فذكر ان مؤسس السلالة كان الشاه محمد درهم كوب وهو شيخ عربي من اصل خليجي كون هذه المملكة في اواخر القرن العاشر للميلاد، وذلك قبل فترة ملحوظة من تعرض هذه المملكة التجارية لغارات الفرسان التتار التي اضطرت الملك العربي وشعبه ان يهجروا مدينتهم في البر الاصلي وينتقلوا اولا الى جزيرة قشم ثم الى جزيرة جيرون « الاسم القديم لهرمز ».

ولا يوجد ادنى شك بأن تلك المملكة من مقرها في جزيرة هرمز التي احالها الغنى التجاري من جزيرة جرداء خالية من كل علامات الحياة الى درة من درر المدائن في العصور الوسطى قد بسطت نفوذها على كل من البحرين والحسا والقطيف فضلا عن سيادتها ونفوذها في الاجزاء الجنوبية من ساحل عمان وجزر الخليج الجنوبية.

لكن هذه المملكة شهدت في مطالع القرن الخامس عشر صراعات مريرة على العرش كذلك الصراع الذي قام به سيف الدين مهار ضد والده تهمتن الثالث فيروز شاه حيث ارغمه على التنازل عن العرش فترك ذلك ردود فعل في الخليج بحيث انتفضت البحرين والاحساء على هرمز وتعذر عام ١٤١٧ «٨٢٠هـ» على القوافل سلوك طريق البحرين ـ الحجاز «٦» كذلك ثار الأمير فخر الدين تورانشاه الثاني «حاكم ميناء قلهات العماني» ضد اخيه سيف الدين مهار ملك هرمز وذلك بدعم ومساندة من العرب الذين امدوه بسفن بحرينية وخيول احسائية واموال من تجار عمان وقد دامت حرب الاخوين سجالا اربع سنوات ثم انتهت بانتصار تورانشاه.

ونحن مع الدكتور عبد اللطيف ناصر الحميدان «٧» في مقاله القيم عن نشأة الجبور متعلقا بالظروف التي ساعدت الجبور من بني عامر على توسيع

سلطانهم على البحرين والقطيف.. وهي ظروف تتلخص في انتشار الفوضى الغامرة التي عمت العراق وايران وديار بكر وشمالي سوريا والأناضول نتيجة الحروب المتواصلة فيما بين الدولة التيمورية ودولة قره قوينلو وما بين تينكما الدولتين ودولة قره قونيلو وما بين الاخيرة ودولة آق قونيلو ثم ما بين هذه وبين العثمانيين في بداية نشأتهم.. اضف الى ذلك الصراعات الداخلية على السلطة في داخل كيان كل واحدة من تلك الدول القبلية المتأخرة.. كل ذلك ادى بلا ريب الى ظهور فراغ في السلطة مما يمكن ان ينتفع به السكان المحليون في الاقاليم للخلاص من بطش العتاه المتقاتلين الأمر الذي اضعف الاوضاع الاقتصادية لمنطقة الخليج بعامة، ولجزئه الشمالي بشكل خاص.

## الجبور يتوسعون على حساب هرمز

انتفع اجود بن زامل الجبري كثيرا بتضعضع احوال مملكة هرمز في الثلث الاخير من القرن الخامس عشر بسبب خلافها مع دولة الاق قونيلو في جنوب فارس فراح يركز نفوذه في الاحساء والبحرين حتى اذا ما توفي فخر الدين تورانشاه ملك هرمز جاءت الفرصة سعيا الى الاحسائيين ذلك بأن ابناء فخر الدين الأربعة مقصود وشهاب الدين وسلغور وياس تنازعوا على عرش ابيهم فالتجأ احدهم وهو سلغور الى زعيم الاحساء اجود بن زامل فوافق هذا شريطة ان يتنازل له سلغور نهائيا عن كل حق يدعيه في البحرين والقطيف فوافق سلغور مع تحفظ واحد وهو ان يترك له ملكية خاصة لبعض بساتين البحرين ووقع بذلك اتفاقا مكتوبا مع زعيم الجبور.

ولما استتب الأمر لسلغور في مملكة هرمز كان طبيعيا ان يتململ من عواقب ما ابرمه اضطرارا مع الجبور في صدد البحرين والقطيف فراح يتمحك بادعاء الحق في مقاسمة اجود بن زامل عوائد البلدين لكن اجود استمسك بالنص الحرفي للاتفاقية المكتوبة الأمر الذي ادى الى نشوب القتال بين هرمز والاحساء لكن ضغط الهرمزيين على الجبور كان محتملا وغير فعال لان هرمز كانت بدورها تعاني عقدة الخوف من دولة آق قونيلو التي كانت خلال الحقبة الاخيرة من القرن الخامس عشر تحت حكم رجلها القوي خليل بك موصللو، فلما زال خطر ذلك الرجل عنها لانشغاله بأخطار برية برزت له على حدوده الشرقية بدأت هرمز تشدد من حملاتها ضد القطيف والبحرين.

## موقف البحرين بين الهرامزة والجبور

الواقع ان فشل الحملات التي شنها سلغور بقيادته شخصيا ضد البحرين والقطيف وكذلك الحملات التي وكل بقيادتها وزيره «ريس نور الدين» او الى ولده طورانشاه بن سلغور يدل في حد ذاته على ان البحرينيين آثروا الوقوف الى جانب اخوانهم من عرب القطيف ونجد ضد هرمز ذات الارتباطات الوثيقة بالبر الفارسي.

ولقد انتهت تلك الخلافات على كل حال الى مصالحة شاملة أشار لها المؤرخ البرتغالي دي باروس «٨» معتبرا اياها حلا وسطا وقد تضمنت استمرار الصلاحيات الادارية للجبور في البحرين على ان يتعهدوا بدفع بعض ايراداتها الى هرمز مع الاعتراف الاسمي بتبعيتها النهائية لمملكة الهرامزة. على ان هذه المعاهدة التي يبدو انها عقدت بنهاية عقد

الثمانينات من القرن الخامس عشر لم تكن تمثل سوى فترة مهادنة لصالح فريقين: احدهما كان يمثل طموحا قبليا قويا ويجمع تحت جناحه عواطف السكان العرب في سائر المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وفي معظم جزر الخليج والثاني فريق الدولة التجارية البالغة الغنى والآخذة سبيلها الى الهرم والهزال.

ولقد اخذ كل فريق يعزز مركزه بالوسائل والمزايا المتاحة له فهرمز تستخدم المال والنفوذ والقوة البحرية، والجبور يستغلون مركزهم في البر الشرقي لشبه الجزيرة العربية ولا سيما في عمان حيث يستطيعون من هناك تهديد هرمز في أخطر المواقع الا وهو مخرج الخليج الجنوبي الذي تعول عليه هرمز للابقاء على وجودها نفسه.

وعلينا في هذا الصدد الا ننسى الحروب التي كانت وقعت بين هرمز في بداية امرها وبين اهم مركزين تجاريين للعرب في الخليج خلال القرن الرابع عشر ألا وهما البحرين وجزيرة قيس وهي حروب تواصلت فيما يبدو حتى عام ١٣٢٠ للميلاد بتمكن قطب الدين شاه من الاستيلاء على قيس واخضاع البحرين «٩» وليس ذلك وحسب ولكن جزءا كبيرا من الساحل الجنوبي لعمان على الخليج ظل لفترة طويلة تابعا لملكة هرمز.

ولقد يعجب البعض من تمكن مؤسسة سياسية محدودة الحجم في جزيرة بركانية ضئيلة وقاحلة كهرمز من مد نفوذها على كل تلك المناطق، ولكن هرمز لم تكن بدعا فمن قبلها كانت سائر المدن التجارية كقرطاجنة وتدمر والبتراء تمد نفوذها على مساحات شاسعة بفضل المال الذي يمكنها من تجييش الجيوش وتكثير الاتباع والموالين، وفي حالة هرمز فان المعابر البحرية والمحطات والجزر البحرية لها ما للحياة نفسها من أهمية، فلو انغلق المرور عبر مضيق هرمز بسبب وجود وضع معاد على أحد جانبي الخليج او كليهما فان ذلك معناه الموت المحقق لجزيرة هرمز، ومن هنا كان لابد على الأقل من تحييد ساحل عمان المعروف «بسير عمان» حتى نهايته في رأس مسندم وكذلك ضمان سلامة وأمن العبور من الجانب الايراني المواجه له. اما لزوم البحرين لهرمز فيكاد لا يقل اهمية عن ذلك فهي محطة الاتصال بشمالي الخليج، ووسيلة ضمان سلامة السفن الموقورة بالبضائع الهندية والصينية وغيرها مما يصدر عبر البصرة وتحمله القوافل البرية الى سواحل البحر المتوسط..

ولقد كان التنافس على النفوذ في سير عمان «الامارات العربية المتحدة اليوم» وفي البحرين أمرا أبديا فيما بين القبائل النجدية كالجبور والعوامر عموما وبني هاجر والدواسر والعجمان من ناحية والقبائل العربية القديمة الاستقرار على ساحل فارس المواجه والجزر مدعوم بطبيعة الحال من حكام المناطق الفارسية المتاخمة.. اما في عمان فأن ديمومة حالة التنافس بين الساحل والجبل - وكان يمثلهما في الفترة التي نحن بصددها النبهانيون والاباضيون على التوالي - قد افسح المجال لطموح اجود بن زامل الجبوري للتدخل في عمان وبسط نفوذه عليها.

لقد وقف الزعيم الاحسائي الى جانب الاباضيين ضد النبهانيين اصهار ملك هرمز، ولم يتردد عام ٨٩٣هـ «١٤٨٧م» في ارسال قوات كبيرة بقيادة ابنه سيف لمساندة امام الاباضيين

المسمى عمر بن الخطاب الخروصي وتمكينه بالفعل من طرد سليمان بن سليمان النبهاني وذلك في مقابل امتيازات حصل عليها الجبوريون اضافت كثيرا الى قوتهم وجعلت منهم الخصم الاساسي لملكة هرمز.

## تقييم لموقف البحرين

وهناك حقيقة هامة ينبغي ان تظل ماثلة في الاذهان وهي انه ايا كانت قوة الجبور فهي قوة برية شأنها في ذلك حتى شأن الدولة السلفية الوهابية الاولى بعد ذلك بثلاثمائة سنة الأمر الذي يدعو الى التساؤل عن تباعد موقف البحرين من هرمز واقترابه من الجبوريين علما بأن امكانات البحرين البحرية تجعلها في أمان من عدو داخلي على البر العربي خصوصا اذا كانت على تحالف مع ساحل عمان ناهيك عن هرمز ايضا. ونحن لا نتردد في القطع بأن علاقات البحرين كانت اوثق بالجبوريين منها بالهرامزة علما بأن نفوذ الجبور لم يستطع ان يثبت نفسه في المواقع الساحلية الهامة كميناء مسقط وميناء خورفكان وميناء قلهات.

فلو قد شاءت البحرين ان تؤثر توطيد العلاقات مع هرمز لكان لها ذلك، ولكنها لم تفشل تاريخيا في ان تكون لها أوثق العلاقات بالبر الاحسائي طالما قام فيه وضع سياسي معقول، واذا كان الفضل ما شهدت به الاعداء فان البرتغاليين لدى وصولهم الى الخليج اوائل القرن السادس عشر أشادوا في تقارير مرسلة الى لشبونة بالسلطان مقرن سلطان البحرين والاحساء والقطيف وبسمعته الممتازة وازدهار مملكته، والواقع ان ذلك لا يضفى عليهم اى فضل ولكنها طريقة الاوربيين المستعمرين حيال كل من يعجزون عن الوصول اليه او يتهيبونه بحال من الأحوال، فأما الضعيف والمستسلم فلا قول لهم فيه الا ما يهين ويشين..

## البرتغاليون في الشرق

اذا كان الانجليز قد عضوا بالنواجذ على الخليج العربي مدى قرن ونصف من الزمان من اجل حفظ مواصلاتهم مع الهند سليمة في الحرب والسلام على السواء، جاعلين من المزايا التجارية وغيرها هدفا اضافيا الى جانب ذلك، فانهم قد جنبوا انفسهم بذكاء خطأ البرتغاليين القاتل وهو احتكار كل شيء لانفسهم، واعتصار كل فائدة مادية عاجلة مهما كان اثر ذلك على مستقبل علاقاتهم بالبلاد واهلها مظلما.

لقد وفد البرتغاليون الى الخليج كما يفد الطاعون ولم يكن حديثهم عن الدين والانتصار للصليب الا ورقة التوت الساترة لعورات الطمع وروح النهب والسلب، والتخريب التي تملأ وجودهم وربما لم تكن هناك أمة في أوربا قبل عهد الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر قد عانت من الفاقة نظير ما كان يعانيه البرتغاليون في وطنهم القليل الخيرات.

ولا يمكن نكران الوعي الفكري الذي اوجدته حركة العلم الاسلامي الزاهرة في «الاندلس» ولا القناعات التي اشاعها المسلمون في سائر القارة الاوربية عن كروية الارض. وعن الفرص المتاحة للفكر البشري بالاستكشاف والسير في الأرض.

وترجع بداية الوعي البرتغالي الى عهد اميرهم المسمى هنري الملاح، «١٣٩٤ ـ ١٤٦٠» وهو رجل عاصر الانتصارات العثمانية الكاسحة في بر الاناضول والتي

كللها احتلالهم القسطنطينية عام ١٤٥٣م مسجلين حدثا تاريخيا انهى حياة الجناح الشرقي للامبراطورية الرومانية بعد الف سنة تقريبا من سقوط جناحها الغربي وعاصمته روما. وبالاضافة الى التحدي الضخم الذي طرحه هذا الحادث الجلل في وجوه الاوربيين فهو قد يسر هجرة عدد ضخم من علماء البيزنطيين المتأثرين بالفكر والعلوم الاسلامية في المشرق مما ساعد على ايجاد منهج علمي في اوربا واكمل مجهودات الجامعات الاسلامية في بالرمو بصقلية وفي قرطبه بأسبانيا.. ولعل من النتائج البالغة الخطورة لذلك الحادث انه كان مقدمة لانتصارات اخرى للعثمانيين افضت بهم الى السيادة في العراق وسوريا ومصر وبذلك اصبحت سائر الطرق التجارية التقليدية الكبرى ضمن حيازة الاتراك ولم يعد لموانىء ايطاليا الشمالية المشهورة كجنوه والبندقية تلك المكانة التي كانت تتمتع بها طوال العصر السابق لهذه الاحداث الضخمة.

لقد اصبحت اوربا بكاملها تتحرق شوقا لتحقيق وسيلة تخرج بها من طوق الاحتكار التجاري الاسلامي فلم يكن هناك سوى واحد من حلين اثنين: اولهما محاولة الانتصار على الدولة العثمانية والثاني ايجاد طريق آخر للهند غير الطريق التقليدية عبر البحر الأحمر او الخليج، ولما كان الحل الاول متعذرا، فان الافكار اتجهت للحل الثاني وقد كان البرتغاليون بدافع صلاتهم بالبحر وتنبه افكار ملوكهم لا سيما الفونسو الخامس «١٤٤٣ ـ ١٤٨١» ودون جوا الثاني «١٤٨١ ـ ١٤٩٥» الى ضرورة اضطلاع البرتغال بدور ما في كسر طوق الاحتكار الاسلامي للخطوط التجارية مع الهند والشرق الاقصى ومعظم القارة الافريقية، وكذلك لفقر بلادهم وللحوافز الدينية المتعصبة ضد المسلمين خلال ثمانمائة سنة من وجودهم في شبه الجزيرة الايبيرية «اسبانيا والبرتغال»، اقول قد كان البرتغاليون اول شعوب القارة الاوربية بحل معضلة الطريق الأخر الى الهند، ويجب علينا في هذا الصدد الا ننسى ان مثل تلك الخطوط ما كانت لتتوقع من شعوب الشمال الاوربي كالانجليز والاسكندنافيين والهولنديين مثلا، لأن شعاع الفكر والحضارة الاسلامية انما كان تأثيره الغامر المباشر أشد ما يكون في حوض البحر الابيض المتوسط وبين شعوبه.

ومن الحق ايضا ان نقرر ان البرتغاليين كشعب جبلي متمرس بمشاق الحياة والفقر قد بذلوا في مجال الاستكشافات الجغرافية جهدا يستحق التنويه به.. صحيح انهم التزموا القرب من الساحل الغربي لافريقيا لدى دخولهم المحيط الاطلسي الجنوبي الى ان تمكن بارثلميو دياز من الطواف حول رأس الرجاء الصالح دون ان يدرك في البداية انه كان يستدير ليدخل مياه المحيط الهندي.

وايما كان الحال فبعد عقد واحد من الزمان في عام ١٤٩٨ وصل البرتغالي فاسكو دي جاما الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح واذ ذاك فتحت صفحة جديدة في تاريخ العالم ارتفع بها شأن اوربا الغربية، وتعزز جانب العلم والابحاث العلمية، وانتقل احتكار البضائع الشرقية كالتوابل والحرير لايدي الاوربيين، وأدت الثروات الهائلة الى قيام الصناعات وظهور الثورة الصناعية التي كانت حوافزها الاساسية

السباق المحموم لزيادة الانتاج وسهولة النقل والتصدير الى الشرق لزيادة ارباح المبيعات الضخمة من البضائع المنسوجة وغيرها.

وفي الوقت الذي انفتح فيه باب الثروة للبرتغاليين على مصراعيه فان زملاءهم الاسبان وجهوا اكبر همهم صوب العالم الجديد حيث كانت عمليات النهب تملأ سفنهم بالنفائس والاطايب من بلدان كانت لها حضارات طمست بظهور اولئك الوافدين النهابين من اوربا.

## التركيز ابتداء على الهند

عندما ادرك البرتغاليون حجم الثروات التي يمكن ان يؤمنها الاستيلاء على تجارة الشرق صحت عزيمتهم على احتلال المنافذ الحساسة للبحر الأحمر والخليج علاوة على محاولة الهيمنة على المراكز التجارية الهندية وقد عين فرنسيسكو دي الميدا حاكما عاما للمستعمرات التي انشأها البرتغاليون خلال سبع سنوات في جهات من الهند مثل جوا وكوشن، واسندت اليه ايضا مهام الاستيلاء على مراكز في كل من ملقا في الشرق وهرمز على مدخل الخليج وعدن على مدخل البحر الأحمر.

وعلى صرخات بعض امراء المسلمين في الهند من العدوان البرتغالي ولكل ما ظهر جليا من مخططات البرتغاليين التي جعلوا من جملتها الهجوم على الأماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز، تحركت عبر البحر الأحمر قوة بحرية اسلامية يرجح ان سفنها وبحارتها من سوريا ومصر بالرغم من كون القيادة تركية، وقد دارت معارك عنيفة ومطاردات شرسة بين هذه القوة الاسلامية واسطول البرتغال الحسن التصميم والتجهيز والمزود بمدفعية ثقيلة وقد انتهت الأمور بتشتيت القوة الاسلامية قبالة السواحل الهندية مما زاد في حرج الامراء المسلمين الهنود وضاعف من خطورة الاوضاع في الخليج والبحر الاحمر اضافة الى الكوارث البحرية بين سواحل افريقيا الشرقية والسواحل الهندية.

وفي الوقت الذي ركز فيه الميدا جهوده في جوا عاصمة البرتغاليين الشرقية ليؤثر تأثيرا سلبيا للغاية في الحركة القديمة لنقل الكميات الهائلة من البضائع من موانيء هندية هامة مثل كلكتا الى المخزن التجاري الاكبر في هرمز ليجري نقلها بعد ذلك برا وبحرا عن طريق البصره الى موانيء كجده والطور، نقول في ذلك الوقت عين عام ١٥٠٦ رجل من أشرس رجالات البرتغاليين واقواهم نفوذا الا وهو الفونسو دي البوكيرك ليتعامل مع عرب الخليج.

## البرتغاليون في الخليج

قبل ان ندخل في اية تفاصيل عن همجية البرتغاليين في الخليج ومخططاتهم الفاشلة ضد حمى الاسلام المقدس في الحجاز يجب ان ننوه بأمر لعل اكثر مؤرخينا لم يولوه الاهمية والرعاية اللتين يستحقهما الا وهو الاتصالات البرتغالية التي سبقت التدخل المسلح.

فمن الثابت ان دون بيدرو البرتغالي شقيق هنري الملاح قد اوفد في بعثة الى البلاط العثماني واخرى الى البلاط الفارسي وذلك لاجراء اول عملية كشف واستجلاء للأمور كذلك يشير مؤلف دليل الخليج «١٠» الى ان دون جوا الثاني ملك البرتغال «١٤٨١ - ١٤٩٥» قد أرسل بعثات برتغالية متعددة في صدد البحث عن بلاد التوابل وذلك كمقدمة لما كان

يساور البرتغاليين من آمال في هذا الصدد. ومن هؤلاء جوا بيرس دي كوافيلوا الذي انفصل عن زملاء له في عدن ويمم شطر كلكتا وجوا وهرمز ثم عاد الى القاهرة مترافقا مع «ابراهام» البيجاوي الذي كان قد اوفد تحت رعاية ملكية في لشبونة الى كل من بغداد وفارس وهناك موفدون آخرون قصدوا عاصمة اثيوبيا.

ان اغلب الظن ان بعض اليهود المستعمرين من شبه جزيرة ايبيريا لعبوا دورا في نطاق مهام هذه البعثات الاستطلاعية، والواقع ان الفرصة التي كان يراد انتهازها هي الخلاف الحتمي الذي كان سينتج من توسع الدولة العثمانية على حدود فارس، وبذلك خطط الغربيون لجذب فارس الى صف الغرب في صراع محتمل مع المسلمين في الشرق بما فيهم العثمانيون.

وذلك هو الذي حصل لاحقا وما كان ممكنا ان يحصل في يوم او ليلة. ان الحلف الصفوي البرتغالي انما جاء نتيجة مساع قديمة حصل فيها تفاهم بين البرتغاليين وعناصر فارسية مختلفة وانه لمن أسف بالغ ان عمان التي كان لابد ان تتلقى الصدمة الاولى من لدن غاصب مقبل من سواحل افريقيا الشرقية لم تكن في وضع داخلي قوي لاستقبال الغزاة البرتغاليين بمقاومة جدية صادقة. فلقد اشرنا من قبل الى ظروف الخلافات الداخلية فيها وتدخل كل من هرمز والقطيف في شئونها، ولكنه يبدو ان الامامة العمانية كانت تعتبر مسئوليتها الأمنية مقصورة على مناطق الامامة الداخلية حيث ان ثغور الساحل كانت مرتبطة بهرمز، ويرى الدكتور سليمان محمد الغنام، «١١» ان سكوت الامامة عن كل ما حصل في مسقط وقريات وصحار وقلهات من فظائع البرتغاليين ناتج ايضا عن اليأس من امكان المواجهة مع البرتغاليين وهم بكل العنفوان الذي ظهروا به. على أنه يمكن ان يقال بحق أن الاوضاع السياسية والاجتماعية في عمان كانت قد بلغت من الضعف والهزال ما جعل السكوت عن جرائم البرتغاليين في السواحل مجرد تعبير عن حالة من التدهور والانحلال.. وهي أحوال ظلت تأخذ ابعادها الى ان افضت في بداية القرن التالي الى ثورة اليعاربة.

## الاوضاع المتدهورة في الخليج

وقبل ان نتحدث عما وقع في عمان وغيرها نرى ان هناك ظاهرتين تلفتان النظر ولابد من أخذهما بعين الاعتبار في تقييم الثورة التي قامت لاحقا في البحرين ضد البرتغاليين.

فأما الحقيقة الاولى فهي ان شعوب المنطقة في حوض الخليج وشرقي افريقيا بالكامل كانوا في حالة متدهورة من سائر النواحي الاجتماعية والنفسية، وحسب المرء ان يقرأ في الرسائل الموجهة من شيوخ من افريقيا الشرقية والخليج وفيها من التعظيم والتفخيم لضباط البرتغاليين ومسئوليهم العسكريين ما تشمئز له النفس وتعافه.. لقد كانت هذه الرسائل تستغرق صفحتين احيانا فهم حماه البر والبحر وأمن الخائف وقاهرو الاعداء .. الى آخر ذلك. وفيما يلي بعض مقدمات تلك الرسائل.« ١٢ ».

**الى حضرة الملك الافخر والمولاء الاعظم سلطان دون منويل والى البر والبحر معطي الاحسان في كل مكان مالك ممالك الدنيا مظفر الاعداء ومملكته من**

الشرق الى الغرب عظيم السياسة وقديم الفراسة ذو الجود صاحب السيف والقلم باسط اللطف واتم العدالة خلد الله سلطنته وايد ملكه دايما ابدا ثم نعرض على حضرتك الشريفة بأن عام الأول اتانا كتابكم الشريف وفرحنا به.. غاية الفرح والابتهاج ونعلمك يا سيدي..

***

الحمد لواهب العقل هذه عريضة المحبة والمودة من بندر برتكال بندر كننوز الى الحضرة الاخوية ذو المكارم الحميدة دون واسلو دغامه اعظم كبار البرتكال المعين على زم المحبة ونوايب زمان عهده وزير الميرانتي اعلا الله شانه وقرر دوامه اما بعد المحبة الخالصة والموده الصافية نعرض على شانك الشريف بأن المكتوب المرسل بالمحبة قد وصل الى حضرت كولترى وقراه كلاما بعد كلاما وفرح به فرحا كثيرا على ما راء فيه من المحبة ودعي لكم بطول العمر وزياد دولتك وهو كل يوم يذكرك لأجل ازدياد محبتك وانا لأجل محبتي لك كتبت كل هذا الكتاب سرا وما احد عرف.

وثانيا: ان الاسر الحاكمة في المنطقة هبطت بالمستوى الخلقي للمسلم الى دون الحد الادنى الذي يمكن للمرء ان يتصور تراجع المسلم اليه، ففي خلال رحلة للبوكيرك مثلا الى هرمز سابقة لوفاته بسنة واحدة ـ أي عام ١٥١٥ للميلاد استقبل سفيرا موفدا من قبل الشاه اسماعيل الصفوي من طهران فكان من جملة الاقتراحات التي طرحها للمفاوضات « ١٣ ».

**اولا** : ان تقدم البرتغال بعض سفنها لايران كي تتمكن الاخيرة من غزو البحرين والقطيف.

**ثانيا** : ان يقوم تحالف بين فارس والبرتغال ضد تركيا.

ولسوف نرى لاحقا ان احدا على المدى الطويل لم ينج من خطيئة التحالف مع البرتغاليين لغرض اواخر كما حصل من متسلم البصره في استعدائه السفن البرتغالية ضد السواحل القطرية بعد فترة طويلة جدا من وجود البرتغاليين وانكشاف كل مساوئهم.

بدأ البوكيرك لدى وصوله سواحل عمان «١٥٠٧» م بتدمير سائر مراكب العمانيين التي صادفها في طريقه ايا كان نوعها. وكان من بينها تجمع من حوالي عشرين سفينة عند جزائر كوريا موريا على ساحل عمان على بحر العرب، وعندما وصل الى قلهات قيل انه استقبل بحفاوة حالت بينه وبين ايذاء المدينة ومنها تحرك البرتغاليون الى قريات فاحتلوها عنوة.

وبينما يذكر كاتب مقال « البرتغاليون في جزر البحرين » «١٤» ان مسقط رفضت التسليم لذلك فتح البرتغاليون عليها نيران مدافعهم البحرية الى ان استسلمت يقول-لوريمر ان البوكيرك لم يجد في مسقط اية معارضة حين بلغها « ١٥ » لكن قوات كبيرة بدأت في التجمع على الساحل بنوايا عدائية واضحة الأمر الذي حمل البوكيرك على النزول الى البر وضرب المدينة واشعال النار فيها وفي مينائها.

ويقول صاحب مقال الجمعية الملكية الاسبق ان البرتغاليين عمدوا الى رؤساء الاحياء والقبائل وسائر شخصيات

مسقط فاحتجزوهم واهانوهم وقطعوا انوفهم وآذانهم ثم انقضوا على المدينة فنهبوها وبعد ان ملأوا سفنهم بما احتملوه قاموا باحراق المدينة ثم انطلقوا ليكرروا نفس هذه العمليات في سلسلة من المدن والقرى العمانية الساحلية.

ويؤكد ويلسون هذه الحقائق المأساوية « ١٦ » موردا نفس الاوصاف عن الحرق والنهب والتمثيل بالاحياء في صحار وخورفكان وكل مكان معمور مر به اولئك البرابره الى ان وصلوا الى رأس مسندم ليتوجهوا من بعد الى هرمز في العدوة المقابلة من الخليج.

وانه لمن أسف بالغ حقا ان وقوع تلك الجرائم البربرية في مدن المسلمين لم يكن كافيا لردع المتهارشين على زعامات المدن والقرى الداخلية في عمان عن مواصلة نشاطهم المخرب ضد بعضهم بعضا.

## البرتغاليون وهرمز ـ البحرين تقاتل الغزاة

هنالك على وجه التحقيق غموض اكيد فيما يتعلق بحقيقة ما حصل لدى اقتراب البرتغاليين من جزيرة هرمز فالمصادر مجمعة على ان العرب الذين اصبحوا على يقين مما يفعله البرتغاليون في الذين يستسلمون لهم كما حصل على امتداد الساحل العماني من نهب واحراق وتمثيل بالاحياء وسبي للاولاد والنساء كانوا قد قرروا ان يدافعوا عن هرمز ليس فقط لان السيادة فيها لحاكم عربي وحسب ولكنها لأنها بالنسبة لهم جميعا هي حاضرتهم الاولى وهي محج التجار والبضائع والسفن من كل مكان، وهي بالنسبة لهم تعني حياة ميسورة ورزقا جاريا.

ان المصادر الغربية التي تنفرد بالحديث عن سائر وقائع الغزو البرتغالي تناقض نفسها حين تشير الى الملابسات الواضحة في سلوك البرتغاليين حيال هرمز في الوقت الذي تؤكد فيه وقوع قتال غاية في الضراوة.. فهل كان البرتغاليون يبقون على شيء لو كتب لهم النصر واقتحموا الجزيرة عنوة..؟ هل كانوا يغضون عن وضع يدهم على جمارك هرمز؟.. الواقع ان حقيقة ما حصل ولا سيما بالنسبة لنتائج القتال يجب ان يكون مغايرا كل المغايرة للرواية البرتغالية التي أخذ بها سائر المؤرخين الغربيين.

ان الحقيقة تقتضينا مناقشة مختلف صيغ الروايات التي بين ايدينا عما جرى بين البرتغاليين وهرمز التي اعدت دفاعا مستميتا كما تقدم للاشتراك معها في المعركة اسطول بحريني ومتطوعون من كرمان ومن الجزر والسواحل بحيث اصبح عددهم اضعاف عدد المهاجمين كما ان تحصينات الجزيرة والسفن المدافعة عنها على طول سواحلها واستدارتها لا ريب لقنت البرتغاليين درسا لم يكونوا يتوقعونه وهو الذي اعاد لهم الصواب وحطم من عجرفتهم وتصرفاتهم الجبانة الدنيئة ضد السكان المسالمين باسم الدين وهو براء منهم.

ولنبدأ برواية لوريمير يقول هذا الرجل بكل الروح الصليبية التي يظهر بها كلما عالج موقفا تاريخيا ينطوي على شجاعة من المسلمين ودفاع عن مبادئهم ما يلي..«١٧» واخيرا وصل «يعني البوكيرك» الى هرمز.. الى الملك او الشيخ الذي كانت كل القرى بساحل عمان التي مر بها (يعني البوكيرك) خاضعة له وتدفع له الجزية ، وكان اسمه سيف الدين ، وقد

رفض ذلك الشيخ ان يستسلم فبادر البوكيرك الى الهجوم بأسطوله الصغير على الاسطول الضخم الذى كان يتولى الدفاع عن الجزيرة وبعض سفنه هندية ، واستطاع البوكيرك ان يحرز نصرا سهلا وتاما .

وفي سبتمبر ١٥٠٧ وقع البوكيرك معاهدة مع الشيخ سيف الدين أصبح هذا بمقتضاها تابعا للتاج البرتغالي بل انه ايضا وبعد شهر رفع على قصره علما عليه شارة الصليب، وبدأ البرتغاليون ينشئون لهم قوة اطلقوا عليها «جيش النصر» وفيما بعد رفض الشيخ سيف الدين رسالة من الشاه اسماعيل ملك فارس تطالبه بالولاء وفاقا لاوامر البوكيرك الذي ارسل بدوره مع جواب سيف الدين رسالة مفعمة بالعجرفة لتسليمها للشاه.

هذه هي الصيغة التي اصطنعها صاحب دليل الخليج ونلاحظ عليها ما يلي:

**أولا** : ان البوكيرك الذي احرز نصرا سهلا كان من العفة بحيث لم ينهب الجزيرة رغم كل اهرائها الملأى بأثمن البضائع العالمية بكميات هائلة، ورغم الثراء الفاحش في قصورها.. والجواهر والذهب مع نسائها.

**ثانيا** : اما السفن الهندية التي يتحدث عنها لوريمر فهي سفن لبعض امراء المسلمين الهنود الذين كانوا يتحرقون شوقا للجهاد ضد البرتغاليين في اي مكان في الدنيا بعدما بلوا ما بلوه من غدرهم وهم فيما بعد كما سنرى استنجدوا بتركيا واستقبلوا بعض سفنها الحربية التي وصلت اليهم استقبالات حاشدة.

**ثالثا** : يحاول لوريمر جهده ان يخفى معظم قسمات الصورة التي يريدها ان تعكس اسباب فشل البرتغاليين فيلمح الى دور الشاه عباس ملمحا كما رأينا الى ان البرتغاليين الذين مكنهم الشاه عباس مما لم يكونوا قادرين بقوتهم على الوصول له اخذوا يديرون له ظهر المجن في موضوع هرمز.. ولو شاء لوريمر ان يتكلم حسبما قرأ في مصادره لاستطاع ان يقول ان القتال كان في غير صالح البرتغاليين لكن الشاه عباس تدخل في صالح اصدقائه البرتغاليين ونكاية في عرب الخليج وتخوفا من أنباء التقدم العثماني الذي كان ينذر باحتلال العراق والتقدم جنوبا الى مناطق الخلافة الاسلامية السابقة.

لكن هناك رواية اوضح واقرب الى المنطق من رواية لوريمر وهي رواية ويلسون صاحب الكتاب المعروف عن الخليج(١٨)، وفيما يلي اقدم الجزء الهام من تلك الرواية ليلاحظ القارىء مسافة البعد بينها وبين رواية لوريمر.

«ومن رأس مسندم مضى الاسطول البرتغالي الى هرمز مباشرة، وهي كانت عاصمة سائر الثغور والاقاليم التي اشرنا من قبل لها.. والقى البوكيرك مراسيه قبالة الجزيرة.. وقد كان البرتغاليون في البداية في خشية وتردد لضخامة وطبيعة الواجب الذي كان عليهم الاضطلاع به» لقد امكن لرؤساء الاسطول البرتغالي ان يشاهدوا عن كثب عظمة المدينة ووفرة الرجال والفرسان المتجمعين على سائر الساحل، والسفن العديدة الرابضة في المراسي والمشحونة بالرجال والسلاح.. وقد اصيب البرتغاليون بخيبة امل وأسى بالغين وتقدموا نحو البوكيرك ليصارحوه ويحذروه من مغبة ما كان مقدما عليه، لان تلك الحاضرة لم تكن كغيرها من المدن والقرى التي دمروها».

ثم يمضي ويلسون ليقول: لقد كان ملك هرمز قد تلقى معلومات عن البرتغاليين قبل دنوهم من بلده وأعد للأمر عدته وهو هنا يروي عن فاريا دي سوسا البرتغالي قوله «حينما وصل البوكيرك الى هناك كان سيف الدين يافعا يناهز الثانية عشرة من عمره

وانما كان يتولى ادارة البلاد الخوجا عطار وهو رجل حاذق وشجاع، بادر حينما سمع بأفعال البوكيرك في عمان باقامة الاستعدادات وتسخير سائر السفن بالدفاع عن البلد كما استأجر جنودا من المقاطعات المجاورة من العرب والفرس وغيرهم، وبذلك اصبح في المدينة من المدافعين عنها ثلاثون الف جندي محارب بينهم اربعة آلاف فارسي من المشهود لهم برمي السهام كما كان في الميناء من بين أربعة آلاف سفينة وقارب ستون سفينة ضخمة عليها الفان وخمسمائة مقاتل. وهذه الارقام هي التي يوردها فاريا دي سوسا لكن ويلسون يضيف بأن خوجا عطار نصب على سفن الميناء الكبيرة مدافع ضخمة كما سلح قوارب خفر الساحل السريعة بمدافع صغيرة وشحنها برجال من رماة السهام.

ثم يعترف ويلسون بقيام مفاوضات بين الطرفين.. لكنها مفاوضات انتهت الى الفشل فقام البوكيرك على الاثر بهجوم «لم يكن سهلا بحال من الاحوال» فأحرز انتصارا بحريا كاملا.

وينقل ويلسون عن سوسا هذه الفقرة مما سمي بالتعليقات ـ وربما كان المقصود بها شروحا على متن تلك المذكرات وفيها يروي هذا الحوار «لقد سمع ملك هرمز رسالتكم ويرغب ان يعرف منكم ماذا تريدون، وماذا تنشدون في هذا المرفأ فأجاب الفونسو البوكيرك بقوله «قل لملك هرمز ان الملك دون عمانويل ملك البرتغال وسيد الهند يرغب في صداقته كثيرا فأرسلني الى هذا المرفأ لأخدمه بأسطوله، فاذا كان الملك راغبا في ان يكون تابعا له يدفع له الجزية فسوف اعمل سلاما معه وأخدمه في كل شيء يأمرني به ضد اعدائه، واذا كان غير راغب دعه يعلم انني حتما سأدمر كل اسطوله الذي يضع ثقته فيه وآخذ مدينته عنوة بالسلاح».

فاذا فرضنا جدلا ان ذلك هو الذي اجاب به الفونسو البوكيرك فمتى يمكن لذلك السفاح ان يقول انه جاء لخدمة امير شرقي ؟ ومتى كان يضع نفسه تحت امر احد من قادة المناطق المحلية ؟ انه حتى لو كانت رواية هذا الحوار صحيحة لا غبار عليها فانها تدل دلالة مبطنة على ان البرتغاليين ذاقوا مرارة خسائر ضخمة قبل ان تتحسن لغتهم. ثم ما قيمة التهديد بعد وقوع قتال مرير كما يروي ويلسون نفسه نقلا عن سوسا ؟

ما الذي منع البوكيرك من تدمير هرمز كما فعل في مسقط وغيرها ؟ هل يمكن ان يكون ذلك غير العجز الفاضح ؟

ان الحلقة المفقودة في هذه القصة هي بلا شك الدور الذي لعبه الشاه الصفوي..

وان من مثيرات الشك في مجمل الرواية البرتغالية مثلا الخلاف الشديد بين الشاه اسماعيل الصفوي وبين شيخ هرمز حول من يأخذ ما سمي بالجزية.. أهو ملك فارس ؟ أم الفونسو البوكيرك ؟.. وهناك كلام كثير في الرواية البرتغالية مفعم بالكبرياء والعجرفة لكنه لا يخفي عجز البرتغاليين عن تسيير الامور وفق ما كانوا يتمنون في هرمز، ويبدو منه جليا ان البوكيرك والشاه الصفوي كانا على مسافة بعد واضحة في تقييمها لسائر الامور. فالشاه فيما يبدو هو الذي اقنع الهرامزة بأن يردوا كيد البرتغاليين بقبول صلح معهم، وربما يكون قد تكلم عن مزايا مالية امام البوكيرك فيحمسه على المهادنة التي كانت في صالحه اي صالح البوكيرك، وكذلك ليشعره ان هرمز وغيرها انما تطيع ملك فارس وتحارب وتسالم برأيه.. لكن الشاه الصفوي وجد البرتغاليين قد احسنوا التفاهم مع الهرامزة ولذلك فلم يقروا دفع شيء للصفويين !!

وهناك موضوع يثير الشك في ادعاءات

البرتغاليين الا وهو التمرد العلني الذي قام به قباطنة السفن ممن اشتركوا في محاولة لاغتيال البوكيرك، الامر الذي اضطره ـ اي البوكيرك ـ على راي سوسا «ان يتخلى مؤقتا عن الفتح !!»[١٩].

## دور البحرين

ولا يشير اي من ويلسون او لوريمير الى دور البحرين في تلك المعمعة بالرغم من العلاقة الخاصة بين هرمز والبحرين غير ان كاتب مقال الجمعية الملكية الاسيوية[٢٠] يقرر ان البحرين كانت تابعة لهرمز، حيث ان الاخيرة كانت السوق الرئيسية لتصريف لآلىء البحرين.

يقول المقال المذكور ما ترجمته بالحرف «لقد ارسلت البحرين اسطولا عليه امداد من الرجال والمؤن الى ميدان المعركة في هرمز، لكن البرتغاليين تحصنوا لهذه القوة وكمنوا لها في مياه جزيرة قشم وقد تمكنوا بعد قتال مرير من اغراق السفن البحرينية. وعلى الاثر دار قتال بحري عنيف جدا بين المهاجمين والمدافعين عن هرمز وانتصر البرتغاليون رغم ضآلة عددهم وامكن التوصل لنصوص معاهدة بين هرمز والبرتغاليين سمح بموجبها للبرتغاليين ببناء قلعة لهم ولكن البوكيرك اضطر لمغادرة تلك الاراضي والتوجه عائدا الى الهند بسبب تمرد ضباطه عليه.

## الخليج والبحرين في ظل الحلف الصفوي البرتغالي

ان الاضطراب في الروايات عن حقيقة ما جرى في هرمز، وعن تفاصيل الوفاق الثلاثي بين الشاه والبوكيرك وخوجا عطار الذي انهى حالة القتال في هرمز وبالتالي أوجد وضعا غير مريح لضباط الاسطول البرتغالي فضلا عما تكبدوه من اصابات وخسائر لم يتعودوا عليها من قبل حين سقطت عمان بأيديهم نتيجة المباغتة وعنصر العنف في الهجوم وتفرق كلمة العمانيين.. وقد ادى ذلك كله الى تمرد الاسطول وانسحاب البوكيرك الى الهند، وان كان أحد لا يستطيع ان يجزم بمنشأ التناقضات الغريبة في الموقف.. كأن تبنى قلعة برتغالية في هرمز وتكف ايديهم في الوقت نفسه عن ادارة الجمارك او ابتزاز الغنائم..

وعلى كل حال فان تقديم مكافأة مالية من هرمز لجهة ما كان دائما امرا واردا فهي بلد صغير اكثر ما تجبئه اهميته من اقتداره المالي، وقد كان النزاع على من يستحق هذه المكافأة أهو الشاه اسماعيل أم البوكيرك، يؤدي الى خلاف خطير لكنه يبدو ان الشاه كان حيال التهديد التركي له مستعدا للتنازل للبرتغاليين عن كل شيء وسنرى ان الحلف الصفوي البرتغالي قد استمر طوال خمسين سنة، وان ممن قاسوا بسببه كانت البحرين بالرغم من علاقاتها الوثيقة بدولة الجبور وترحيبها بجهود العثمانيين ضد غطرسة البرتغاليين.

ومن الغريب ان تتناقض مصالح السكان العرب وتختلف بالتالي مواقفهم من العدو البرتغالي الواغل، ذلك بأن السكان العرب لمدينة البصرة التي وقعت تحت النفوذ الصفوي اعتبارا من عام ٩١٤ للهجرة الموافق ١٥٠٨ ميلادية[٢١] وحتى عام ٩٥٣ هـ (١٥٤٦) حين دخلها العثمانيون ظلوا موادعين نتيجة الرفاه الحاصل من حالة السلام الناشئة نتيجة معاهدة الصداقة المعقودة رسميا بين البرتغاليين والصفويين[٢٢].

غير ان البصرة الواقعة في اقصى شمال الخليج لم تكن تصطلي بنار البرتغاليين على المستوى الذي خبره الناس في جنوبي الخليج وعلى اية حال فان موقف الحكم الصفوي الموالي للبرتغاليين كان عنصرا

ضاغطا في البصرة بحيث لم يحصل فيها اي تجاوب مع ثورة البحرين.

لقد أضحى واضحا بعد معركة جالديران (٩٢٠ هـ ـ ١٥١٤ م) والتي انتصر فيها الاتراك على الفرس فدان لهم نصف العراق الشمالي بما فيه العاصمة بغداد، ان الصفويين لن يدخروا أي جهد يستطيعونه للسير مع البرتغاليين قلبا وقالبا. كذلك فان دولة العثمانيين الاتراك اصبحت تدرك مدى مسئولياتها حيال دفع الخطر البرتغالي ليس عن اماكن الاسلام المقدسة وحسب، ولكن ايضا عن طرق التجارة الاسلامية في كل من المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج.

ولا يمكن لنا ان نتصور وقوع هزيمة جالديران بالصفويين دون ان يترك ذلك رد فعل في الخليج، ولو قد فرضنا المستحيل ووضعنا على مستوى واحد تهديد العثمانيين والبرتغاليين للمنطقة بأسرها فان خطر البرتغاليين كان خطرا واقعا فيما كان التهديد العثماني امرا بعيدا حيث كان نصف العراق الجنوبي ما يزال بأيدي الصفويين كما ذكرت.. وليس هناك شك في ان عرب الساحل الشرقي للجزيرة العربية كانوا يعتبرون العثمانيين منقذين لهم من بطش جبابرة الصليبيين واذا كان المسلمون في الهند يعتبرونهم كذلك افلا تكون عواطف عرب الجزيرة معهم ؟

وأيما كان الحال فان جرأة البحرينيين في مقاومة البرتغاليين والانقضاض عليهم لا يمكن الا ان تكون اكتسبت تشجيعا بأخبار الانتصارات العثمانية على البرتغاليين..

ويستدل من دراسة اوامر الجيش العثماني في القرن السادس عشر[٢٣] بأن تأخر الاتراك بعض الشيء في التقدم جنوبا الى البصرة في العراق انما كان مرده التركيز الملح على عدن اذ كان دخول البرتغاليين الى عدن فالبحر الاحمر يعني تهديدا خطيرا للاماكن المقدسة الاسلامية، وهو ما كان البرتغاليون يصرحون به.

ولا شك ان ارتحال البوكيرك من منطقة هرمز عائدا الى الهند وانهماكه بعض الوقت في الاشكالات الناتجة عن تضارب صلاحياته مع صلاحيات دي الميدا في جوا والتي دامت الى عام ١٥٠٩ حين فصل فيها[٢٤] ملك البرتغال بتسمية البوكيرك نائبا له في الهند اقول ان ذلك الارتحال على الصورة التي تم بها، وتلك المشكلات وما دار من جدل بشأنها أدت الى الاضرار بالسمعة التي كان يتمتع بها البرتغاليون كقوة شديدة المراس وليس يعلم يقينا طبيعة الخلاف الذي اشتد بين الميدا نائب الملك حتى ١٥٠٩ وبين خصمه وخلفه في المنصب الفونسو البوكيرك ولكن يبدو ان تمرد القباطنة ومسألة الصلح في هرمز والخصام بين حكام البرتغال مترابطة وتدور على محور واحد هو استئثار البوكيرك بالرأي واعتداده بنفسه اعتدادا ملؤه الغرور والعجرفة، وليس مستبعدا ان بعض القباطنة كانوا يعملون بتوجيه من دى الميدا، ويبدو ان انصار البوكيرك في لشبونة كانوا هم الفريق الاقوى بحيث اتخذت حكومة البرتغال قرارا جاء مباغتا لألميدا وهو تسليمه مقاليد منصبه لخصمه، ويذكر ويلسون[٢٥] ان الميدا رفض اول الامر تسليم المنصب الى البوكيرك لكنه اذعن لاحقا.. وفي هذه الفترة اشتدت المقاومة للبرتغاليين في الهند نفسها كما ظهر على غير توقع اسطول عثماني لمعاونة الامراء المسلمين، وقد افضى تطور الامور الى خسران البرتغاليين جوا كما خسروا هرمز ولكن قوة الاسطول البرتغالي مكنته من سرعة استرداد جوا. كذلك فان الحملة البحرية العثمانية بقيادة سليمان باشا[٢٦] لم تكن اكثر من تعبير عاطفي لتطمين الهنود المسلمين واثارة حميتهم لمواصلة مقاومتهم للبرتغاليين.

## الحقد الصليبي البرتغالي

## يؤخر الهجوم على البحرين والبصرة

كـان واضـحـا من اضـطـراب امـور البـرتغاليـين في الهند حـين يركـزون عـلى الخليج، وفي الخليج حين يركزون على الهند ان ما حققوه بالدعاية والعنف كان في الواقع اضخم من امكاناتهم.

وبعد استرداد انفاسهم باستعادة جوا عاودوا التفكير في حل جذري يخلصهم من الفكرة السائدة في شعوب الشرق الاسلامي بأن دولة الخلافة قادمة للقضاء على كل ما صنع البرتغاليون ورتبوا في عالم المسلمين سواء أكان ذلك في الهند أم في شرقي افريقيا ام في الخليج.

ورغم الاخبار المقلقة التي كانت ترد الى البوكيرك عن زوال سائر الاثار الحاصلة عن غزوته البحرية لجنوبي الخليج، الا انه كان على اعتقاد راسـخ بأن الطريقـة المثلى هي القضاء على الاتراك من مكان تـدفقهم الى مسرح الصراع عن طريق البحر الاحمر.

وقـد كتب رسـالة الى لشبـونـة عـام ١٥١٢(٢٧) يقول فيها «عـلى انني أؤكد ان اعظم المخاطر على جوا انمـا هو الاعتقـاد الراسخ المتداول بأن الاتراك قادمون، وهذا امر يثير اكبر الاخطار في الهند ويسبب بلبلة عـظيمـة للسكـان المحليـين الذين دخلوا النصرانية، وانني ازاء هذه الظاهرة المؤذية أود ان ارفع لجلالتكم بكل احترام بأننا ما لم ندخل البحر الاحمر فنؤكد للمـذعورين في الهند بأن لا وجود لمن يخافونهم من الترك فانه لا امل في استقرار السلام بين رعـايا جلالتكم في الهند.

وبعد ارسال هذه الرسالة بفترة وجيزة توجه البوكيرك مع اسطوله كله من جوا الى الغرب يريد عدن فمكة على انه بسبب عامل المناخ لم يستطع ان يحقق اكثـر من ازالة قلعة سوقطرة بعد ان تقـرر عدم التمسـك بـذلك الموقـع، ولكي لا تقع القلعـة في يـد الاعداء، كما ان البوكيرك تلقى دفعة مالية من هرمز.

وفي فبراير ١٥١٣ وصلت توجيهات من ملك لشبونة الى البوكيرك بأن يتقدم بكامل اسطوله الى عدن عسى ان يندفع بعد ذلك عبر مضيق باب المندب الى البحر الاحمر. وكان مع البوكيرك عشرون سفينة كبيرة تحمـل الفا وسبعمائة جندي بـرتغالي وثمـانمائـة مالاباري وكناري قاصدة رأس غردقة ومن هناك توجه الركب الى عدن. لكن الهجوم على عدن انتهى الى فشل ذريع ذلك بأن اقصى ما استطاع البرتغاليون ان يفعلوه هو احراق بعض المراكب التي كانت راسيـة في الميناء بعد ان اتموا نهبها لكنهم وجدوا التقدم بعد جزيرة قمران عملية مكلفة جدا فعادوا الى موقع ديو وحاولوا التحرش مرة اخرى بعدن ففشلوا في احداث اي شيء في المدينة.

لقد اصيبت سياسة التطرف والمجازفات العدوانية الخيالية، والتصـورات الحاقـدة بـامكان الوصـول الى مكة والاعتـداء على أقدس مقدسات الاسلام بضـربة شـديدة بالفشل الذي صادفته حملة البوكيرك هذه التي استطاع ان يحمل لشبونة على الموافقة عليهـا وان يسكت صـوت البـرتغـاليـين المعتدلين الذين كانوا يرون خطا آخر مختلفا جدا للعلاقـات البرتغـالية في الشـرق، ولا يؤمنون بسياسة بناء القلاع والاعتماد على البطش بعدما تبين لهم ان العالم الاسلامي اكثر سعة، واخصب بمواطن المقاومـة مما كانوا يتصورون. والواقع انـه لولا الموقف الغريب لدولة الصفويـين في فارس لـما كان البرتغاليون جديرين بأن يحققـوا شيئا الى جـانب ما حققـوه في الصدمـة الاولى التي صدموا بها قرى الساحل العماني ومدنه.

وعاد البوكيـرك الى جوا ليستقبـل فيها سفيرا للشاه الصفوي اسماعيل جاء يحاول

توسيع نطاق التحالف الفارسي البرتغالي، وكان واضحا ان الرياح في هرمز باتت تهب في غير الجهة التي تلائم البرتغاليين فقرر البوكيرك ان يرسل تحت قيادة ابن اخيه بيرو حملة الى مدخل الخليج، وقد وفق هذا في نهب بعض المراكب التجارية العربية قرب سوقطرة لكنه فشل بعد وصوله الى هرمز في مايو ١٥١٤ حيث رفض شيخ الجزيرة تسليم القلعة للبرتغاليين او دفع ما يدعونه عليه من متأخرات الجزية، وذلك ببساطة لانه لا يدين بالولاء لغير الشاه اسماعيل الصفوي.. وفي خريف ١٥١٤ عاد بيرو ليخبر عمه بسائر تفاصيل رحلته الفاشلة.

ان هذه الاحداث لا تترك مجالا للشك في ان الشاه الصفوي كان يتخذ من هرمز ورقة رابحة للتفاوض مع البرتغاليين لرفع مستوى الحلف فيما بينهما ضد الاتراك والعرب من سكان المنطقة، وذلك في وقت كان فيه البوكيرك يتحرق غيظا لتحقيق نتائج رنانة يمكن ان يرضي بها لشبونة ويسكت هناك حجج المنتقدين لسياسته.

## أول اقتراب برتغالي من البحرين

ويبدو ان البحرين كغنيمة محتملة يستدر بها رضا المسئولين في لشبونة، لا سيما حيال العجز الواضح عن اقتحام البحر الاحمر وتنفيذ التهديدات الفارغة ضد البيت الحرام بمكة، كانت لاول مرة تثير اهتماما عمليا من البوكيرك، ولهذا فقد تجول ابن اخيه بيرو[٢٨] في المناطق الشمالية من الخليج بحيث كان اول برتغالي يزور البحرين زيارة سلمية لم يرافقها قتال من اي نوع ولا تركت من بعدها حامية في تلك الجزيرة... واغلب الظن ان الرجل ربما اقترب ببعض سفنه من الجزيرة مستكشفا لكنه لم ينزل فيها كما ترد الاشارة الى ذلك لاحقا.

## زيارة اخرى للتمويه على ملك البرتغال

ولدى عودة بيرو وتقديمه التقرير المرتقب الى عمه كان لا بد للبوكيرك من فعل شيء ما ليعوض به فشل وعوده الفضفاضة باقتحام البحر الاحمر في الوقت الذي كان العثمانيون فيه يعدون العدة لدخول مصر والتقدم العاجل بكل القوى البحرية السورية والمصرية والعثمانية، وسائر القوى الاسلامية الاخرى على سواحل البحر الاحمر للحيلولة دون تجرؤ البرتغاليين على حمى الاسلام وقدس أقداسه

ويقول كاتب مقال مجلة الجمعية الملكية إياه ان صوت النذير دوى في مصر سابقا لدخول العثمانيين لها عام ١٥١٧ فقد كانت الاستغاثات ترد الى المماليك من امراء الهند المسلمين كما كان لمصر علاقات تجارية متينة مع دول المسلمين المتعاقبة في الدكن وحيدر آبار وغيرهما. وبالفعل فان المصريين لم يفرطوا في اليقظة التامة حيال اي هجوم برتغالي في البحر الاحمر، فضلا عن ارسالهم قوة الى سواحل الهند لمعاونة المسلمين هناك ضد طغيان البرتغاليين وكل الذي استطاع البوكيرك ان يحققه بعد رجوع ابن اخيه هو خروجه الى هرمز في الوقت الذي كان يشيع فيه ان وجهته هي ميناء مخا كما انه لم يتورع ان يكتب الى الدون عمانوئيل ملك البرتغال رسالة يتهدد فيها بتنفيذ خطة تجمع قوة البرتغال الى قوة الحبشة لتضطلع بتدمير مكة.

ومع انه تقدم بوعد اكيد بأنه قاصد الى البحر الاحمر لتحطيم سلطان المسلمين فيه ولاحتلال ميناء مصوع ليكون قاعدة ومركز قلعة برتغالية.. الا انه مضى بسفنه الست والعشرين وعليها الفان ومئتا جندي برتغالي ومالاباري الى هرمز.

ويتضح من الرواية البرتغالية ان رأيين متناقضين كانا يتصارعان في الجزيرة احدهما يدعو للانضواء تحت سلطة الصفويين، وليكن بعد ذلك ما يكون، والرأي الاخر كان اكثر استقلالية وكان يقر البقاء على مسافة من مطامع كل من الصفويين والبرتغاليين ما دام السبيل الى ذلك ممكنا.

ويبدو انه بنتيجة تلك الخلافات وجد شيخ هرمز سيف الدين نفسه معتقلا وتحت رحمة من عرف باسم الريس «حامد»، وان الاحوال الامنية والتجارية في هرمز كانت تعاني اضطرابا شديدا.

ويدعي لوريمر(٢٩) ان هذا الزعيم المستجد في هرمز كان من دعاة الفرس في الجزيرة وانه وصل الى مركزه بالعنف والغدر لكن مركزه كان مهددا وضعيفا.

وما ان وصل البوكيرك الى مياه هرمز حتى فتح مدافع سفنه دفعة واحدة لارهاب الناس وبالفعل فان الريس حامد فهم الرسالة جيدا فبادر باطلاق سراح سيف الدين ملك الجزيرة الشرعي الذي بدأ مفاوضات مستفيضة مع البرتغاليين انتهت الى اتفاق شامل يجعله تحت حمايتهم، وبذلك ضرب البوكيرك عرض الحائط برضا الشاه الصفوي او سخطه مدركا ان ذلك الرجل المهدد تهديدا مباشرا من العثمانيين كان لا يجد له وسيلة سوى اللجوء الى البرتغاليين طالما ظل يريد مواصلة ملكه.

## الشاه اسماعيل الصفوي على اعتاب المعتدين

ويذكر ارنولد ان الشاه اسماعيل ارسل مندوبا للتفاوض مع البرتغاليين على اساس الامر الواقع الجديد في هرمز، وقد قبل في مقابل موقفه الذليل وفقدان امله الاخير في السيطرة على هرمز الحسناء الغنية وعدا من البوكيرك بأن يساعده في غزو البحرين والقطيف وان يعاونه ايضا في قمع ثورة كانت تستعر ضده من سكان مكران الذين ذاقوا الويل من تعصبه الذميم(٣٠) وفيما يلي ترجمة حرفية لما يذكره ويلسون عن تلك الشروط:

( أ ) على البرتغاليين ان يوفروا سفنا للشاه اسماعيل ليغزو بها البحرين والقطيف.

(ب) وعليهم ان يقدموا مساعدات حسية للشاه لاخماد ثورة مكران.

(جـ) على البرتغاليين الدخول في تحالف مع الشاه ضد الاتراك العثمانيين، وهكذا قنع البوكيرك بغنيمة هرمز وعين عليها بيرو ابن اخيه نائبا له واستخذى له شاه الصفويين في مقابل وعود بأن ينصروه على العرب والاتراك.

وليس من شك في ان البوكيرك احس بالمرض وهو يعود الى الهند خالي الوفاض من مجرد محاولة الهجوم على مضايق البحر الاحمر، وقد جاء موته في ديسمبر بنهاية نفس العام ١٥١٥ مخرجا له من حرج بالغ نتيجة فشله في تحقيق تعهداته لملك لشبونة.

ويعتبر ويلسون قدرة البوكيرك على التغلب على معارضي خططه من البرتغاليين اشارة نجاح له لكنه يرى ان البوكيرك ايضا وضع بيده بداية انهيار امبراطورية البرتغاليين التي ما كان لها ان تستمر وما قامت على غير البطش وابتلاع حقوق الغير، ونقض العهود.

# المسرح السياسي في حوض الخليج لدى احتلال البحرين

لقد بات واضحا لدى وفاة الفونسو البوكيرك ان محاولات البرتغاليين لاقتحام البحر الاحمر قد باءت بالفشل، كما انه كان واضحا بنفس القدر ان المعارك البرية المكلفة في الارواح والاموال بين العثمانيين والفرس لا بد ان تنتهي الى حسم نهائي قبل ان يصبح الاتراك خطرا على البرتغاليين في الخليج، وفي الوقت نفسه فان الجبور في الاحساء والبحرين قد اثبتوا ايام مقرن بن زامل انهم كانوا مؤهلين ليصبحوا قوة ملحوظة لولا ان الخلاف دب بين مقرن واخويه «مما أدى بهم الى الضعف وزوال الملك»[٣١] كذلك فان الوضع في البصرة حين آل الامر الى من سمي بسلطان الشرق، الشيخ راشد بن مغامس بن صقر سلطان البصرة والاحساء والقطيف كان وضعا غامضا مفتوحا لمن يستطيع ان يثبت جدارته من ابناء القبائل، ذلك بأن الوضع الحربي بين الاتراك والفرس كان يجعل من قيام ادارة حازمة في البصرة لأي من الدولتين امرا صعبا، كذلك فان غارات البرتغاليين أدت الى انتهاك قوة الشيخ مقرن بن زامل. وهنا اورد ما يقوله الانصاري ايضا في وضع الجبور بعد تعرضهم لعدوان البرتغاليين واطماع سلطان الشرق راشد بن مغامس.

يقول[٣٢] «وكانت ولاية ابن مغامس على الشرق عام احدى (بريد واحد) وثلاثين وتسعمائة للهجرة، فاستقبل بالبصرة الى ان استعان به بنو جبر (مقرن واخوانه) لضعف حالهم فقوى عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها **وذلك لما استولى الاعداء الافرنج المخذولون على بلادهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمائة**».

ومعنى هذا **اولا** ان حياة مقرن الجبوري انتهت الى كارثة لدى هجوم البرتغاليين على البحرين (١٥٢٢)م = ٩٢٧ هـ.

**وثانيا** انهم استنجدوا لدى كارثتهم بالرجل المتنفذ في البصرة فما كان منه الا ان انجدهم وحل محلهم..

والواقع ان الذي حصل بالضبط كما سنشرح لاحقا بالتفصيل هو انتقاص من سائر العرب في هرمز والبحرين والقطيف ضد محاولة البرتغاليين الاستيلاء على المراكز الجمركية ومباشرة حكم استعبادي لسائر ممتلكات العرب والجبوريين من هرمز الى القطيف.

## موقف الصفويين ؟

ومن الواضح ان الملوك الصفويين قد وجدوا فى تقدم العثمانيين على حدودهم فى المناطق الشمالية بكاملها شاملا ذلك مناطق ديار بكر وارضروم والموصل ، هما كافيا لهم ، وحيث انهم لا يملكون اية قوة بحرية ، وان البرتغاليين قلبوا لهم ظهر المجن فى هرمز فقد اكتفوا كما ذكرنا آنفا بوعود برتغالية بأن يساعدوهم ضد العثمانيين وفيما كانوا يحلمون به من انتزاع بعض الاقاليم العربية فى الخليج من الجبوريين كالبحرين والاحساء ..

لقد كان السلطان سليم الأول يتقدم بثبات مصمما على ضرب المذهب الشيعى ورجاله ويقال انه أوعز (٢٢) سرا بمذابح ضد الشيعة فى الممتلكات العثمانية بلغ ضحاياها اربعين ألفا ، وقد استطاع الشاه اسماعيل ان ينجو من الموت بأعجوبة بعد هزيمته المنكرة امام السلطان سليم فى معركة جالديران وعلى الأثر اصبحت كردستان وديار بكر ضمن مملكة العثمانيين الذين آثروا على التغلغل فى قلب ايران آن يركزوا على ضم مصر حيث استطاعوا عام ١٥١٧ أن يستولوا ليس على مصر وحدها ولكن على شعارات الخلافة العباسية بما فيها بردة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تنازل آخر مدع عباسى للخلافة للاتراك عما يدعيه .

وفى عام ١٥٢٤ وبعد وفاة الشاه اسماعيل تولى مكانه الشاه طاهماسب ( ١٥٢٤ ـ ١٥٧٦ ) وعمره عشر سنوات وكان تحت رحمة جماعة متنافسة من شيوخ القبائل يتآمر بعضهم على بعض من أجل مغانم النفوذ وفى الوقت نفسه كانت القبائل تهدد الحدود الشرقية الفارسية تهديدا جديا حيث استطاعت قبائل الاوزيك الاستيلاء على هرات .

ومالبث السلطان سليمان التركى ان شن حربا على فارس فاقتحم جيشه جبال زاغروس واحتل بغداد ثم عاود الهجوم على فارس واحتل تبريز وقلعة وان ولم تتوقف الأعمال القتالية بين الدولتين الا عام ١٥٥٥ حين عقد صلح اتاح ضمان طريق الحج للحجاج الايرانيين وايما كان الحال فالمهم أن فارس كانت أضعف من ان تتدخل فى سير الأحوال السياسية والعسكرية فى الخليج .. حيث نرى المواجهة اولا بين العرب والبرتغاليين ثم تاليا بين العثمانيين والبرتغاليين معظم القرن السادس عشر .

## احتلال البحرين ـ وثورة الجمارك

لقد رأينا كيف أن البرتغاليين ايام البوكيرك اقتصروا على تركيز نفوذهم فى هرمز تاركين مختارين أو غير مختارين التعرض للعلاقات الداخلية لهرمز واحلافها أو اتباعها فى البحرين والاحساء . ولكنهم أرادوا لاحقا أن يهيمنوا على سائر السياسات التجارية فى الخليج ، وفى نطاق احتكارهم للسلع والطرق التجارية أرادوا ان تكون لهم كلمة الحسم فى شئون الصادرات والواردات وأن يضعوا ايديهم على سائر الشئون الجمركية فى هرمز والبحرين والقطيف . فى عام ١٥٢٢ م أعلن لوبو سواريز نائب الملك البرتغالى الذى خلف البوكيرك فى جوا والذى كانت الشئون الاقتصادية المحضة هى موضع اهتمامه الأول انه قد عين موظفين برتغاليين لضبط سائر الشئون الجمركية فى هرمز والبحرين ( وذلك يعنى القطيف ايضا ) وفى صحار والقريات بعمان ، وقد وقع هذا الخبر وقع الصاعقة على سائر العرب ورؤسائهم من الجبوريين ..

ولاشك بأن الحاميات البرتغالية المحلية لم تكن ندا لعرب الخليج الذين تولى زعماء الجبور قيادتهم وهنا أود أن اقدم ترجمة حرفية لمقال مجلة الجمعية الملكية لاسيا الوسطى (٣٤)

## الفتح البرتغالي للبحرين تم عام ١٥٢١

يستند مقال الجمعية الملكية الذى نحن بصدده الى معلومات البرتغاليين المباشرة عن أحداث الخليج ، وهو يجعل بداية الشرارة فى البحرين عام ١٥٢١ وليس عام ١٥٢٢ كما يعتقد لوريمير (٣٥) . ويقول كاتب المقال انه عندما طلب البرتغاليون من تابعهم حاكم هرمز أو شيخها بان يعجل بدفع الجزية السنوية التى كان تم الاتفاق عليها عام ١٥١٥ مع البوكيرك تذرع الشيخ بأن سبب تأخره فى الدفع عائد الى ان الشيخ مقرن ( حاكم الاحساء ) قد اصطدم معه بسبب البحرين والقطيف حيث اصبح يدعى تبعيتهما له مباشرة وعندها اقترح الحاكم البرتغالى بهرمز دييجو لوبيز سيكوبيرا ان يقدم مساعدة لحاكم هرمز على شكل حملة بحرية تنزل فى البحرين وتنتزع الجزية من سكانها . وبالفعل فقد عقد لواء الحملة لانطونيو كوريه ابن أخ الحاكم ووضع تحت امرته ( ٤٠٠ ) جندى برتغالى صعدوا فى سبع سفن كبيرة وحوالى ثلاثة الاف من العرب فى مراكب صغيرة بلغت الفى مركب ، وقد تحرك هذا الحشد الضخم من هرمز فى اليوم الخامس عشر من يونيو ـ حزيران ، ولكن سوء الأحوال الجوية أدى الى تفريق سفن الحملة بحيث انه حين وصل انطونيو كوريه الى البحرين لم يجد حوله سوى مائتين وخمسين جنديا برتغاليا وعددا قليلا من جنود هرمز العرب تحت قيادة الرئيس زرافه ( شرف الدين )

## استعدادات البحرين ومقتل زعيم الجبور مقرن

وقد تبين ان المدافعين العرب بقيادة الشيخ مقرن الجبورى قد أحكموا استعداداتهم فبنوا سدودا كبيرة كما حفروا خنادق عميقة حسبما يتطلب الحال على امتداد الساحل وكان بين المدافعين ثلاثمائة فارس عربى وحوالى اربعمائة من رماة النبال وجيش من المشاة يبلغ احد عشر الفا مجهزين بأنواع منوعة من الأسلحة وكان فى بعض الحوائط المبنية على الساحل قطع مدفعية وكان بين ضباطه رجال شجعان لكن مشكلتهم انهم لم تكن لهم اية خبرة سابقة فى حرب مع الاوروبيين تعتمد المدفعية البحرية ويرتدى جنودها دروعا واقية وبدأ البرتغاليون الهجوم ، وكان على رأسه القائد انطونيو كوريه ومعه مائة وسبعون من رجاله ومن خلفه اخوه على رأس خمسين برتغاليا آخر اما الريس زرافه ( شرف الدين ) فكان منتحيا جانبا كاحتياطى للجانب البرتغالى .

وقد خاض البرتغاليون المياه الضحلة وهاجموا التحصينات العربية التى وقف مقرن وجماعته يدافعون عنها دفاعا مستميتا ، وكان الحر بالغ الشدة بحيث اضطر الفريقان ساعة الظهيرة للتوقف عن القتال حيث كان مما يشبه المستحيل الوقوف تحت سياط الشمس اللاسعة .

وفى المساء عاود البرتغاليون الهجوم وقد أصيب الشيخ مقرن بطلق نارى فى فخذه الامر الذى بعث اليأس فى نفوس رجاله بحيث بدأوا ييأسون ويستسلمون ، وقد قتل وجرح منهم جمع غفير ، وفى ساعة العتمة كان البرتغاليون قد حققوا انتصارا كاملا وبدأوا منذ ذلك اليوم من منتصف يونيو ١٥٢١ احتلالهم جزر البحرين .

وقد علم الريس زرافة ( شرف الدين ) ان الشيخ مقرن توفى بعد بضعة ايام من اصابته وان جثمانه كان يجرى نقله الى الاحساء لدفنه ، فسارع واعترض السفينة التى تقل الجثمان ووضع يده عليه فقطع رأس القتيل المتوفى وحمله معه الى هرمز بحيث كان ذلك دليله لنوال اذن من ملك البرتغال بوضع رأس ملك على سترته الحربية ، كما أضيف لاسمه لقب « بحريم » .

ويلاحظ كاتب هذا المقال أن رواية سقوط البحرين لا تتوفر الا من الجانب البرتغالى وأن بعض ما جاء فيها قد لا يكون صحيحا على الاطلاق ، وأيما كانت الأحوال فان جرح الشيخ الاحسائى مقرن كان له وقع الصاعقة على رجاله مما أفقدهم روحهم المعنوية وجعلهم يخسرون معركتهم بغير ضرورة .

## ثورة الأهالي على البرتغاليين

وفى العام التالى ١٥٢٢ تمكن العرب بقيادة ملك هرمز من اعلان ثورة عارمة على البرتغاليين فى كل مكان من الخليج وذلك فى ليلة واحدة بالذات حيث اندلعت اعمال العنف فى هرمز والبحرين ومسقط وصحار وقد حوصرت حامية البرتغاليين فى قلعة هرمز ولكن نجدات برتغالية سرعان ما وصلت لها من مسقط حيث كان البرتغاليون يضعون احتياطيا من جنودهم ، وقد امكن لهم فك الطوق عن القلعة ، ولما رأى شيخ هرمز ان الثورة لم تنجح فى عمان انتقل على الفور الى جزيرة قشم حيث لاقى منيته قتلا هناك . وقد خلفه ابنه البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة والذى حمل من البرتغاليين على عقد معاهدة جديدة معهم عمقت نفوذهم الى ابعد مما كان متغلغلا وذلك عام ١٥٢٣ .

## نجاح الثورة في البحرين عام ١٥٢٢

وعلى العكس مما حصل فى عمان وهرمز فقد نجحت الثورة فى البحرين ذلك بأن الشعب العربى هناك كان يحتمل ضغينة هائلة ضد تصرفات البرتغاليين ومخططاتهم وكذلك ما قاموا به خلال سنة واحدة من بدء احتلالهم للبحرين . وقد تولى الثورة فى الليلة الموعودة لها شيخ البحرين عندئذ حسين بن سعيد والذى قاد حملة كانت مفاجأة تامة لقلعة البرتغاليين وقد تم القبض على حاكم الجزيرة البرتغالى وشنق على الفور على شجرة نخل كما طرد الباقون على قيد الحياة من جنوده .

عندئذ تغيرت لهجة البرتغاليين فى اتصالاتهم بالبحرين وأمكن بعد فترة هدأت فيها الخواطر ترتيب اتفاق مع البرتغاليين اقروا بموجبه صفة الشيخ حسين كحاكم عربى على البحرين مع موافقته فى المقابل على استخدام برتغالى يدعى دى منزيس كمساعد ومستشار له . وبعبارة اخرى يمكن القول ان البرتغاليين استردوا سيادتهم على البحرين ولكن بأسلوب سلمى .

## الثورة تتجدد في البحرين بنجاح عام ١٥٢٩

يستطيع المرء أن يتصور بسهولة عرضية الحياة تحت النفوذ البرتغالى ، ذلك بأن البرتغاليين اذا ما لجأوا للسياسة واللين فذلك دخول على طباعهم بما ليس فيها ، كما ان الهم الأساسى لضباطهم البحريين كان دائما الكسب الشخصى من ناحية الجاه فى لشبونة أو المال الممكن ابتزازه فى الشرق . يضاف الى ذلك ان حب العسف والتدمير وروح القتل والقسوة اصبحت شيئا من صلب السلوك البرتغالى . لقد كان من جملة

ضحايا النجدة البحرية البرتغالية من الهند مدينة صحار العمانية التى دمرت تدميرا تاما فيما كان ذلك الاسطول يتوجه الى هرمز فى صدد الاحداث التى انتهت بمصرع شيخ هرمز فى جزيرة قشم .

من جراء ذلك كان امرا طبيعيا أن تتجدد الثورات كرد فعل لشراسة البرتغاليين . ويبدو ان هؤلاء لم يتذوقوا سلوك رجل يدعى شرف الدين فى بلاط شيخ هرمز الصبى فقام البرتغالى لوبوفاز [٣٦] باستدعاء سفن من الهند استخدمها بشراسة بالغة فى ابتزاز الأموال من السكان العرب .

وظل البرتغاليون يحقدون على الرئيس شرف الدين الى ان قام مونودى كونوا حاكم المستعمرات البرتغالية الهندية بزيارة لهرمز فنفى شرف الدين منها لبتداء الى البرتغال . وعلى الاثر قامت فى البحرين عام ١٥٢٩ ثورة عارمة ضد البرتغاليين وكان يحكمها فى تلك السنة نائب لشيخ هرمز اتهمه البرتغاليون بالاثراء الفاحش فنفوه الى البرتغال ، وراحوا يطالبون سكان هرمز بضرائب أعلى من ذى قبل الأمر الذى جعل هرمز تحاول نقل بعض ذلك الضغط الى البحرين التى رفضت التجاوب مع ذلك الطلب .

فى تلك الاثناء كان نائب الملك البرتغالى فى جوا هو نونو داكنها الذى عمد الى تعيين تافرز داسوسا أميرالا للبحرية وذلك بقصد الشروع فى هجوم على البحرين لكن داسوسا كان غير متحمس لتلك الحملة وقد استطاع اقناع نائب الملك بان يعين بدلا منه سيمون داكنها أخ نائب الملك نفسه . وظل الأخير ينتظر نجدات من البرتغال قبل ان توجه الى هرمز ومن هناك خرجت خمس سفن حربية كبرى عليها اربعمائة برتغالى تتبعها بعض السفن المحلية ولكن موجوداتهم من الذخائر كانت محدودة .

توجهت الحملة فى سبتمبر من عام ١٥٢٩ أى فى أشد ايام العام حرارة ورطوبة واقل شهور السنة فى الخليج مواتاة للصحة ، وقد انفق من بالحملة نصف ذخيرتهم فى اطلاق مدافع تحية لجزيرة البحرين يقصد بها ايضا الارهاب النفسى وكان شيخ البحرين قد رفع على برج حصنه علمين احدهما ابيض والآخر أحمر كأنما يقول انه جاهز للسلام ان شاءه البرتغاليون وللحرب اذا اختاروا الحرب وكذلك كان تصميم البرتغاليين الذين ظلوا ثلاثة ايام يقذفون حمم مدفعيتهم على حوائط الحصن الى ان نفدت ذخيرتهم . فى تلك الاثناء تقدم شيخ البحرين العربى بعروض صلح مشروطة لكن البرتغاليين ركبوا رؤوسهم لئلا يفوتوا على أنفسهم فرصة النهب ولهذا رفضوا العروض العربية . وارسلت سفينة الى هرمز لاحضار نجدات من الذخيرة وقد احتاجت الى اربعة عشر يوما قبل ان تظهر ثانية فى مياه البحرين ببعض الذخيرة . وفى تلك الاثناء دبت الحمى بين جنود البرتغال والجنود الهرامزة الذين معهم على حد سواء وقد انتهت مؤونتهم فصاروا يستجدون الطعام من السكان العرب الذين لم يمنعوه عنهم وهذه صفة من التسامح التى عرف بها المسلمون وتفوقوا بها على سائر الامم . وقد تبين ان خمسة وثلاثين جنديا برتغاليا كانوا هم كل القادرين على الاسهام فى نشاط عسكرى لذلك قرروا الانسحاب ، وقد جرى سحب المرضى الى سيف البحر بالحبال التى جعلت فى ارجلهم حتى اذا ما وصلوا للقوارب حملهم ملاحون عرب والقوا بهم فيها وقد ساءت حالة الجنود البرتغاليين وهم على ظهر سفنهم فى طريق عودتهم حتى مات اكثرهم بمن فيهم قائد الحملة سيمون داكنها الذى قيل ان الفشل كان سبب موته غيظا .

## بداية انحلال البرتغاليين
## وحادثة حرق البصرة

لم يكن قد مر الآن سوى اثنتين وثلاثين سنة على اكتشاف البرتغالي فاسكو دي جاما لرأس الرجاء الصالح حين بدت الامارات الأولى التي يعتبرها أهل الحصافة من الناس علامات انحطاط وشيك رغم المظاهر الخارجية الموحية بخلاف ذلك . لقد كان البرتغاليون حقا حتى هذا الوقت هم سادة البحر غير المنازعين في الخليج وكان لهم ما يدعونه من «غابات من السفن البرتغالية» وكانوا يحاولون أن يوجدوا جيلا جديدا من ذرية جنودهم وبحارتهم الذين أكثروا من الزواج من النساء الهنديات والشرقيات عموما لكي يخرج من ذلك الجيل البحارة والملاحون والجنود البحريون اللازمون للحفاظ على مجد البرتغال الدموي . لكن بوادر انحلال قوة البرتغال كانت قد بدأت تظهر لكل ذي بصر فالحكام البرتغاليون خرجوا عن عادات البساطة وقوة الأسر وبدأوا يؤثرون الرفاهية والبذخ يسكنون افخم البيوت ويركنون الى الفرق الكبير بين خبرة واستبسال جنودهم وتفوق سلاحهم على الشعوب التي اصبحت لهم الكلمة العليا عليهم . لكن التجارب اثبتت ان غياب الرعاة عن القطيع لا يمكن ان يمر دون حدوث حوادث سيئة ، واضافة الى ذلك فان اعتماد البرتغاليين المستمر في الذخائر والتعزيزات البشرية والمادية على البرتغال نفسها بكل بعدها عن مسرح اعمالهم كان نقطة ضعف بارزة في تنظيمهم .

لكن أهم من ذلك كله أن قباطنتهم البحريين وكبار مسئوليهم تحولوا من حكام الى تجار وهذه غلطة تحاشاها الانجليز فيما بعد تحاشيا تاما ولاشك بان ذلك اضعف كثيرا من فاعلية البرتغاليين بحيث وجدوا انفسهم في منتصف القرن السادس عشر يواجهون تهديدا خطيرا ومؤثرا من الاتراك العثمانيين الذين واصلوا تحسين امكاناتهم البحرية منذ تبين لهم مدى اهمية القوى البحرية منذ اصطدامهم الأول بالبرتغاليين اوائل القرن السادس عشر .

## اهمية دخول العثمانيين مصر عام ١٥١٧

لقد كانت المصالح التجارية لدولة المماليك في مصر ومدينة البندقية مصالح مشتركة ومتماثلة ، ولاشك انها اصيبت بأضرار فادحة منذ هيمن البرتغاليون على الطريق التجاري التقليدي وحولوه من الهند الى رأس الرجاء الصالح ولم تتأخر مصر في العمل الفعال لصيانة البحر الأحمر من الخطر الكبير المحدق وذلك سابقا لدخول السلطان سليم اليها عام ١٥١٧ ، وقد سارع الاتراك الى ضم اليمن وبالتالي أصبحت هناك كلمة واحدة وقوة واحدة تجاه البرتغاليين في محاولاتهم ضد البحر الأحمر والاسلام في افريقية بل ومقدسات الاسلام في الحجاز .

وفي الوقت نفسه فان الاتراك الذين احتلوا بغداد لاحقا في عهد سليمان القانوني عام ١٥٣٤ بدأوا يمدون نفوذهم جنوبا باتجاه الخليج وكما ورد سابقا فان انشغالهم في مجابهات اخرى مع الدولة الفارسية في ديار بكر وأرضروم جعل سرعة تقدمهم الى مناطق القبائل العربية في جنوب العراق بطيئا ومحدودا .

## البحرين والاحساء تتصلان بالعثمانيين

تشير المصادر البرتغالية الى أن ملك الاحساء وشيخ البحرين فى عهد كان فيه كل منهما مستقلا قد بعثا عام ١٥٣٤ وهو نفس عام سقوط بغداد بأيدى الاتراك بوفد ليقدم التهانى والمودة لولى العهد العثمانى وان لم يلتزما باية تبعية للدولة العثمانية وكان ذلك الاتصال هو أول اتصال بين البحرين وتركيا ويرجع الاتراك ادعاءهم بالسيادة على البحرين الى هذا الحادث كأقدم اساس قانونى لذلك الادعاء .

غير أن بعض المصادر الغربية ونحن لا نملك سواها مع الأسف فى هذا الموضوع يبرز موقفا مختلفا عن هذا لحاكم البصرة (٣٧) الذى لا يعرف ان كان فارسيا أم عربيا فى تلك الفترة التى كان لفارس نفوذ مباشر على جنوب العراق وتقول هذه الرواية ان ذلك الحاكم قد اتصل بالبرتغاليين على أساس ان يعاونوه ضد شيخ عدو له فى جواره من جنوبى العراق ( لعل الاشارة تعنى شيخا من القبائل العربية الكبرى فى جنوب العراق ) . ويقول لوريمر نقلا عن مصادر برتغالية لا يذكرها ان ملشبور تافرز دى سوزا ارسل فعلا تجريدة عسكرية بحرية للتعاون مع الحاكم المذكور فيما يسميه ( ضرب التجارة التركية ) ولكن الشيخ المذكور لم يف بوعوده فانتقم دى سوزا باحراق مدينتين وهو فى طريق العودة .

## حملة بيري رئيسي ( بيرى بك )

فوجىء البرتغاليون لاحقا لسقوط بغداد بأيدى العثمانيين بقليل بظهور اسطول تركى بقيادة البحار التركى المشهور بير رئيسى يهاجم مسقط ويستولى عليها ثم يتحول بعد ذلك الى هرمز لكنه لا يصادف نجاحا مماثلا وقد توجه بعد ذلك الى البصرة فيما يدعى البرتغاليون انهم شرعوا فى مطاردته ، وكان مع بير رئيسى حاكم مسقط البرتغالى ويقال ان هذا الرجل قد قدم النصح للاميرال التركى بأن يغادر البصرة بما حصل عليه من الغنائم قبل ان يضطر لمواجهة صعبة مع الاسطول البرتغالى الذى حشد قواه كلها وقد تمكن بير رئيسى من الخروج بثلاث سفن موفورة بالغنائم والاسلاب التى ظفر بها من البرتغاليين فى عمان لكن احدى سفنه غرقت قبالة البحرين وعليها فيما يقال كنز ثمين ، وقد سخط السلطان على تصرفات رئيسى غير المسئولة فأجريت له محاكمة فى اسطنبول فحكم عليه بالاعدام كما وضعت الدولة يدها على ثروة هائلة كانت تحت تصرفه .

وقد بدا واضحا (٣٨) انه كان من بين اعتبارات العثمانيين فى التقدم ناحية البصرة هو الحيلولة دون نجاح الخطط المشتركة للفرس والبرتغاليين وكذلك استعادة السيطرة على طرق التجارة المهمة الممتدة من البصرة الى حلب ذلك بأن المناطق التى تعودت الافادة العميمة من تجارة التوابل والحرير والبضائع الشرقية سواء فى سوريا ام فى المدن الايطالية ذات المصالح المشتركة مع بلدان الشرق الأدنى الاسلامية ، قد تضررت ضررا بالغا من النشاط البرتغالى ، ولعل هذا هو الذى يفسر ضخامة الحملة البحرية التى قادها سليمان باشا والى مصر عام ١٥٣٨ وتوجهت الى ديو فى ولاية كجرات فى الهند .

## اشتداد الهجمات العثمانية

وفى خلال الثلث الثانى من القرن السادس عشر نجد جهدا مشتركا يمكن تسميته بالمجهود الاسلامى فى وجه الغزاة

البرتغاليين ، فهناك اتصالات مستمرة وقوية بين عرب الاحساء والبحرين وبين العثمانيين الذين تقدموا الى ساحل الخليج خلال هذه الفترة عن طريق البصرة وشط العرب من ناحية وعن طريق الاحساء التى بعثت تستنجد بهم ضد عسف البرتغاليين فما كان منهم الا ان تجاوبوا وارسلوا حامية عسكرية الى القطيف .

ومن المؤسف ان روح الارتجال وحسن النية كان يسود التحركات العثمانية منذ بداية امرها ، ولو كان هناك برنامج واضح لتجميع موارد الثغور البحرية الاسلامية وتنسيق جهدها فى اعداد اسطول كبير مشترك وكذلك تطبيق برنامج تدريبى صارم لاعمال الجهاد البحرى اذن لكانت النتيجة جديرة ان تكون فى صالح القوى الاسلامية ولأمكن طرد البرتغاليين واغلاق مضيق هرمز فى وجوههم حتى برغم التعاطف والتحالف اللذين كانوا يجدونهما لدى الصفويين عموما . ولو حصل ذلك لتغير تاريخ الشرق كله .

وشىء آخر يعاب على الاتراك وهو ظاهرة أخرى من ظاهرات الانفعال العاطفى المقترن بالأعمال الارتجالية ففى تجاوبهم السريع مع دعوة النجدة التى وصلتهم من عرب الاحساء لم يقم الاتراك بدراسات دقيقة عن احتياجات جنودهم من سائر النواحى وقضايا اسكانهم وعلاقتهم بالسكان البدو وموضوعات التحصين المستمر للسواحل المعرضة لمدافع البرتغاليين .. وقد أدى ذلك كله الى تمكن البرتغاليين من تدمير قلعة القطيف [٣٩] بل وتدمير البصرة ايضا كما سيرد ذلك مفصلا فى هذا الفصل . وكانت البصرة قد اصبحت عثمانية اعتبارا من عام ١٥٤٦ ( ٩٥٣ هجرية ) وكان ذلك أمرا مرتقبا بعد انتصارات العثمانيين فى شمال ووسط العراق .

ويمكن القول عموما ان وصول العثمانيين للبصرة كان ايذانا بدخول الصراع التركى البرتغالى مرحلة حادة جدا وان تلك المرحلة قد فجرت عواطف دينية ومشاعر قوية ، كما يمكن القول بأن التدهور المستمر فى الاوضاع السياسية والاقتصادية لفارس فى هذه الفترة عائد الى الموقف السياسى للصفويين كان يصادم مشاعر الأمة فى حوض الخليج ، ويثير أمام الفرد المسلم متناقضات لا يستطيع ان يتعايش معها بسهولة ، ولا شك ان مصير مثل هذا الوضع هو ضعف السلطة المركزية المؤدى الى انهيار محتوم . ومهما قيل فى موقف الاتراك والبرتغاليين فان الجانب المسلم كان الأقرب دوما الى الاسماح والتفاهم ما دام ذلك ممكنا .

ففى عام ١٥٤٧ وهو ثانى عام لدخول العثمانيين البصرة أرسل والى المدينة محمد باشا تاجرا يدعى الحاج فياض الى الحاكم البرتغالى فى هرمز مناويل دى ليما يعرض قيام علاقات تجارية ودية بين الجانبين لصالح الجميع [٤٠] ، ويظهر ان ممثلا للبرتغاليين وجد فى البصرة لمدة تقارب الثلاثة أشهر لكن تجاوب البرتغاليين ظل مترددا وعدوانيا فى معظم الوقت حيث انهم كانوا يرون أن أية فائدة مادية تعود على غيرهم وكأنما هى انتزاع من جيوبهم التى كانت تحوى كل مال الخليج ومزاياه .

وحيث فشلت وسائل التفاهم فقد بات القتال محتوما ، ومع ان العثمانيين قاموا بسلسلة من المحاولات العسكرية البحرية وبعضها بالغ العنف ، لكن المهم هو النتيجة النهائية ، وهذه لم تكن فى صالح الاسلام عموما .

ويمكن اعتبار الفترة من ١٥٥٠ ـ ١٥٦٢ فترة قتال ونزاع وحملات تركية متوالية

انتهت بمحاولات أخرى لمفاوضات ظن انها سوف تؤدى للاهتداء الى تفاهم على أرضية تتلاقى عليها مصالح الفريقين لكن البرتغاليين بعنادهم وطمعهم أضاعوا كل شيء ..

## وصف برتغالى للبحرين ودلالاته

ولدينا وصف ظريف للبحرين ضمن بعض رسائل البرتغاليين فى نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر نورده بنصه هنا لكى يدرك القارىء الروح التى كانت تحدو أولئك القراصنة وأبعاد النظرة المادية التى كانت تدفعهم الى الكسب بأية وسيلة .

(٤١) « ان البريم (البحرين) التى يعيش فيها تجار كثيرون وغيرهم من الناس الوافرى الثروات تمتاز بموقع فذ وسط الخليج (الفارسى) ويبحر لها العديد جدا من السفن التجارية الموقورة بشتى أنواع البضائع ومن حولها تتكاثر اصداف اللؤلؤ فى البحر من الأصناف الجيدة ، ويتولى تجار من البحرين ادارة عمليات الغوص على اللؤلؤ ويجنون من ذلك أرباحا ضخمة .. ويأتى الى البحرين تجار من هرمز لشراء اللؤلؤ وبالتالى بيعه فى الأسواق الهندية .. ومن صفات جزر البحرين أيضا تعدد ما فيها من الفواكه ، وينابيع الماء العميقة المالحة والتمور والصقور والقمح والشعير والخيول » .

والحقيقة ان سائر غرائز البرتغاليين لجمع المال بأى سبيل قد وصلت نهاية المد فى منتصف القرن السادس عشر ، ففى عام ١٥٤٢ وضعوا أيديهم نهائيا على جمارك هرمز لتكون لهم بالكامل وذلك بالكيفية التى يصفها ويلسون مبينا حقيقة أخلاق البرتغاليين وجشعهم الذى لا يقف عند حد ، يقول بالنص (٤٢) .

« وفى عام ١٥٤٢ ، ونتيجة صعوبات نشأت أمام ملك هرمز حالت بينه وبين الاقتدار على دفع متأخرات الجزية للبرتغاليين والبالغة نصف مليون دوكات وبالنظر لاقتناع نائب الملك البرتغالى مارتيم افغونسو بعجز ملك هرمز عن الدفع ، فقد وافق على صرف النظر عن سائر المتأخرات مقابل اجبار ملك هرمز على تسليم كل ما يتعلق بالجمارك الى البرتغاليين منذ تلك اللحظة . على ان الموظفين المحليين تركوا فى اماكن عملهم ، وتم الخلاص نهائيا من حكاية متأخر الضرائب حيث أصبح البرتغاليون هم مأمورى الجمارك التى آلت لهم بحكم الممارسة الفعلية والأمر الواقع .

ويعلق ويلسون على هذا الحدث بقوله ان سلوك فاريا دى سوزا الغريب حيال هذا الحادث يلقى ضوءا جانبيا مشوقا على سوء الادارة البرتغالية واعمال التنافس على النهب بين الموظفين البرتغاليين . بسبب ذلك كله اتسمت الأعمال الحربية بين البرتغاليين والاتراك بسمة الانتقام المدبر والتدمير ، وقد لعب بير رئيسي أمير البحر التركى كما ذكرنا من قبل دورا بارزا ولكن قومه الاتراك اتهموه بأمور ربما كانوا محقين فى محاسبته عليها لكن احدا لم يروع البرتغاليين ويشعرهم بالهزيمة والتضاؤل مثل ذلك الرجل الذى ما يزال يتمتع بين الاتراك حتى هذا اليوم بشعبية اسطورية . واذا كان الفضل ما شهدت به الأعداء فان البرتغاليين يشيرون بأسى واضح الى تمكن بير رئيسي من أسر قائد وسائر أفراد حامية مسقط البرتغالية واذا كان قد فشل فى اسقاط قلعة هرمز الحصينة الا انه نزل بالجزيرة وخيم بها وأخضعها لمدافعه وتحركات جنوده الى ان غادر الجزيرة بمحض ارادته ليحتل جزيرة قشم ويفعل هناك ما يشاء ..

وليس واضحا ما اذا كان تعيين مراد بك

الذى كان من قبل قائدا لحامية القطيف التركية التى دمرها دون انطونيو دى نورنها عام ١٥٥٠ بمساعدة بعض المهندسين بين السكان العرب من انصار البرتغاليين ، كان ، أى ذلك التعيين له علاقة باعدام بير رئيسي الذى عرف كيف ينتقم لهزيمة مراد بك بما فعله فى مسقط وهرمز وقشم وعلى اية حال فان مراد بك لم يكن أوفر حظا منه فى المرة الأولى ، لقد حاول عبثا انقاذ سمعته بهجمات غير موفقة على الاسطول البرتغالى .

ويبدو ان الاتراك ندموا على مجمل موقفهم من فئة البحارة المغامرين من تلامذة خير الدين بربروسا الذين تعلموا فروسية البحر فى ساح الذود عن شرف الاسلام بين سواحل افريقيا والاندلس . ولهذا جىء بعلى شلبى الذى يسميه لوريمير ( القرصان المتبجح ) وقد مر وصف البسالة التى اظهرها ذلك البحار العالم المجاهد فى المعركة الجبارة التى خاضها ضد قوة أكبر بكثير من قوته قرب مسقط وخسر فيها بعض السفن لكنه خرج بقوته الباقية مجتمعة الى صورات .

وفى الوقت الذى يجد فيه لوريمير مشقة بالغة فى تسمية التحركات التركية بأنها انتصارات نجد كاتب مقال المجلة الملكية الاسيوية (٤٣) يقول بالحرف الواحد : « وفى السنوات التالية ( يعنى الخمسينات من القرن السادس عشر ) سجل الأتراك انتصارات عديدة فى الخليج » .

«لقد فتحوا قشم ودمروا البرتغاليين فيها ودخلوا مسقط ظافرين مرتين وإن اضطروا فى الحالين للخروج تحسبا من الحصار ، كما نزلوا بهرمز وضربوها» .

## الصراع الى البحرين

لقد بات واضحا ان البرتغاليين اصبحوا اكثر خبرة من ان يركنوا الى مجرد التفوق النوعى لسفنهم ومدفعيتهم ولذلك باتوا ينشئون صداقة مع كل من هو على استعداد للتفاهم معهم ، ولقد افلحت هذه السياسة عندما هاجم دى نورنها القطيف بداية الخمسينات كما ذكرنا سابقا حيث هرع جماعة مناوئة للعرب ومن انصار البرتغاليين لنجدة الغازى الكافر كذلك نجد القصة تتكرر فى المعركة العنيفة التى دارت سجالا معظم عام ١٥٥٩ وكان فيها انحياز من قسم من الأهالى بقيادة الريس مراد صنيعة البرتغاليين الى أولئك الاعداء فيما كان معظم السكان يشجعون الهجوم التركى على الجزر .

لقد كان الاتراك على علم بما يقاسيه الناس فى البحرين من ظلم البرتغاليين وعسفهم ومصادراتهم لذلك وصل اسطول تركى عام ١٥٥٩ مؤلف من بارجتين وسبعين سفينة شراعية ولا شك ان العديد من الجنود كانوا عربا من البصرة والاحساء ، ويقدر أولئك بألف ومائتى جندى وفى الحال طلب الريس مراد مساعدة البرتغاليين فى هرمز فوافوه بقوة كبيرة انضم لها ثلاثمائة فارس حسنى التسليح من جماعة مراد وقد الحق بالبرتغاليين خسائر فادحة لكن المشكلة كانت فى موضوع القدرة على مواصلة خطوط التموين الأمر الذى اضطر الاتراك فى النهاية الى قبول مصالحة غير مشرفة ..

ولا يذكر أحمد جودت مؤرخ الدولة العثمانية أية معلومات شافية أو تفصيلية تخالف كثيرا ما ذكرناه أنفا ولكنه فى الواقع يعترف (٤٤) بأن الحرب مع البرتغاليين كانت سجالا وانهم كانوا يتمتعون بأسطول قوى وتقاليد بحرية ممتازة .

ويشيد من الناحية الأخرى ببطولة بير رئيسي وعلى بك وينعى سوء حظ الاسطول العثمانى فى المحيط الهندى بسبب

العواصف العنيفة التى حطمت العديد من سفنه هناك فى غير مناسبة واحدة .

## عصر التهيؤ البرتغالى للسقوط ١٥٨٠ - ١٦٤٠ م

يمكن تسمية السنوات الستين التى انقضت فيما بين ضم اسبانيا للبرتغال وبين طردهم نهائيا من عمان وخسرانهم سائر مراكزهم الهامة فى الخليج بعصر التهيؤ البرتغالى للسقوط . وتعتبر هذه الفترة استمرارا للوجود البرتغالى فى الاندفاع بقوة الدفعة الأولى لوجودهم ( ١٥٠٨ - ١٥٨٠ م ) .

ولا شك ان سقوط البرتغال تحت السيادة الاسبانية قد افسد معنويات البرتغاليين واحساسهم بالعزة وضعضع فيهم نهائيا روح المبادرة والاستيلاء ، ويمكن اعتبار معظم الفترة الحالية فترة احتضار للتفوق البرتغالى خصوصا بعد تبدل الأحوال فى عمان بقيام دولة اليعاربة واشتداد قوة الانجليز والهولنديين ومنافستهم الناجحة للبرتغاليين فى موالاة الدولة الفارسية وفى اسلوب التعامل التجارى ، فضلا عن تمكن القوة المشتركة للبلدين بالتعاون مع السكان المحليين على جانبى الخليج من استبعاد البرتغاليين من مراكزهم الهامة التى كانوا تجذروا فيها ولا سيما هرمز .

ولعل من المناسب استعراض الأوضاع فى حوض الخليج خلال الربع الأخير من القرن السادس عشر بداية ضعف البرتغاليين فى عمان ظلت الأحوال تتدهور الى الأسوأ وذلك منذ ظهر فى البلاد امامان فى وقت واحد وهما بركات بن اسماعيل وعبدالله بن محمد القرن (٤٥) ، وذلك قبل ان ينجح أولهما فى اخراج الثانى من حصن بهلا سنة ٩٦٨ هـ الموافق ١٥٦٠ ميلادية . وظلت البلاد بعد هذا الرجل بغير امام الى ان ظهر الامام ناصر بن مرشد أول أئمة الأسرة اليعربية فى عام ١٠٢٤ هـ ( ١٦٢٤ م ) وخلال هذه الفترة تحسن نفوذ النباهنة (النبهانيين) ولكنهم لم يصلوا بأوضاع البلاد الى ما يمكن ان يشكل اى خطر على غزاة الساحل المحتلين من البرتغاليين غير ان صورة الوضع الداخلى كانت صورة محزنة من الخصومات الصغيرة التى لا تتوقف بحيث لم يكن يرجى أى أمل من هؤلاء لتدبير جهد قوى بما يكفل طرد البرتغاليين ويعطينا السالمى صاحب كتاب ( تحف الأعيان المبرهن لسوء أهل عمان ) صورة مفجعة عن مدى تدهور الأوضاع السياسية عندئذ بعمان فيقول بالحرف الواحد :

(٤٦) « ولبث سيف بن محمد الهنائى فى بهلى ، وآل عمير فى سمائل ومالك بن أبى العرب اليعربى فى الرستاق ، والجبور فى الظاهرة ، والنصارى (البرتغال) فى مسقط وصحار وحلقار وصور وقريات ....

وهكذا خربت عمان بعد العدل والأمان وعاثت الجبابرة .. وظل الحال على ذلك الى ان أظهر الله تعالى الامام الأرشد والهمام الأمجد امام المسلمين ناصر بن مرشد » .

## فى البحرين والاحساء

المعلومات المتعلقة بالبحرين بعد فشل الحملة التركية عام ١٥٥٩ تصبح قليلة ، والواقع ان هناك حقيقتين واجبتى الوضوح قبل فهم التغيير الذى طرأ على السياسة العثمانية التركية .

أولا : ان اهتمام الاتراك بولاية الاحساء والانتشار فيها تراجع كثيرا عن ذى قبل ذلك بأن كلفة ادارتها والاحتفاظ فيها بأية قوة عسكرية كبيرة هى أكبر بكثير من اية أموال يمكن ان تصور جمعها على سبيل الضرائب .

وأما الحقيقة الثانية فهى ان الاتراك كانوا محتاجين ماليا لتشغيل ميناء البصرة

وضمان حركة تجارية مريحة فيه لتغطية جزء من نفقاتهم الادارية فى أراض كان قد اصابها بوار مهلك من طول تركها مهملة ولذلك فهم اعتبارا من عام ١٥٦٢ جنحوا الى سياسة أكثر مسالمة .

ويرد فى رسالة نشرها صالح أوزبران من جامعة اسطنبول [٤٧] ( كلية الآداب ١٩٧٨ بعنوان رسالتان من دوم ألفارو دى نورنها من هرمز ) الى أن النشاط التركى فى صدد التسهيلات التجارية المتبادلة بين البصرة وهرمز كان موضوع رسائل اكثر بكورا من ذلك ويقول نورنها ما يلى : « وفيما يتعلق بتجارة البصرة ـ هرمز ، واهتمام العثمانيين بها فان الفارو كتب يقول : « وعلى سبيل المثال فالعثمانيون فى البصرة أرسلوا عدة رسائل الى دوم مانويل ، ومنذ وصولى الى هنا جاءت رسالة اخرى من الاتراك ورفعت الى صاحب السمو وفيها يطلب الاتراك ان تظل التجارة مفتوحة ومن جانبهم يؤكدون انهم سيلتزمون بعدم التعرض لها على الاطلاق . لكن الدوم مانويل لم يرد على هذه الاتصالات فقد كانت سياسة البرتغاليين ما تزال باقية على حالها وان كان الفارو شخصيا يقدر تماما مزايا استمرار تجارة البصرة » .

## بوادر ندم فى الجانب الفارسى

يبدو ان الجانب الفارسى فى الحلف الفارسى ـ البرتغالى القديم بدأ يتشكك فى صواب السياسة التى سلكها فى مجمل الأحداث منذ بداية القرن ، فقد اصبحت هرمز وجماركها بل ومعظم تجارة الخليج فى أيدى البرتغاليين الذين لم يكونوا على استعداد لمشاركة احد فى غنائمهم وعلى العموم فان نهاية القرن شهدت برودا حقيقيا فى علاقات فارس بالبرتغاليين وذلك يعود لأسباب كثيرة منها بداية ظهور عناصر أوربية أكثر استعدادا لانشاء علاقات متوازنة مع بلاط طهران . ولقد كان الشاه عباس الذى اعتلى سدة الحكم عام ١٥٨٧ ينظر بحقد الى حيازة البرتغاليين لهرمز وسائر مزايا مينائها وجماركها . وقد تطورت الأمور كثيرا بوصول بعثة الاخوين الانجليزيين شيرلى عام ١٥٩٨ فقد استطاعا اقناع الشاه بمزايا تحسين علاقاته مع الأوربيين . وشتان ما بين الروح الصلبة الرجعية المتعصبة للبرتغاليين وبين مرونة الانجليز وحسن مدخلهم فى الأمور وفى التالى يظفرون بحصة الأسد بعد مرور فترة على شهر عسل أولى علاقاتهم بالدول الشرقية .. أما البرتغاليون المتعصبون فلا هم لهم فى الواقع سوى الابتزاز وحلب أشطر الضحية الى آخر قطرة .

## تفاقم أوضاع البرتغاليين

والواقع ان مما أيأس الفرس من حلف البرتغاليين أيضا ان موجة من الدعاية الكاسحة بدأت تعم كل جهة تسم البرتغاليين بالغزاة الكفرة ، وحيث ان العثمانيين بالتفاهم مع العرب قد أججوا مشاعر لم يكن فى وسع الفرس وهم مسلمون أيضا أن يتجاهلوها ويعترف كاتب المجلة الملكية الآسيوية بأن الأحوال ساءت تماما مع البرتغاليين اعتبارا من ١٥٨٠ وهذه ترجمة لما يقوله :

**[٤٨] لقد بدأت قوة البرتغاليين تذوى بوضوح لا مراء فيه اعتبارا من سنة ١٥٨٠ ، والسبب الرئيسي هو ضم البرتغال لاسبانيا الذى دام سنتين . لقد كانت هذه حقبة مأساوية فى تاريخ البرتغاليين فى الهند والخليج على السواء فقد**

راح يهددهم كل من الترك والهولنديين والانجليز والفرنسيين الذين راحوا يتخاطفون امبراطوريتهم قطعة بعد أخرى » .

ولم يعد في وسع البرتغاليين القيام بنفقات حامياتهم وكلفة الاستمرار بها ، وفيما كانت كمية التعزيزات ونوعيتها يتناقصان باستمرار كان العرب والفرس يزدادون جراة في مقاومة طغيان المستعمرين الكفرة ، وكذلك هبطت سمعة الاسطول البرتغالي وبعد ان كان قباطنة البرتغاليين الأولون يبحثون عن معارك يخوضونها أصبح قصارى مهارة القباطنة الجدد أن يتلافوا المصادمات البحرية ، وبدلا من ان يركز الضباط اهتمامهم في القتال والشئون العسكرية بات انشغالهم الأساسي في ممارسة التجارة والتماس الثروة » .

وبعد ان كان الضباط البرتغاليون لا يلقون بالا لكل مزايا استمرار تجارة البصرة ـ هرمز فانهم في عام ١٥٦٣ تجاوبوا مع رغبة والي البصرة على باشا وبعثوا بأنطونيو تكسيرا الى اسطنبول لكن السلطان العثماني اتخذ موقفا غير متوقع باصراره على انه اذا كان البرتغاليون هم الطالبين الراغبين في استمرار تجارة البصرة ـ هرمز فعليهم ارسال مندوب على مستوى رفيع الى البلاط العثماني لاعلان رغبة بلاده علنا . وفي الواقع فان النشاط التجاري لم ينقطع ولكن على تفاوت في المستوى وعلى ضوء الأحوال الأمنية وعلاقات الموادعة أو العداوة بين الاتراك والبرتغاليين .

## نكسات برتغالية في الخليج

وجه الاتراك حملة الى مسقط عام ١٥٨١ بقيادة اميرال تركي يدعى علي بك وقد عملت المفاجأة عملها في ترويع البرتغاليين حين وجدوا انفسهم يواجهون هجوما مشتركا من البر والبحر فتخلوا عن قلعتهم وفروا متراجعين الى داخل عمان وقد فشل البرتغاليون في توفير رد مناسب على تلك الحملة .

كذلك اصيب البرتغاليون بضربة موجعة من السكان العرب في نخيلوه حين نزلوا هناك عام ١٥٨٥ لينفذوا كما كانوا يعلنون سلفا ، عملية تأديبية هناك لما يدعونه على السكان المحليين من تعويقهم لأعمال موردي المؤن الى هرمز ، لكن البرتغاليين فوجئوا بكمين كان معدا لهم بعناية على طريقهم الى البلدة وبالفعل قتل منهم أكثر من مائتين وخمسين رجلا قبل ان يتمكنوا من التقهقر الى سفنهم ، وكانت تلك ضربة أخرى موجعة لنفوذ البرتغاليين .

ويذكر لوريمير (٤٩) ان البرتغاليين عمدوا عام ١٥٨٦ الى انشاء قلعة اضافية ضخمة في مسقط وربما كان لذلك علاقة بهجوم الاتراك المفاجيء عليهم قبل ذلك بخمس سنوات لكنه يظل دليلا على احساسهم بالضعف .

## بداية العد التنازلي للنفوذ البرتغالي

ليس هناك أدنى شك في أن خضوع البرتغال لاسبانيا اعتبارا من عام ١٥٨٠ أضر كثيرا بحماسة البرتغاليين للحياة والانتشار والنفوذ ذلك بأن الحكم الاسباني

كان حكما مركزيا رجعيا الى ابعد الحدود ، وعلاوة على ذلك فقد هزم الاسبان هزيمة منكرة أمام اسطول الانجليز المؤلف من سفن سريعة صغيرة فيها رجال أشد حماسة للنصر من قباطنة الملك الاسبانى وقد أضرت تلك الحرب أضرارا بالغا بسمعة الاسبان ، ووضعت حجر الأساس لنهوض الانجليز ودخولهم حلبة التنافس الدولى من أجل الهيمنة الخارجية والاثراء التجارى الضخم .

وقد بدا واضحا منذ عام ١٦٠٢ ان حالة البرتغاليين فى انحدار محتوم وذلك لدى طردهم من البحرين . وبعد ذلك بسنتين أى ١٦٠٤ اصبح البرتغاليون الذين كانوا لا يأذنون لسفينة بالحركة فى الخليج الا برخصة منهم محرومين من الاقتراب من عدة مواقع خليجية هامة مثل ريق (ريج) ونخيلوه ولكن دعنا نتوقف الآن عند خروجهم من البحرين .

## طرد البرتغاليين من البحرين ١٦٠٢ م

ازداد التذمر جدا فى البحرين من تعسف البرتغاليين ويذكر احد الكتاب المعاصرين (٥٠) بأن حاكم البحرين عندئذ كان من أقارب ملك هرمز وكان يعامل الناس معاملة غاية فى الشراسة والنكاية والابتزاز وقد بلغ عسفه الذروة عندما قتل تاجرا بحرينيا ثريا ومعدودا من خيرة الوجهاء فضلا ، وفى الحال وضع حاكم البحرين يده على سائر ثروة القتيل من اللؤلؤ وفيها مجموعة من اللآلىء الممتازة النادرة الوجود .

ومع ان مقتل ذلك الوجيه قد اثار موجة أسى عميقة الا ان الناس كانوا مشبعين بارهاب البرتغاليين وشدة عسفهم فتهيبوا من اشعال الثورة وكان للتاجر القتيل أخ محب للغاية وقد كتم مشاعره وراح يتودد الى الحاكم قاتل أخيه بحيث تمكن من كسب ثقته كسبا تاما مما أعطى الرجل الموتور فرصته الممتازة فانتهزها وقتل الحاكم بخنجر وعلى التو أعلن نفسه حاكما للبحرين وقد تداعى لتأييده معظم سكان الجزيرة وقد تغلب الأهالى على حامية القلعة البرتغالية واحتلوها ووردتهم نجدة من أمين دولة شيراز بقصد المساعدة واعلان الجزيرة تابعة لايران .

وكان البرتغاليون والايرانيون حتى ذلك الحادث يحتفظون بمودة شكلية مصطنعة فيما بينهم حيث لم يعد خافيا ان الانجليز كانوا قد بدأوا يتغلغلون بمهارة وهدوء فى الأوساط الحاكمة فى طهران .

ومن غرائب المصادفات ان وفدا برتغاليا كان لدى سقوط البحرين يزور طهران ليجس نبض الشاه فى امكانية ابرام حلف بين بلديهما ضد الاتراك وكان الدافع الحقيقى وراء هذا العرض البرتغالى هو احساس البرتغاليين بالمزاحمة الخطيرة التى راح الهولنديون - الوافدون البروتستانت الجدد - يضيقون بها الخناق على التجارة البرتغالية فى الهند والخليج بل وفى كل مكان .

وقليلا ما كان يخطر ببال البرتغاليين ان الانجليز أيضا لهم خططهم وان تلك الخطط كانت تعتمد صداقة فارس محورا لها . وكان لطمة للبرتغاليين ما حصل فى البحرين بحيث احتج البرتغاليون على « مساعدة ايران » لثوار الجزر وبالتالى وضع اليد عليها ، وقد رد الايرانيون بأنهم لم يستولوا على جزيرة يحكمها البرتغاليون وانما كان يحكمها قريب لملك هرمز العربى متجاهلين نفوذ البرتغاليين فى الجزر .

## محاولات برتغالية لاسترداد البحرين

وكانت البحرين من الأهمية بحيث ان

البرتغاليين رغم كل أحوالهم المتراجعة وظروفهم الصعبة اخذوا فورا فى التخطيط لاسترجاعها ، ولذلك عين حاكم هرمز البرتغالى والمدعو دون بيدرو كونتينو احد ضباطه المسمى الكابتن فرانسيسكودا سوتو ماجور قائدا لقوة مختلطة من البرتغاليين والهرامزة للحيلولة دون قيام الايرانيين بانزال المزيد من جنودهم فى البحرين وكذلك اعادة احتلال الجزر وقد وصلت عدة سفن حربية كبرى من الهند للانضمام لهذه القوة واكمال تشكيلاتها كما وصل جنود كثيرون من هناك ايضا الا ان القوة القادمة من الهند تحت قيادة الدون جورج صاحب قلعة برونو كانت أضعف بكثير من المتوقع كما كانت سفنها ناقصة من ناحية الرجال ، ومن هنا عكف حاكم هرمز على تلافى سائر تلك النواقص لكن أعداءه فى بلاط البرتغاليين بجوا لم يمهلوه لينجز خططه فقد تمكنوا من استصدار أمر بطرده دون ان يعطى أية فرصة للدفاع عن نفسه .

وقد جاء بعده لحكم هرمز رجل يدعى ديازبراتو وكان رجلا دائم المرض ، تبين له عند استلامه السلطة بأن قوات البرتغاليين كانت مستنزفة بسبب انتشار الأمراض فيها من جهة وبسبب كثرة من يحولون منها لمحاربة الهولنديين وقد ناضل مساعده المباشر جاسبر دى ميللو لتجهيز الحملة المستهدفة للبحرين لكنه لم يصادف نجاحا ايضا .

ولدى سماع شاه ايران عباس ان البرتغاليين يعدون لاستعادة البحرين أرسل قوات من خمسة الاف رجل بقيادة آيم سلطان لتهديد حامية البرتغال فى جمبرون ( بندر عباس ) وذلك لتحويل انتباههم عن البحرين وفى الحال أرسلت البعثة البرتغالية فى طهران رسالة تحذير الى حاكم هرمز بألا يقوم بما من شأنه افساد جو المفاوضات بينهم وبين ملك فارس .

ويدعى البرتغاليون ان عباس خلال تلك المفاوضات اصدر أمرا بأن تعاد البحرين لهم ولكن ذلك الأمر لم يأخذ طريقه الى التنفيذ .

وحيث وقعت حركة تمرد فى جمبرون ( بندر عباس ) ضد الحامية البرتغالية هناك فان مجرد التفكير فى عمل ضد البحرين لم يعد واردا فى أذهان البرتغاليين الذين ظلوا يتهددون بالكلام ان يستعيدوها لحكمهم مهما طال الزمان وعلى كل حال فقد كانت هناك مقترحات سخيفة كوسائل الرشوة والتحريض لاستعادة نفوذ البرتغال تدور فى أوساط الحاكم البرتغالى لهرمز الذى كان فيما يبدو قليلا ما يتصور انه هو نفسه سيطرد وان هرمز سوف تسقط لغير البرتغاليين عام ١٦٢٢ .

## بداية الدور الانجليزى فى الخليج عام ١٥٩٨

بعد حقبة من انتصار السفن الانجليزية الصغيرة السريعة على الاسطول الضخم الهائل لاسبانيا عام ١٥٨٨ فى موقعة الارمادا الشهيرة ، التى لعب المناخ فيها دورا بالغ الفائدة للانجليز بهبوب عواصف عاتية فى وجه سفن الاسبان الكبرى دفعت بها الى سواحل ايرلنده واسكتلنده فأكملت بذلك عمل المهاجمين المستميتين من بحارة الانجليز الطامعين فى نهب خيرات ذلك الاسطول الكبير ، نقول بعد عشر سنوات فقط كانت طليعة من الانجليز مؤلفة من اخوين شقيقين هما روبرت شيرلى وانتونى شيرلى وصلا الى منطقة قزوين ومعهما كوكبة من الفرسان الانجليز عددهم ستة وعشرون رجلا وقدموا انفسهم لخدمة الشاه .

وقد اندفع الشاه عباس كثيرا فى ثقته

بهؤلاء النفر من (٥١) الانجليز بالرغم من استياء قبائل القزلباش الذين كانوا يشكلون العمود الفقرى فى جيشه ، الأمر الذى حدا بالشاه لقبول نصائح شيرلى فى اعادة تشكيل جيشه على أسس عصرية مع الاتصال بالغرب المسيحى وتوثيق علاقته بهم .. وكان هم الانجليز من البداية المباعدة ما بين الاتراك والايرانيين ليتسنى لهم الوصول الى أهداف مستقبلية طموحه كانت قمة مخططهم الاستعمارى فى الخليج .

وبطبيعة الحال فان الانجليز اختاروا وقتا ملائما لخططهم ضد البرتغاليين والاتراك على حد سواء ، ذلك بأن الاتراك كانوا قد وصلوا فى تقدمهم فى ايران عام ١٦٠٢ الى نهاوند كما كانت تفليس وتبريز وغيرهما من مدنهم فى قبضة الاتراك .

والواقع ان الاتراك كانوا ينشدون وضعا مستقرا مع ايران خصوصا بعد اشتداد المواجهة بينهم وبين البرتغاليين اواسط القرن السادس عشر ، ولكن الايرانيين كانوا يفضلون التفاهم مع الغربيين .

## الدور الانجليزى
## ضد البرتغاليين والاتراك

اندفع الشاه عباس كثيرا وراء منطق شيرلى فأصدر فرمانا يعطى المسيحيين حرية تامة فى ايران فلهم ان يتاجروا ويتصلوا بالناس وينشئوا اية علاقة مع رعايا ايران .

وبينما توجه انطونى شيرلى الى العواصم الأوربية للتبشير لحركة التقارب المسيحى الايرانى كان أخوه روبرت يتولى تدريب جيش جديد للشاه ويباشر المعارك ضد العثمانيين باعتباره القائد العام للجيش الفارسى وهى بادرة استغلها الانجليز حيثما وجدوا خلال عصرهم الاستعمارى من جراء النجاح الذى أحرزته على يد روبرت شيرلى ..

وقد قام روبرت هذا بزيارة للندن ومدريد ووارسو وغيرها من العواصم الأوربية مناديا كأخيه بسياسة الضغط على الاتراك وتشجيع تقدم الايرانيين لتصبح حدودهم متصلة بحدود الغرب المسيحى .

ولم يخف على مدريد أبعاد الخطة الجهنمية التى كان يعد لها الانجليز ففى الوقت الذى كان شيرلى يزور مدريد ، أرسلت توجيهات من الملك فيليب الثالث ملك اسبانيا الى قيادة حامية هرمز بضرورة تحصين القلعة البرتغالية فى الجزيرة تحصينا تاما كما أوعز بالقبض على شيرلى اذا ما أوقع نفسه فى قبضة البرتغاليين .

والحقيقة ان سوء الظن كان واردا على الدوام فقد حدث ان مر الانجليزى فتش بهرمز ومعه ثلاثة من زملائه فى بعثة تجارية الى الشرق شاملا ذلك الصين لدراسة أسواق الحرير والتوابل والتعرف على أوضاع القوى فى المناطق الشرقية ، فقام البرتغاليون بالقبض عليه وسجنه .

وفى عام ١٦٠٨ بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية تأسيس أول مركز لها فى صورات بالهند حيث جرى اتصال ودى مع امبراطور المغول ارتكب بسببه الامبراطور أكبر حماقة ارتكبها المسلمون الهنود بتشجيعهم العدو الذى احتل بلادهم وأذلهم فى مقبلات الأيام .

وفى الوقت نفسه بدا أثر الانجليز واضحا فى معاكسة البرتغاليين ومع انهم لم يحصلوا قبل عام ١٦١٦ على أى فرمان يعطيهم تسهيلات خاصة محددة الا انهم عن طريق تدخل الأخوين شيرلى تمكنوا من احداث كل الاثار التى احدثوها فى نفوذ البرتغاليين ، واذا ما قارنا بين وضع البرتغاليين عام ١٦٠٢ ووضعهم مثلا عام ١٦٢٢ فاننا نرى عجبا . لقد خسروا وضعهم فى البحرين

وخسروا هرمز وقشم وصاروا يطاردون من دخول العديد من المواقع كنخيلوه وكيش وبندر ريق ، ذلك بأن كراهية الناس لهم وجدت فى الانجليز من يشجع على تنظيمها وتوجيهها لغايات فعالة محددة .

ولقد استمرت العداوة مستعرة بين الانجليز والبرتغاليين بغير تراخ حتى وقع بينهما أول محاولة للتصالح عام ١٦٣٤ وذلك بعد ان تم اكبر حدث أنهى كل قيمة اساسية فى وجود البرتغاليين بالخليج الا وهو طردهم أولا من قلعتهم فى قشم التى كانت تحرس عملية توريد المياه لهم فى هرمز ثم طردهم بعد ذلك مباشرة من هرمز وذلك بعملية كبرى مشتركة ساهم فيها جيش كبير للشاه عباس فيما تولت السفن البريطانية ضرب الاسطول البرتغالى والقلعة فى هرمز حتى سقطت القلعة فى ابريل عام ١٦٢٢ وطوى عن قلعتها علم البوكيرك بعد ان رفع عليها مدى مئة وأربع عشرة سنة .

ويحاول المؤرخون الانجليز ان يوجدوا مختلف اشكال المبررات لموضوع حساس يؤرقهم وهو تحالفهم وهم دولة نصرانية مع عدو مسلم ضد أبناء دينهم البرتغاليين وهم يحاولون ايجاد مبررات عديدة عاطفية فى مجملها ولا تنهض امام حوار أو نقاش ، من ذلك ان الشاه عباس هددهم بأن يوقف امتيازاتهم وسائر الفرمانات التى أصدرها لصالحهم بالنسبة لتجارة الحرير وغير ذلك . ومنها ان الذين قرروا اتخاذ ذلك الموقف هم تجار والتجار تهمهم كثيرا مصالحهم المادية .

وينسى هؤلاء ان الموقف من الدول الاوروبية وغيرها فى الخليج والمحيط الهندى كان من موضوعات الحاضر والمستقبل التى لا يمكن ان يترك تقريرها لتاجر ، كما ينسون ان الانجليز حاربوا البرتغاليين وهزموهم فى صورات بالهند ابتداء من عام ١٦١٢ والى عام ١٦١٥ ، وانهم لاحقا مثلوا دورا مماثلا مع الهولنديين فقد استعانوا بهم ضد البرتغاليين ثم قلبوا لهم ظهر المجن .. كذلك فان الانجليز لم يلاقوا ترحيبا حارا من البرتغاليين حين شرعوا فى انشاء مركز لهم فى جاسك بجنوبى الخليج ، ولا حين تمكنوا من الحصول على احتكار للمتاجرة وحدهم بحرير فارس ... وانه لأمر سهل حقيقة ان يزعم الانجليز انهم وصلوا بمجموعة سفن الى جاسك بمحض الصدفة حين كان الايرانيون يصطدمون بالبرتغاليين فى قشم ، كما انه ليس صحيحا وما كان يمكن ان يكون صحيحا ان السفن الانجليزية التى وصلت كانت مجرد سفن تجارية بريئة وان أصحابها أحرجوا كثيرا حين طلب اليهم الاشتراك فى معركة بحرية وان بعض البحارة تمردوا على ذلك الطلب لأنهم لم يتعاقدوا كجنود ولكن كبحارة سفن مسالمة .

ويورد المؤرخ البريطانى هربرت شروط الاتفاق الفارسى الانجليزى الذى تم بموجبه وفى أثره مهاجمة هرمز وهى :

١ ـ تؤول القلعة البرتغالية للانجليز وعلى الايرانيين ان يقيموا لهم قلعة خاصة بهم فى الجزيرة اذا شاءوا .
٢ ـ تقسم الغنائم بين الطرفين مناصفة .
٣ ـ الانجليز يكونون هم المسئولين عن الأسرى المسيحيين الذين يقبض عليهم فى الجزيرة أثناء القتال وبعده .
٤ ـ يدفع الفرس نصف تكاليف الحملة الجارية كأثمان الذخائر وأجور النقل .. الخ .
٥ ـ تعفى تجارة بريطانيا فى بندر عباس من الضرائب الى الأبد .

لقد تحمل الايرانيون بقيادة امام قولى خان العبء الحقيقى فى معركة هرمز وخسروا ألف قتيل على أقل تقدير بينما لم تزد خسائر الانجليز على العشرين اصابة ،

اما البرتغاليون بالطبع فان ثلاثة آلاف نسمة منهم بين مقاتلين وأفراد أسر فقد ذاقوا الأمرين من الحصار والجوع والعطش والاصابات والخوف بحيث رق الانجليز لحالهم كثيرا وعاملوهم معاملة جيدة ولكنهم لم يستطيعوا الحيلولة دون فوضى النهب والسلب في القلعة وفي هرمز على السواء .

وكما ذكرنا من قبل فان سقوط هرمز كان ختام المحاولات الكلامية التى كان يصدر عنها البرتغاليون في صدد السعى لاستعادة البحرين .

## كراهية المنطقة للبرتغاليين

لم يكن الانجليز أو سواهم محتاجين لكبير جهد في نشر الدعاية ضد البرتغاليين فقد اعتاد أولئك الناس العنف وسفك الدم والنهب وغلظ القلوب وهم لم يكفوا عن عاداتهم حتى بعد مرور أكثر من قرن على ظهورهم الأسود في الخليج . ففى عام ١٦١٦ م هاجموا فجأة مدينة صحار على ساحل عمان وهى المدينة التى ذاقت الويل منهم مرارا وذلك لأنهم كرهوا ان يظهر ميناء ناشط في عمان ينافس هرمز ومسقط ولا تكون لهم فيه الكلمة العليا وجمع الضرائب الباهظة وقد قتلوا حامية المدينة وشيخها وأسروا خاله ثم أعدموه .

ولا بد لنا من الاشارة الى ان مصالح الانجليز شملت فارس طولا وعرضا قبل معركة هرمز فقد تعددت بعثاتهم وكثرت وكالاتهم فبالاضافة الى جاسك أسسوا وكالة في شيراز وأخرى في اصفهان ولم تفلح جهود البرتغاليين السلمية المستميتة في اقناع الشاه عباس بالتروى في علاقته مع منافسيهم .

## البرتغاليون يتحولون لمحالفة الأتراك

بقيت للبرتغاليين فرصة وحيدة أخيرة في الخليج ألا وهى محاولة الارتكاز الى مركزهم المتماسك في مسقط وعمان عموما وفي الوقت نفسه تجربة التحالف مع الاتراك لمحاولة اعادة التوازن الى الأوضاع في الخليج بعدما بدت نتائج التحالف الانجليزى الفارسى وما أدى اليه من طرد البرتغاليين من سائر مراكزهم القوية خارج عمان .

وكان أمرا طبيعيا والحالة تلك ان يرحب الاتراك بالتحول القهرى الذى طرأ على سياسة البرتغال وان يفتحوا لهم أذرعهم في البصرة ليمارسوا كامل الحرية في تأسيس مركز تجارى وجالية برتغالية هناك خصوصا وان ذلك معناه تحول التجارة البرتغالية الهندية الى البصرة بكل ما يعنيه الأمر من ضرائب وأرباح .

ولكن الطرف الآخر لم يكن غافلا وهنا نلاحظ نشاطا ايرانيا قويا لمحاولة انتزاع البصرة أو التأثير على الوضع فيها ، ونجد البرتغاليين يقفون الى جانب الاتراك في تأمين البلد وسلامة المرور التجارى اليها من كل اتجاه ..

## التعاون الحربى التركى - البرتغالى

### (٥٢) _ محاولة أخرى لاسترداد البحرين

ولدينا رسالة مؤرخة في ٥ يناير ١٦٢٩ وفيها توجيه من القيادة البحرية البرتغالية الى قائد فصيل بحرى متعلق بأعمال حربية مشتركة بين الاتراك والبرتغاليين وهى تدل على ان الفريقين كانا يشنان هجمات متلاحقة على الشاطىء الايرانى وعلى البحرين ويحاولان جهدهما صرف سائر

السكان العرب فى شمالى الخليج عن التعامل مع سلطات الجنوب الفارسية ـ البريطانية والتهديد بالانتقام من الذين يقبلون الأمر الواقع هناك والناشىء عن سقوط هرمز وغيرها فى معاقل البرتغاليين .

وللأهمية ولطرافة هذه الرسالة فانى أقتطف فقرات منها أترجمها عن الانجليزية التى كانت ترجمت لها من البرتغالية جاء فى تلك الرسالة أو التوجيه ما يلى :

**« لقد برهن على باشا ( متسلم البصرة التركى ) انه مخلص فى مساعدة حكومة صاحب الجلالة ( الإسبانى ملك البرتغال أيضا الى ذلك الحين ) فهو قائم على شأن الحرب ضد فارس بتصميم واضح ، بعد ان تمكن مؤخرا من احداث أضرار كثيرة فى البحرين وانه لمن المناسب جدا لنا ان نواصل مساعينا معه لاخلاء تلك الجزر ( من قوات العدو ) كما ان باستطاعة بوارجنا دعم سفنه فى شن غارات متواصلة على الساحل الايرانى مما يؤدى الى ايقاع خسائر ضخمة بالشاه .**

**وانها لخطة ملائمة جدا ان نؤجر خدمات سفننا لباشا البصرة فنوفر أموالا على صاحب الجلالة ، وانى اذ أدع قوات الاسطول تحت تصرف سعادتك لواثق بأنك ستحقق به نجاحات جيدة فى كل المناسبات وفيما يلى تعليماتى لك وعليك الالتزام بها الى ان تصلك منى أوامر أخرى .**

**أولا** : عليك مرافقة الباشا (التركى متسلم البصرة) حتى القطيف ، وعليك ان تتوقف عما كنت تعزم عليه من حرق قرى قطر الساحلية ولكن سر قدما الى جزيرة



صورة لرأس البطل مقرن على درع القائد البرتغالي انطونيو كوريا مأخوذة عن المصادر البرتغالية وموجودة بمركز الوثائق التاريخية

خارج ، وعليك ان تدمر السفن والمراكب الصغيرة التى تجدها فى طريقك والتزم بقتل من فيها لكى تظل مهابا بمثل هذه الاجراءات الصارمة .

ثم تفصل الرسالة شروط عقد تأجير السفن للباشا خلال شهر اكتوبر ونوفمبر ومصروفات البحارة واطعامهم أيضا على حساب الباشا .

وفى هذا الصدد تقول الرسالة وفى بداية

اكتوبر سيكون على الباشا ان يدفع ١٥ ربع ريال لكل من البحارة وعلى مدى ثلاثة اشهر ومائة من نفس العملة لكل ضابط وثلاثمائة قطعة لسعادتك (القطعة تسمى بارداو ؟ ) . كما عليه تقديم المئونة للبحارة وفى نزولهم للبر عليه توفير السكن أيضا .

ثم يوصيه بحسن معاملة الضباط والبحارة وتجنيبهم ارتكاب المساءات فى كل من راس التنورة والقطيف وان يتحببوا هناك للأهالى حيث ستكون الاقامة لثلاثة أشهر فى الخدمة بين سواحل القطيف والبحرين فاذا طلب الباشا ثلاثة اشهر اخرى عليك ان تخبره انك تفضل التوجه الى نخيلوه والالتجاء الى مواقع أمينة هناك طوال شهر فبراير حين تكون سفن الأعداء تتجول فى سواحل هرمز ومن ثم تعود الى القطيف بعد فبراير وانت رجل مجرب ولا حاجة لى لأوضح المزيد لك .

واذا طلب الباشا منك مهاجمة ايران فعليك الا تتردد كما عليك ان تحاول حرق السفن التى تجدها قريبا من البحرين وتختتم الرسالة بهذه العبارة :

« وفى الختام فاننى لا احتاج لأن أؤكد لسعادتك كم هو هام ان نحافظ على هذا الباشا ، ولو لسبب واحد ان لم توجد أسباب أخرى وهو استعداده لتحمل نفقات السفن وبالتالى فنحن سعداء اذ نبرز لنا وجودا فعالا فى المضائق علما بأن صاحب الجلالة لا يتحمل اية مصروفات فى ذلك وبذلك فنحن نوقع الأذى بعدونا الفارسى ونعرقل الملاحة فى المضائق (هرمز) ونكبد أعداءنا خسائر كبيرة وخلاف ذلك مما لا يخفى على رجل مجرب مثلك مخلص فى خدمة صاحب الجلالة مولانا الملك .

التاريخ ١٢ سبتمبر ١٦٢٧

( التوقيع غير مثبت )

## طرد البرتغاليين من عمان وتحولهم الى مرتزقة

لكن تأجير السفن البرتغالية الى متسلم البصرة لاحداث تأثير فى الجانب الآخر وهو الحلف الانجليزى ـ الفارسى لم يكن ليغير شيئا من حقائق الأمور الجديدة فى الخليج . وعلى العكس من ذلك فان البرتغاليين واجهوا الضربة الأخيرة القاضية فى عمان بقيام دولة اليعاربة وبعد عشر سنوات من الكفاح من ١٦٤٠ ـ ١٦٥٠ م سقطت صحار وكوراسار ودويار والقريات وفى ١٦٥٠ انتهت الهجمات المتكررة اليعربية على حصن مسقط الحصين الى تسليمه وجلاء حامية البرتغاليين وانتهاء وجودهم المأساوى فى عمان .. وبذلك لم يبق لهم اى مركز . أما وجودهم فى البصرة فكان وجود جماعة مرتزقة كما رأينا فى نص الرسالة السابقة ..

وسبحان الله يداول الأيام بين الناس ..

# الهوامش

(١) راجع لوريمر - الترجمة المنقحة لمكتب امير دولة قطر. المجلد الاول - تاريخي - ص ١٠

(٢) موجودات قسم الوثائق لمكتب سمو الامير «وثيقتا ٥ يناير ١٦٢٩ و ١٠ يناير ١٦٢٩ الترجمة لمكتب جولبنكيان في لشبونة».

(٣) تحفه المستفيد للانصاري مطابع الرياض ١٩٦٠ ص ١٢

(٤) جـ٢ ص ٢٢٨

(٥) النسخة التيمورية ص ٣١٦ - رقم النسخة ٩٢٦

(٦) عايشة السيار - دولة اليعارية - الناشر دار القدس ص ١٩

(٧) التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد وشرقي الجزيرة العربية - د. عبد اللطيف الحميدان العدد ١٦ السنة ١٤ مجلة كلية الاداب جامعة البصرة ص ٤٠

(٨) مجلة كلية الاداب لجامعة البصرة العدد ١٦ صفحة ٥١

(٩) دولة اليعارية - عائشة السيار - نشر دار القدس

(١٠) لوريمر الترجمة الجديدة الجزء الاول التاريخي ص ١١

(١١) دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الجزء الثاني لمصادر تاريخ الجزيرة - مطبعة جامعة الرياض ص ١١٧

(١٢) الرسائل - مجموعة جوا دي سوزا - قسم الوثائق والابحاث - قصر الدوحة.

(١٣) دليل الخليج الجزء الاول - ص ١٤ - الطبعة الجديدة بالدوحة.

(١٤) مجلة الجمعية الملكية لاسيا الوسطى - المجلد ٢٢ لعام ١٩٣٥ ص ٦١٨.

(١٥) دليل الخليج ج ١ ص ١٢ - الترجمة الجديدة.

(١٦) الخليج العربي ارنولد ويلسون - ترجمة عبد القادر يوسف مكتبة الامل - الكويت ص ٢٠٨

(١٧) الجزء الاول تاريخي - دليل الخليج الترجمة الجديدة ص ١٣

(١٨) ارنولد ويلسون - الخليج (الفارسي) ترجمة عبد القادر يوسف - الكويت ص ٢٠٨

(١٩) ويلسون - الخليج (الفارسي) نفس الترجمة ص ٢١١

(٢٠) ص ٦١٨ الجزء XXII مجلة الجمعية الملكية لأسيا الوسطى لعام ١٩٣٥

(٢١) A NARRATIVE OF ITALIAN TRAVELS IN PERSIA IN THE 16th. CENTURY. HAKL. SOC. (LONDON 1873) PP. 221-222.

(٢٢) دراسات الخليج والجزيرة. د. طارق الحمداني ص٦٥ (سنة تاسعة، عدد ٣٤).

(٢٣) سائر هذه الاوامر يوجد ضمن وثائق الباشبكنلك (رئاسة الوزراء) اسطنبول وهي مفعمة بالعواطف الجياشة ضد مقاصد البرتغاليين الصليبية.

(٢٤) لوريمر - ج ١ التاريخي ص ١٣ ، الطبعة الجديدة.

(٢٥) الترجمة العربية لكتاب ارنولد ويلسون طبعة الكويت وترجمة عبد القادر يوسف ص ٢١١
(٢٦) تاريخ الدولة العثمانية لأحمد جودت مجلد ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ طبعة ثانية (١٣٠٩ هـ).
(27( SIR ARNOLD WILSON - THE PERSIAN GULF - GEORGE ALLEN AND UNWIN THIRD IMPRESSION 1959 - PP. 117-122 PASSAGES TRANSLATED BY WRITER.

(٢٨) مقال مجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى مجلد XXII لعام ١٩٣٥ صفحة ٦١٩

(٢٩) دليل الخليج ج ١ تاريخي ص ١٤
(٣٠) ارنولد ويلسون - الخليج الفارسي - النسخة الانجليزية ص ١٢١ طبعة ١٩٥٩ (الثالثة).

(٣١) عبارة الانصاري في تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد / مطابع الرياض ١٩٦٠م صفحة ١٢٠

(٣٢) تحفة المستفيد طبعة الرياض ١٩٦٠ الصفحة ١٢١

(٣٣) HISTORY OF PERSIA-SIR PERCY SYKES-THIRD EDITION-PAGE 162

( ٣٤ ) العدد ٢٢ ، لعام ١٩٣٥ من ص . ٦٢٠ - ٦٢٤

( ٣٥ ) دليل الخليج جـ ١ تاريخي ص . ١٥ - الترجمة الجديدة .

( ٣٦ ) لوريمر جـ ١ تاريخي ص ١٥ - الطبعة الجديدة

( ٣٧ ) لوريمر جـ ١ ص ١٦ الترجمة الجديدة .

( ٣٨ ) الدكتور طارق الحمداني - دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد ٣٤ ص ٦٥

(٣٩) كان دخول الأتراك الى القطيف عام ١٥٥٠ بدعوة من السكان العرب .

(٤٠) يرى ذكر هذه الرسالة ضمن رسالة من مناويل دي ليما حاكم هرمز الى نائب الملك في جوا ( يونيو ١٥٤٧ ) وقد حققها المؤرخ التركى اوزران ( الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ترجمة ناجي بغداد ١٩٧١ ص ٣٩ .

(٤١) مجلة الجمعية الملكية لوسط اسيا المجلد ٢٠ ص ٦٢٠ ( ١٩٣٥ - وصف للبحرين لديورات باربوزا .

(٤٢) THE PERSIAN GULF — ARNOLD T. WILSON, ALLEN & UNWIN P. 124

(٤٣) ص ٦٢٦ الفقرة الثالثة - JOURNAL OF THE ROYAL CENTRAL ASIAN SOCIETY VOL. XXII (1935) P. 626

(٤٤) تاريخ احمد جودت طبعة ثانية ١٣٠٩ . هجرية مجلد ١ ص ١٤٤

(٤٥) الدكتور سليمان الغنام - مصادر تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول ص ١١٧ - كلية الآداب / جامعة الرياض .

(٤٦) عن عام ١٦١٦ م / ١٠٢٥ هـ - كتاب ابن السالمي اياه .

(٤٧) صورة من الرسالتين المطبوعتين بمكتب الوثائق بالدوحة - ص ٢٤٤ .

(٤٨) مقال الجمعية الملكية الآسيوية XXII ص ٦٢٨ لعام ١٩٣٥ .

(٤٩) لوريمر - القسم التاريخي ص ٢٠ الجزء الأول - ترجمة أحمد العناني / مكتب الوثائق والأبحاث بقصر الدوحة .

(٥٠) مجلة الجمعية الملكية لآسيا الوسطى - ص ٦٢٨ عدد ٢٢ عام ١٩٣٥ .

(٥١) مصطفى عقيل الخطيب - التنافس الدولي في الخليج العربي من ١٦٢٢ - ١٧٦٣ .

(٥٢) هذه رسالة أصلية استحصل عليها مركز الوثائق في الدوحة بالتعاون مع مؤسسة جولبنكيان في لشبونه وهي تشمل تعليمات الى القبطان د. جونزالودا سلفسترا المسئول عن ٦ سفن برتغالية مسلحة .

# المراجع


١ ـ أحمد جودت ـ موسوعة التاريخ العثماني ، مجلد ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

٢ ـ بيرى رئيسي ـ كتاب البحرية ص ٦٢ ـ ٦٧ .

٣ ـ ج ج لوريمر ـ دليل الخليج « القسم التاريخي : جـ ١ ، جـ ٣ » ترجمة احمد العناني .

٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الثالث .

٥ ـ سليمان محمد الغنام ـ الوجود البرتغالي في عمان في المصادر المحلية العمانية ، « من الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى بدراسات تاريخ الجزيرة العربية » الكتاب الأول ، الجزء الثاني ، كلية الآداب/ جامعة الرياض/ ١٩٧٧ م .

٦ ـ عائشة على السيار ـ دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا ، في الفترة من ١٦٢٤ ـ ١٧٤١ م ، الطبعة الأولى ، دار القدس ، لبنان ، ١٩٧٥ م .

٧ ـ د. عبد اللطيف ناصر الحميدان ـ التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ، مجلة كلية الآداب/ جامعة البصرة/ العدد ١٦ ، السنة الرابعة عشرة ، ١٩٨٠ م .

٨ ـ طارق نافع الحمداني ـ تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٤ ، السنة التاسعة ، الكويت ، ١٩٨٣ م .

٩ ـ محمد بن عبدالله بن عبد المحسن آل عبدالقادر ـ تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، القسم الأول ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٩٦٠ م .

١٠ ـ أحمد العناني ـ الأوروبيون في الخليج « البرتغاليون » ، مجلة الدوحة ، اعداد : أغسطس ، سبتمبر ، اكتوبر ١٩٧٦ م .

11. Documentos Arabicos: Para A Historia Portugueza, Nos. I-II & LII, Documents Sec., Doha Palace.
12. Instructions for D. Goncalo da Silviera, Captain in Chief of Portugal Navy, Documents Sec. Doha Palace.
13. Ozbaran, Salih, Two Letters of Dom Alvaro De Noronha from Hormuz, Edebiyat Fakultesi Matbasi, Istanbul, 1978
14. Various Film Material on Bahrain, No.R/15/2, British Library: India Office Records, London.
15. Journal of the Royal Central Asian Society. Vol XXII, London, 1935.
16 Belgrave, Charles, Personal Column, Librairie du Liban, Beirut, 1972
17. Miles, Colonel S.B., Countries and Tribes of the Persian Gulf, Harrison & Sons, London, 1920.
18. The New Encyclopaedia Britannica, Vols.2 & 14, Hemingway Benton, Chicago, 1977
19. Sykes, Sir Percy, History of Persia, Macmillan, London, 1951
20. Wilson, Sir Arnold T., The Persian Gulf, George Allen & Unwin, London, 1959.

# مساهمة المصادر

# في كتابة تاريخ البحرين خلال

**إن الغاية من هـذا العرض هي تسليـط بعض الاضواء عـلى احوال البحرين والقطيف من خلال بعض المصادر والوثائق التي استطعت الوقوف عليها بلشبونة وخصوصا تقديم ترجمة عربية لأهم تلك الوثائق حتى يتمكن الباحثون العرب غير القادرين على قراءة النصوص البرتغالية من الاعتماد عليهـا في دراساتهم عن اوضاع هذه المناطق خلال القرن السادس عشر.**

**ولا تخفى أهمية هذه الوثائق والمصادر البرتغالية على أحد، ومدى مساهمتها الكبرى في كتابة تاريخ المنـاطق التي تعرضت للغزو البرتغالي سواء كانت في الشطر الغربي أو الشرقي من عالمنا العربي، لأن اعتداء اولئك المسيحيين على سواحلنا ومدننا تم في فترة تسرب فيها الضعف والانقسام الى البلاد الاسلامية حتى ان كل منطقة وأحيانا كل مدينة أضحت في يد «ملك» كما تثبت ذلك هذه النصوص التي اعتمدناها، الامر الذي جعل التـأليف والاعتناء بتدوين الاحداث يقل بشكل غـريب. لذا بقيت حقب طويلة من تاريخ عالمنا العربي في بداية العصور الحديثة غامضة لم تصلنا عنها الا اخبار قليلة.**

ولقـد سبق لي في مقـال نشـرتـه بمجلة المناهل[1] ان بينت نـوعية مسـاهمة هـذه المصادر وخصوصا الوثائق البـرتغاليـة في كتابة تاريخ عالمنا العربي. الا انه من اللازم التأكيد على ان هذه الوثائق لا يمكن ان تكون ابدا عمدة المؤرخ العربي وسلاحه الوحيد،

# والوثائق البرتغالية

## النصف الأول من القرن السادس عشر

بقلم :
أحمد بوشرب ـ المغرب

بل لا بد من البحث عن مصادر ووثائق عربية تصحح معلوماتها او تكملها او على الاقل تمكن من مراقبة مدى صحتها ودقتها وموضوعيتها.

ولعل اهم عيب تحتوي عليه هذه الوثائق الاجنبية هو عدم تغطيتها لتاريخ السواحل العربية الاسلامية تغطية كاملة، فهي لا تتحدث عنها الا حينما تثير اهتمام المسئولين البرتغاليين، وكلما اشارت اليها نظرت اليها من وجهة نظر المستعمر، وحسب مصالحه، لا من وجهة نظر السكان العرب، فهي لذلك تهتم بأحداث واشياء قد لا تهمنا نحن بالضرورة، كما انها حررت على يد اناس كانوا يهدفون من ورائها الى تمجيد انفسهم ودينهم وبلادهم، الامر الذي يجعلها تفتقر الى الموضوعية افتقارا صارخا لا يحتاج الى اثبات. ومع ذلك فهي تبقى في غياب مصادر ووثائق عربية مادتها العلمية الوحيدة.

### أوضاع الخليج العربي عموما والبحرين على الخصوص في بداية القرن 16م

لقد بدأ اهتمام البرتغاليين بالبحرين والقطيف بعد تحكمهم في جزيرة هرمز التي جعلوا منها الى جانب (كوا) بالهند، وملكا (Malaca) بالشرق الاقصى اهم دعائم امبراطوريتهم التجارية(2) ومعلوم ان ذلك تم لهم بعد نجاحهم في ربط لشبونة بكلكوطة اثر وصول دوغاما الى الهند واكتشاف طريق الرجاء الصالح (1498)

ولقد كان هذا التوسع البرتغالي يهدف الى ضرب المصالح العربية الاسلامية

وتحقيق مخططات سطرها مثقفو العالم المسيحي الذين كانوا يتمثلون انذاك اساسا في رجال الكنيسة، وذلك بعد فشل الحروب الصليبية بالمشرق والقضاء على حلم المسيحيين بانتزاع الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين واكتساح اراضيهم. فبعد هذه المحاولة اقترح هؤلاء المثقفون على حكام البلاد المسيحية التحالف مع القوى المسيحية الموجودة خارج اوربا (مملكة الراهب يوحنا بالحبشة مثلا) او المعادية له كالمغول أولا في القرن 13 والفرس في القرن 16 وذلك قصد تطويقه وضربه من الخلف ومنعه من الاستمرار في الاستفادة من اهم موارد قوته المتمثلة في تحكمه آنذاك في التجارة العالمية بسيطرته التامة على تجار التبر والعبيد من جهة، وتجار التوابل من جهة اخرى. وتزخر المصادر الاوربية بمشاريع واقتراحات حررت خلال القرنين 13 و 14 ونذكر منها على سبيل المثال ما اوصى به الراهب الدومينيكي Cuilhirme Adam جمهورية جنوة سنة 1307 فلقد نصحها ببناء اسطول بهرمز او بساحل المليار قصد حرمان العرب من تجارة التوابل واغلاق البحر الاحمر والخليج في وجه الملاحة العربية.[3] وهذا ما استطاع البرتغاليون تحقيقه بعد قرنين. ولقد كان هؤلاء سباقين الى تحقيق هذه الرغبة التي استأثرت باهتمام كل الاوربيين خلال القرنين المذكورين، والتي اختلطت فيها الدوافع الروحية والدنيوية، لاستفادتهم من دوافع ووسائل لم تكن متوفرة في باقي مناطق اوربا.[4]

لقد كان البرتغاليون يهدفون من وراء ركوبهم البحر تخطي الوساطة المغربية فيما يخص تجارة التبر اولا ثم بعد موت الامير هنري الملاح (1460) تخطي الوساطة العربية الاسلامية فيما يخص تجارة التوابل والعقاقير. لذا كانت المخططات ضد شطري العالم العربي متشابهة ومتكاملة. فبما ان الامر كان يتعلق ببلاد اسلامية، فان حكام لشبونة صبغوا اكتساحهم للبلاد العربية الاسلامية بصبغة صليبية محضة. لقد فسروا نزولهم عبر السواحل الافريقية بمحاولتهم تطويق المغرب والاتصال بمملكة الحبشة المسيحية للتحالف معها.[5] ويتجلى الطابع الصليبي لحروب البرتغاليين بالمشرق العربي في رسالة الملك البرتغالي (امنويل) الى اسقف (براغا) التي اخبره فيها بنجاح رحلة (فاشكودوغاما) وذكر له فيها ان ذلك يبشر بانتصار كبير على الاسلام، وفي نفس الوقت بربح مادي هام[6] ويتجلى حرص البرتغاليين على حرمان العالم العربي من تلك التجارة في اغلاقهم لموانىء المغرب ومحاولتهم تحويل الطرق التجارية الصحراوية نحو المراكز التي شيدوها بسواحل غرب افريقيا (ارغين، اشين، لامينا...) وفي مطاردتهم للقوافل، كما يتجلى في التعليمات الدقيقة التي زود بها الملك البرتغالي (افونصو البكيررك) الذي ارسل الى الشرق على رأس اسطول حربي سنة 1506 والتي كان على رأسها ضرورة اغلاق مدخل البحر الاحمر او ما كان يعبر عنه «بمضيق مكة» لحرمان تجار مصر من تجارة الشرق الاقصى.[7]

وهكذا ، وتنفيذا لهذه المخططات، تخلى (افونصو البوكيررك) الذي ارسل على رأس اسطول أخر عن السياسة التي كان اول ولاة الهند، (دو الميدا) ينتهجها، والتي تقتضي السيطرة على البحار دون الاهتمام بالداخل، وعمل على خوض حروب برية وبحرية قصد التحكم في البحار وفي اهم النقط الاستراتيجية التي يمكنها ان تساهم في تحقيق هذه المخططات البرتغالية، وكان على رأس هذه الموانىء هرمز التي ستتكلف

بمهمة مراقبة الملاحة العربية بالخليج والبحر الاحمر.[8] لذا حظيت باهتمام من لدن (افونصو البكيررك).

وكانت جزيرة هرمز بحكم موقعها تتحكم في مدخل الخليج العربي من جهة، وفي تجارة الشرق الاقصى من جهة اخرى. ورغم ان الجزيرة قاحلة، تنعدم فيها النباتات والاشجار، ورغم انها كانت تدين للمناطق الفارسية الداخلية بكل شيء حتى بالماء الصالح للشرب لانعدام الآبار بها، فانها كانت مع ذلك على مستوى عال من الغنى والرفاهية فلقد ذكر الاخباري البرتغالي (جوادوباروش) عنها ما يلي: «ان المدينة في حد ذاتها جميلة جدا فيما يخص البنايات، ومهمة فيما يتعلق بالمبادلات لكونها كانت مرحلة تحط بها كل السلع الشرقية والغربية التي تأتي من بلاد فارس وأرمينيا وبلاد التتر التي توجد بشمالها الى حد ان الجزيرة التي لا تتوفر في حد ذاتها على ادنى شيء، توفر لنفسها كل ما هو نفيس بالعالم كله، ذلك انه حتى الماء الذي يوجد بكل مكان، ينعدم بها باستثناء ثلاثة آبار وخزانات، يجلب اليها من اليابسة».[9]

ونظرا لهذه الرفاهية اصبح تجار هرمز «.. يقولون ان العالم عقد وهرمز لؤلؤة في وسطه..».[10]

واذا كانت هرمز تدين في بداية القرن السادس عشر بولاء أسمي لملك الفرس وتدفع له ضريبة سنوية، فانها كانت رغم ذلك تتحكم في جل جزر وموانيء الخليج العربي من عمان الى القطيف والبحرين.[11] وكانت تلك السيطرة السياسية والتجارية على الخليج توفر لملكها مداخيل مهمة، فلقد ذكرت المصادر البرتغالية ان ضرائب المناطق التابعة لها كانت تقدر سنويا بـ: 41,300 أشرفي بينما كان مجموع الضرائب الجمركية يصل الى 100,000 اشرفي.[12]

ونظرا لهذه الاهمية السياسية والاستراتيجية والتجارية، حول البرتغاليون هرمز الى احدى اهم مدنهم بالمشرق، وحرصوا على جعلها تحت سيطرتهم. وتفاديا لاحتلال مباشر قد لا يؤدي الا الى خراب المدينة والحاق الضرر بتجارتها، فضل (البكيررك) سياسة الحكم غير المباشر، وفرض على ملك هرمز الاعتراف بسلطة التاج البرتغالي عليه وعلى مملكته سنة 1507 وأداء ضريبة سنوية كانت في البداية 15,000 اشرفي تعرف ارتفاعا كبيرا بعد ذلك لتصل الى 60 الف اشرفي سنة 1528.[13] الا ان هذه الحماية كانت صورية فقط، اذ كانت كل السلطات في ايدي المسئولين البرتغاليين الذين اصبحوا يتحكمون في ملوك الجزيرة واموالهم.

وبعد تحكم البرتغاليين في هرمز اهتموا بالبحرين وعملوا على ضمها الى ممتلكاتهم وذلك نظرا لموقعها الخطير بالخليج ولاهميتها الاستراتيجية والتجارية التي سنعود اليها. فلقد كانت اول اشارة صريحة الى اهتمام البرتغاليين بتلك الجزيرة في رسالة (لافونصو البكيررك) الى الملك البرتغالى مؤرخه فى بداية 1508 اي بعد شهور قليلة من احتلال هرمز، ذكر فيها رغبته الاكيدة في التحكم في كل سواحل الخليج اعتمادا على حروب برية وبحرية تسمح بالسيطرة المطلقة على ... البحرين وهرمز..»[14] ونظرا لعدم تحقيقه لهذا الهدف اعتذر لملكه سنة 1513 وبرر ذلك بانشغاله بحروب الهند.[15] وفي رسالة اخرى مؤرخة في 20 اكتوبر 1514 ذكر انه يتمنى كثيرا الذهاب الى البحرين لاحتلالها «... وانتزاع اسم محمد منها...» وذلك لان «... البحرين يا سيدي، امر عظيم ومنطقة جد غنية حيث يكثر اللؤلؤ...».[16] وخلال السنة التالية وعد مرة اخرى بالذهاب الى الجزيرة قصد استكشافها. وذلك فور

وصوله الى الخليج، واضاف ما يعبر تعبيرا صادقا على مدى الاهمية التي اصبحت الجزيرة تكتسبها لدى البرتغاليين «... ان البحرين اهم ما يمكن ان يهتم به الانسان، ذلك ان عددا كبيرا من المراكب تنطلق منها في اتجاه الهند محملة بعدد كبير من الخيول وكذا كميات مهمة من اللؤلؤ. ان الاستيلاء عليها والتحكم فيها امر هين اذا ما ساعدنا الإله في ذلك وتوفر لنا الوقت. لقد تمكنا من السيطرة على كل المناطق التي تتحكم فيها مملكة هرمز عدا البحرين التي جاء اليها العرب بعد موت الملك (Cojetar) وسيف الدين واستولوا عيها وطردوا منها جنود الملك...» وكعادته ادخل العامل الديني وأكد على رغبته في القضاء على الاسلام وتخريب اماكنه المقدسة، وذكر ان احتلال البحرين والقطيف يسمح بالهجوم على مكة المكرمة «... لانها لا تبعد عن البحرين والقطيف الا بست عشرة مرحلة في حالة الاعتماد على الجمال، وتلك مسافة قصيرة جدا...».[17]

وبسبب هذا الاهتمام البرتغالي، تقاطرت على لشبونة التقارير والرسائل التي تتحدث مباشرة او بطريقة غير مباشرة عن البحرين، ومن خلال ما وصلنا من اصداء يمكننا ان نسلط الاضواء التالية على هذه الجزيرة، فحين وصفه لها، ذكر الاخباري البرتغالي (جواباروش) «... ان تلك الجزيرة دائرة تقرب من الثلاثين (لغواش)[18] واقصى طول تصله لا يزيد عن سبعة، وهي تبعد عن هرمز بمائة وعشرة (110) لغواش، وعن الارض المقابلة لها الموجودة بالصحراء بما يقرب من العشرين، وهناك توجد مدينة الاحساء التي تعتبر مع ضواحيها اخصب ما تتوفر عليه تلك المنطقة التي تسمى اليمن...» واضاف «ان موضع تلك الجزيرة في حد ذاته منخفض، وهي كثيرة النخيل وشديدة الرطوبة والخضرة حتى انه اينما حفر السكان يجدون الماء، غير انه غير عذب. وهذا ما يجعلها كثيرة الوباء خصوصا في بعض شهور السنة، اي من نهاية شتنبر الى فبراير، فهي في بعض الاحيان خلال هذه الشهور شديدة الوباء الى حد ان اعيانها يغادرونها الى القطيف الموجودة على الساحل العربي...».[19]

وكان انتشار الوباء خلال هذه الحقبة الزمنية من اهم اسباب فشل الهجوم البرتغالي على الجزيرة سنة 1529 كما سنرى. فبعد عجز البرتغاليين عن تحطيم اسوار البحرين، ضربوا عليها حصارا في انتظار وصول مزيد من البارود، الا ان الوباء سرعان ما انتشر بين صفوف البرتغاليين «... الى حد انه انعدم من يقوى على نقل المدفعية الى المراكب، بل واكثر من هذا لم يعودوا قادرين حتى على الوصول اليها...».[20]

وكان اهم تجمع سكاني بالجزيرة يتمثل في مدينة البحرين التي اطلق اسمها على الجزيرة كلها. وكانت الدور بها حسب شهادة نفس الاخباري البرتغالي «... جميلة ومبنية من الحجارة والجير وذات عدة مستويات وشرفات ونوافذ كبيرة، خصوصا منها قصور الملك التي كان يقصد فيها تقليد طريقة البناء الفارسي، وذلك لكون الجزيرة جد غنية...».[21]

وكان يحيط بمدينة البحرين سور من الحجارة والجير به قلعة منيعة لا ندري متى شيدت وان كان من الاكيد انها غير برتغالية لوجودها هناك قبل هجومهم الاول على الجزيرة (1521) وكانت مناعة ذلك السور اول ما ادهش قائد الحملة الموجهة ضد الجزيرة سنة 1529 الذي لاحظ «ان الحصن منيع وذلك بخلاف ما بلغه عنه اذ ذكر له انه مجرد ركام...» وفعلا لم يؤد قصفه الى اية

نتيجة. فلقد ذكر الاخباري البرتغالي (دواندراد) ان (داكونيا) لما انزل المدفعية «... شرعت في قذف الحصن، غير انها لم تقو الا على احداث بعض الثقوب الصغيرة التي كانت فور ذلك ترمم من الداخل على شكل يجعلها تختفي نهائيا. واستمر القذف هكذا عدة ايام دون ان تستطيع مدفعيتنا الحاق اي ضرر بالسور الامر الذي اقلق كثيرا (سماوداكونيا)...».[22]

وفضلا عن مدينة البحرين، كانت الجزيرة تتوفر على ما لا يقل عن ثلاثمائة (300) قرية.[23]

وكانت البحرين محج التجار الذين يقبلون عليها من كل الافاق وذلك قصد اقتناء سلعتين:

1) التمور التي كانت تمثل اهم ثروة بالجزيرة.

2) صيد او شراء اللؤلؤ الذي كان يصطاد هناك بكثرة والذي كان حسب (دوباروش) من احسن ما يصطاد في العالم، ولقد سبقت الاشارة الى تصديره الى الهند رغم قربها من اهم مراكز اصطياد اللؤلؤ انذاك، سيلان والصين.[24]

وفضلا عن التمور التي كان الاقبال عليها كبيرا وكانت «... تحمل الى مناطق مختلفة...» كانت البحرين تنتج انواعا اخرى من الفواكه كالرمان والخوخ والتين وكل انواع الخضر، ولقد شبهها الاخباري (باروش) في هذا الباب بشبه جزيرة ايبيريا الكثيرة الانتاج لهذه الفواكه.[25] ونظرا لهذا الغنى كان حكام هرمز يولون البحرين اهمية قصوى لما كانت تضمنه لهم من مداخيل قدرها الوزير رشيد بخمسة عشر الف اشرفي، وقدرها ملك هرمز سنة 1529 بأربعين الفا.[26]

وهكذا اصبحت البحرين تلعب بالنسبة للبرتغاليين دور خزان سلع الشام والجزيرة العربية وخصوصا منها الخيول، وذلك قصد الحد مما كانوا يسمونه (بالتهريب) اي الاتصال مباشرة بالهند دون الوساطة البرتغالية، ففضلا عن كونها كانت على الطريق للسفن المنطلقة من البصرة كانت كذلك «... اهم طريق القوافل التي تأتي من بلاد فارس...».[27]

وتتجلى هذه الاهمية التجارية بالنسبة لبرتغالي هرمز في كون قائد الحملة الاولى ضد البحرين الذي سمح لجنوده بنهب المدينة، منعهم بصرامة من مد ايديهم الى سلع التجار الذين شجعهم على العودة الى البحرين بعد ان فروا الى القطيف[28] وذلك حتى تعود الجزيرة الى ما كانت عليه من رواج، لان التحكم فيها لم يكن ابدا غاية في حد ذاته. ولضمان اكبر قدر من سلع البحرين، ارسل وكيل تجاري برتغالي ليسهر على الصفقات التجارية التي تتم لفائدة الملك.

ونظرا لهذه الاهمية الاستراتيجية والتجارية عمل البرتغاليون على ان لا تسقط البحرين في ايد معادية وخصوصا في يد ملك الاحساء، فما هي الطرق التي استعملوها لتفادي ذلك ؟

## الحملة البرتغالية الاولى ضد البحرين (1521)

كانت الغاية منها طرد مقرن ملك الاحساء، من البحرين والقطيف، وفي نفس الوقت كسر شوكته التي اصبحت تهدد الوجود البرتغالي بالخليج.

لقد اجمعت المصادر البرتغالية على ان البحرين كانت تدين بالولاء الاسمي لملك هرمز وتدفع له ضريبة سنوية كان جلها يعود الى الوزير ركن الدين الذي كانت الجزيرة احدى اقطاعاته، وحيث كانت مصالحه التجارية مهمة[29] ونظرا لاهمية الجزيرة

الاستراتيجية والتجارية، كان ملك هرمز يعتبر البحرين اهم ما كان بيده.[30]

الا ان هذه الوضعية سرعان ما تغيرت قبل نهاية القرن الخامس عشر. فبعد ان ساعد ملك الاحساء (Aljoate) أحد أمراء هرمز المطالبين بالعرش (Cargol) تنازل له هذا الاخير عن الجزيرة وعن القطيف. غير ان ملك هرمز ما ان استقرت له الامور حتى ندم على فعله لان «... المنطقتين اللتين تنازل عنهما لـ (Aljoate) كانتا اهم ما كان بيده لما كانتا تسمحان به من مداخيل، لذا سرعان ما ندم على فعله...»[31] وطلب من ملك الاحساء التنازل له عن الجزيرة، الامر الذي رفضه فاضطر ملك هرمز الى تنظيم حملة جعلها تحت قيادة الوزير ركن الدين باءت بالفشل فنظم اخرى قادها بنفسه انتهت بدخول الجزيرة. ونظرا لحرص ملك الاحساء على استرجاعها، فان الحرب طالت بينهما، الامر الذي ارغمهما على التفاهم، وهكذا تخلى ملك هرمز عن الملكية والتسيير مقابل اداء الجزيرة لضريبة سنوية. وبقيت الامور الى حين احتلال البرتغاليين لهرمز، ذلك الاحتلال الذي استغله ملك الاحساء للامتناع عن اداء الضريبة السنوية، الامر الذي زاد من ضائقة ملك هرمز المالية.

وهكذا التجأ هذا الاخير الى حماية البرتغاليين وطلب منهم العمل على ارجاع الجزيرة تحت نفوذه، خصوصا وان عقد الحماية يلزمهم بالدفاع عنه وعن ممتلكاته «... لذا طلب منهم اعطاءه جنودا ومراكب ليتمكن من احتلال البحرين والقطيف. واستغل البرتغاليون هذا الطلب لتحطيم قوة ملك الاحساء، مقرن، وخصوصا البحرية منها ذلك انه استطاع بناء «... عدد من المراكب غير الشراعية اعتمادا على خبرة بعض الاتراك الذين استجلبهم لهذه الغاية، والذين بدأ بمساعدتهم في نهب المراكب التي تربط البصرة بهرمز، الامر الذي قد يسمح له بعد ذلك بجرأة اكبر قد تنتهي به الى التحكم في كل ذلك المضيق اعتمادا على اسطوله...».[32]

وتقرر تنظيم الحملة ضد البحرين بعد وصول مراكب الهند الى هرمز في بداية شهر مايو من سنة 1521.

وساهم ملك هرمز بأسطول مكون من 200 مركب حملت 3000 محارب فارسي وعربي اعطيت قيادته للوزير شرف، بينما قدم البرتغاليون بدورهم سبعة مراكب شراعية حملت 400 محارب برتغالي جعلوا تحت قيادة انطونيو كريا. Antonio Correa[33] ولما تحرك الاسطول من هرمز كان مقرن بالبحرين على اتم استعداد اذ استطاع جمع 1200محارب منهم 300 فارس و400 من رماة السهام و20 من ضاربي البنادق الروم. وبما ان المكان الوحيد لانزال الجنود كان يتمثل في ميناء مدينة البحرين، فان مقرن حصنه على الشكل الذي وصفه لنا الاخباري (باروش) «... وبالميناء الموجود امام مدينة البحرين التي اعطت اسمها للجزيرة بعد ذلك، والذي يمكن من انزال الرجال والعتاد لانعدام غيره، بنى (مقرن) حاجزا عرضه عشرة اشبار وجعل واجهته من جذوع النخيل على شكل عال حاد ومتين حتى اضحى يقوم مقام سور منيع جدا مشيد من الحجارة والجير. ونظرا لطول السور، وضع بموقعين او ثلاثة Servanteas وذلك على طول الساحل والتي ما ان ظهر (انطونيو كريا) حتى امر باغلاقها. وبأعلى الاسوار وخصوصا في الاماكن غير المنيعة، وضع كل المدفعية التي كان يتوفر عليها، وقسم ذلك السور الى قيادات، وذلك على شكل منظم كرجل يعرف ما يفعل، وكقائد عسكري وضابط كبير، الامر الذي كان يمثله فعلا...».[34]

واستطاع البرتغاليون رغم كل تلك الاحتياطات انزال جنودهم يوم 27 يوليو 1521 بعيدا عن التحصينات المشيدة من لدن مقرن. وخوفا من خيانة جنود ملك هرمز امروا بالبقاء في المراكب الى ان يؤمروا بالنزول. وما ان وطأت اقدام البرتغاليين الساحل حتى وجدوا المدافعين عن الجزيرة في انتظارهم، وكان مقرن على رأسهم لكونه كان «... يضع نفسه في مقدمة الصفوف بكل جراة...».[35]

الا ان المعركة التي كانت لصالح المدافعين عن الجزيرة تحولت الى هزيمة بسبب اصابة مقرن وانسحابه من المعركة وحال إعياء البرتغاليين وكثرة الاصابات بينهم دون مطاردة سكان البحرين، وكلف قائد الحملة جنود شرف الدين بهذه المهمة. وبعد ثلاثة ايام توفى الملك مقرن من جراء اصابته، فقطع شرف الدين رأسه وارسلها الى هرمز.

وبعد التحكم في البحرين ونهبها واحراق مراكبها، سلمت الى وزير هرمز، وعين (كريا) على رأسها واليا «... كان رجلا مسنا ومحترما يسمى Lucat وكونه من العرب افرح كثيرا سكان الجزيرة الذين يستاءون كثيرا من ان يحكمهم فارسي، وذلك لشدة الحقد الموجود بينهم...».[36]

وفور ذلك انتقل البرتغاليون ومرافقوهم الى القطيف التي دخلوها وسلموها بدورها الى ملك هرمز.

## الهجوم البرتغالي الثاني على البحرين (1529)

نعتمد في تسليط الاضواء على هذا الهجوم الفاشل على التقرير المفصل الذي بعث به (كرشطفاو دومندونسا قبطان هرمز الى الملك البرتغالي في نونبر 1529، والذي توجد ترجمته العربية في ملاحق هذا البحث.

فعن سبب تنظيم هذه الحملة ذكر محرر التقرير ان ملك هرمز طلب مرة اخرى من البرتغاليين حماية مملكته والدفاع عن وحدتها الترابية بعد اعلان والي البحرين الرئيس بدر الدين عصيانه اثر اعتقال ونفي قريبه الوزير شرف الدين .(1528) وبما ان الجيوش والمراكب كانت متوفرة آنذاك لوجود والي الهند بهرمز، فان المسئولين البرتغاليين قرروا تنظيم حملة جعلوا على رأسها (سماوكونيا Simao Cunha) الذي جعل رهن اشارته 450 من المحاربين البرتغاليين.

ورغم كثافة قذف المدفعية، لم يستطع البرتغاليون ان يلحقوا أي ضرر بأسوار المدينة، ودام الحصار والقذف الى ان نفد البارود. وقبل وصول الامدادات من هرمز، انتشر الوباء بين البرتغاليين الى حد ارغم قبطان هرمز على ايفاد اسطول خاص لاسترجاع مراكب وجنود الحملة الذين توفي منهم حسب التقرير المذكور 200 شخص، وكان ما يقارب هذا العدد على ابواب الموت. وكان من ضحايا الوباء قائد الحملة وعدد كبير من النبلاء. وبذلك تفشل هذه المحاولة فشلا ذريعا.

## محاولات ملك الاحساء احتلال البحرين والبصرة:

وصلتنا اصداء محاولات ملك الاحساء التحكم في القسم الشمالي من الخليج العربي من خلال رسالة بعث بها وزير هرمز ركن الدين الى الوزير المعزول شرف، ورغم ان الرسالة لا تحمل اي تاريخ، فان وجود شرف بالمنفى ووجود القبطان (مرتين افونصو دو ميلو) على رأس ادارة هرمز يسمح بتأريخ الحدث بعد .1529 (والنص مترجم الى العربية في آخر هذا البحث).

لقد خصص الوزير جل رسالته لاحوال الخليج العربي وعلى رأسها البحرين والقطيف والبصرة. ولعل اهم ما يتجلى من قراءتها هي المحاولات الجادة التي بذلها ملك الاحساء ابن رشيد Maneng ben Rashid للسيطرة على تلك المواقع المهمة. فلقد اكد الوزير في رسالته على ان ملك الاحساء «... مقبل على القطيف وعازم على الاستيلاء على البحرين...» وذلك رغم تدخل بعض الاعيان وامضاء هدنة بين الطرفين. الا ان ابن رشيد استمر في عناده واستقر بالقطيف ليسهل عليه الانقضاض على البحرين، الامر الذي استاء له بعض اعيان الاحساء «... وكان اولهم محمد بن رحال Caim ben Raal وذويهما الذين رحلوا جميعا رفقة آخرين كثيرين لوضع انفسهم تحت حماية والي البحرين. وارغمت هذه الهجرة ملك الاحساء على الالتحاق بالبصرة التي كان يطمع في حكمها، الا ان سكانها هزموه حتى انه لم يستطع الفرار الا بصعوبة. غير ان موت ملك البصرة جعل السكان يغيرون موقفهم من ابن رشيد ويفتحون له هذه المرة الابواب ويبايعونه ملكا على مدينتهم واستغل والي البحرين انشغال ملك الاحساء بهذه الاحداث وهجم على القطيف حيث احرق له 150 مركبا. وللانتقام من والي البحرين أمر ابن رشيد بمصادرة اموال تجار البحرين الموجودين بالبصرة والاستيلاء عليها وعلى مراكبهم، الامر الذي اغضب سكان البصرة الذين «... طردوه من مدينتهم ورفضوا الاعتراف به وبايعوا عوضا عنه احد اقاربه المسمى يحيى، وأعادوا السلع والسفن لمسلمي البحرين وعوضوا لهم كل ما ضاع لهم...» وهكذا عاد ملك الاحساء الى عاصمته حيث شرع في جمع قواه للهجوم على البحرين. ولقد أكد محرر الرسالة ان ذلك «... لن يصعب عليه لشدة قوته وكثرة رجاله...».

وذكر الوزير ركن الدين انه ما ان علم بتلك الاحداث وبنوايا ملك الاحساء حتى التحق بقبطان هرمز واشعره بخطورة الامر وطلب منه ارسال اسطول لحماية البحرين او لبناء قلعة بالقطيف لضمان امن البحرين. الا ان المسئول البرتغالي عبر عن عجزه عن القيام بمثل هذا العمل لعدم توفره على الاموال اللازمة واقترح على والي البحرين وسيلة تمكنه من تجهيز اسطول يدافع به عن نفسه يتمثل في مصادرة مداخيل وعائدات الفرس المقيمين بالبحرين. واشار الوزير في نهاية رسالته الى ان الوالي لم يقدم بعد على تنفيذ هذا الاقتراح رغم انه توصل برسالتين في هذا الشأن، واحدة من المسئول البرتغالي واخرى من ملك هرمز.

## الهجوم البرتغالي على القطيف واحتلالها سنة 1545

وصلنا عن هذه العملية تقرير[37] حرره (برنالدين دو سوزا Bernaldin de sousa) احد قواد الاسطول البرتغالي بالهند الذي جاء الى هرمز لحمايتها من هجوم تركي كان متوقعا. وبما ان ذلك لم يتم، فان قبطان هرمز اخبره كيف ان ملك الاحساء استولى على القطيف سنة 1539 التي كانت تدين بالولاء لملك هرمز... الامر الذي جعل هذا الاخير يطلب من البرتغاليين ارجاعها اليه، الا ان قلة امكانيات البرتغاليين كانت تحول دون تحقيق تلك الرغبة. وبما ان ملك هرمز تعهد بتحمل مصاريف الحملة، فان البرتغاليين قبلوا تجهيز حملة ضمت 200 برتغالي وحوالي 7000 من جنود ملك هرمز. وبعد استراحة الاسطول بالبحرين، تم الهجوم على القطيف التي كان بها 3000 محارب. ورغم كثافة القصف لم تستطع المدفعية الا اسقاط قسم صغير جدا من

السور استغله البرتغاليون لاقتحام المدينة. والتقرير المترجم في آخر هذا البحث يعطي تفاصيل مهمة عن المعركة التي دارت بين المهاجمين والمدافعين عن القطيف، وبعد دخولها سلمت من جديد لملك هرمز.

# الملحق الأول

# حملة برتغالية ضد البحرين

## من خلال رسالة لوالي هرمز " ١٥٢٩ "

### مولاي

لقد اخبرت جلالتكم بواسطة (منويل دو مسيدو Manuel DE Macedo) عن بعض احوال مملكة هرمز هذه. وبما انه بعد ذهاب الوالي من هنا، التحق (سيماو كونيا Simao Cunha) بالبحرين، فاني سأخبر جلالتكم بما حدث هناك.

لقد سبق لملك هرمز ان عين الرئيس بدر الدين - احد اقارب الوزير شرف - عاملا على البحرين. ولما امرت جلالتكم باعتقال الرئيس شرف، اراد الوالي عزل الرئيس بدر الدين وإبعاده عن البحرين لما كان يلحقه بالبلاد من اضرار. وهكذا اوفد (بلشيور دو سوزا Belchior de Sousa) قبطان البحر بذلك الساحل على راس ثلاثة او اربعة مراكب مرفوقا بوزير مسلم ومعه رسائل وظهائر ملكية موجهة الى الرئيس بدر الدين تأمره بتسليم الحصن الى الوزير الذي اوفده الى هناك. كما امر الوالي (بلشيور دو سوزا) بالقاء القبض عليه والاتيان به اسيرا. وبما ان (بلشيور دو سوزا) علم باكتشاف امره من لدن بدر الدين فانه ما ان وصل حتى سلمه الرسائل، غير انه رفض تسليم الحصن واحتاط منه كثيرا، فاخبر (دو سوزا) الوالي بذلك.

قرر الوالي قبل ذهابه بخمسة عشر يوما ارسال (سيما كونيا) لاحتلال الحصن واسر بدر الدين ان امكنه ذلك. فاصطحب معه ٤٥٠ محاربا كان ضمنهم كل الفرسان الذين نجوا بمنبسة، واخرون وجدوا آنذاك هنا بهرمز.

وبعد وصوله الى البحرين، بعث له الرئيس بدر الدين خطابا يخبره فيه انه يعتبر نفسه تحت حماية ملك هرمز، وانه لا يرغب في الحرب، وذلك بالرغم من ان الذين لا يشاطرونه هذا الراي كانوا كثيرين.

ولما نزل (سيماو كونيا) الى الارض لاحظ ان الحصن منيع جدا، وذلك بخلاف ما بلغه عنه اذ ذكر له انه عبارة عن ركام. ولما نزل المحاربون، نصبوا مدفعيتهم التي سرعان ما شرعت في اطلاق النار وذلك الى ان نفد البارود. فارسل إليّ يطلب المزيد منه. ولما وصله كان جل مرافقيه مرضى. وما ان طلع اليوم التالي حتى تفاحش المرض حتى انعدم من يقوى على حمل المدفعية الى المراكب واكثر من هذا، لم يعودوا قادرين حتى على المشي لركوبها الامر الذي حتم ارسال مراكب كثيرة ومحاربين من هنا لارجاع المراكب لانه من مجموع ٤٥٠ او ٤٥٥ شخصا ذهبوا الى هناك، لم يبق على قيد الحياة شخص لم يصبه الوباء. لقد توفي منهم ما يقرب المائتين. وما يقرب هذا العدد في طريق الموت.

لقد مات من الحمى (سيماوكونيا) وكذا (منويل دو مندونسا) وكثير من الفرسان. واعتبارا لعدد من عادوا مرضى يبدو لي انه اذا ما فلتت منهم مائة، فان ذلك سيمثل بدون شك معجزة.

اما ما يتعلق بهذا الحصن وهذه المدينة فاعتقد ان جلالتكم قد اطلع على احوالها بواسطة (منويل دو مسيدو). فبعد ذهابه تم اعتقال (حجة ابراهيم (Coja Brahem كما كتبت لكم ذلك. ان بهذه المدينة عددا من الرجال قدم ملك هرمز بشانهم طلبا الى الوالي لاعتقالهم، ويقول الملك ان الوالي امر ان تقدم في شان ذلك عرائض.
من الاكيد يا سيدي، ان الهدف من اعتقال هؤلاء الاشخاص هو قطع رؤوسهم وليس الاستيلاء على اموالهم كما يعتقدون لان ذلك هو ما كان يفعل من قبل.

لقد ذهب (ديوغو دو ميلو) من هنا رفقة الوالي دون ان يدفع اي شيء مما يدين به للملك، وكذلك فعل باقي الاشخاص كما سبق لي ان كتبت لجلالتكم ولقد قمت في هذا الامر بما ادين به لربي ولجلالتكم قصد نشر العدالة والامن. ولقد سبق لي ان اخبرت جلالتكم بواسطة اشخاص ذهبوا من هنا بالاضرار التي الحقها بمصالح جلالتكم. ونقلوا لجلالتكم نسخة من حكم اصدرته في حقه لصالح ملك هرمز، ولا ادري ما اذا كانت ستصلكم دون ان تزوّر واتمنى ان احملها الى جلالتكم حينما التحق بكم، وكذا التحقيق الذي بعث به الى هنا (لوبو فاش سنبايو Lopo Vaz Sampaio) والذي يوجد في حوزة الكاتب الذي لا يزال يقوم بمهمته.

اما عن التحقيق الذي قام به الوالي والكاتب فانه في حالة ما اذا لم يتم على الشكل القانوني، فان على جلالتكم ان تحملهما مسئولية ذلك كما تريد. اما عن ضرائب هذه المملكة، فاني اعمل كل ما استطيعه لكي اخدم جلالتكم ولكي تؤدى. الا انه اعتبارا للمبلغ الواجب اداؤه، والذي كان قبل ان يرفع الوالي من قيمته، اربعين الف اشرفي، فاني اعتقد ان الاداء سيكون صعبا اللهم الا اذا امرت جلالتكم بعدم التضييق على الملك اكثر، واعني بالتضييق عليه ان لا تمتد الايدي الى جباياته وان تؤخذ مصاريفه بعين الاعتبار، الامر الذي لا يمكنني القيام به دون امر من جلالتكم. واذا ما ارتايتم ابقائي هنا لبضع سنوات اخرى، كما طلب منكم الدوق ذلك، فاني اتعهد في حالة ما اذا ارسلت لي جلالتكم تكليفا بذلك، ان يتم اداء جلالتكم قبل نهاية السنة.

اما بشكل آخر، فان ذلك سيتطلب مجهودا كبيرا وربما كان الاداء من قبيل المستحيل، لان البحرين التي تعد اهم منطقة بالمملكة توجد الان في حالة عصيان. وبما انها لا تؤدي له لحد الساعة اي شيء، فان احتلالها ودفعها الى الاداء كما هي ملزمة بذلك سيخفف من ثقل اداءاته.

ان الشيخ رشيد (Keque Paxat) يقوم بمهمة الوزير كما هو في علم جلالتكم، وهو رجل طيب، وفي نظري شديد الاخلاص، الا انه ضعيف الشخصية بالنسبة لمسألة في مثل خطورة هرمز، لانه يا سيدي اذا ما استثنينا كون اخلاص الرئيس شرف الدين (Rex Xarafo) لكم، هو دون اخلاص الشيخ رشيد، فان مثل هذا المسلم لم يولد بهذه الربوع ليحكم المملكة، ذلك انه شديد الخجل والخوف. وليس بهذا الضعف ستؤدى الضرائب كما يجب.

وفور مغادرة الوالي لهذه المدينة، وصلتني اخبار عن الروم. فلقد أخبرني مسلم كان هناك وقت قتل الملك سليمان عن اندلاع خلاف حاد بينهم بسبب ذلك، انتهى بمعركة عنيفة، غير انهم عادوا الى التصالح وانتخبوا (مير حسين Mirahocem) الذي كان واليا على جزر القمر رئيسا اكبر لهم، وانطلقوا بعد ذلك لمحاصرة عدن التي استولوا لها على خزان الماء اعتمادا على عدد كبير من المحاربين وعلى هجمات شاركت فيها (الغليوطات) والمشاة. ويقال ان عدد المحاربين بلغ الفا وخمسمائة، وعدد السفن ثلاث عشرة ما بين كبيرة وصغيرة. غير ان جل محاربيهم قد تفرقوا، وذلك بعد معارك حادة مع المدافعين عن عدن الذين بعد فقدانهم لخزان الماء وللميناء، شنوا عدة هجمات استطاع العرب خلالها قتل البعض منهم والحاق اضرار بليغة بهم، الامر الذي ارغمهم على الانسحاب والالتجاء الى مكان قريب من عدن يتوفر على مياه عذبة وكثيرة يسمى (AGUFF) وهم إلى الان هناك دون ان يعملوا على اعادة جمع المتفرقين منهم. وقبل ان يصلني هذا الخبر، توصلت بآخر مفاده ان رئيس الروم (مير حسين) استولى على عدن وانه استولى على كل المراكب وحال دون مغادرتها الميناء لكي لا تشعرنا بذلك، وان اربعة غليطوات وصلت الى ظفار قصد حراستها. إن عددا كبيرا من سكان هذه الجهات يعتبرون عدن في ايدي الروم، الا ان ما اقوله لجلالتكم هو الواقع لان هذا المسلم اكد لي ان غيره كذب لانه كان بعين المكان وعاين كل ما حدث بعدن.

انني ابعث على رأس كل سنة من يطلع على احوال الروم. وارجو من الله ان يبقوا على ما هم عليه.. وللحصول على تلك الاخبار بعثت الى المكان الذي يوجدون به مركبا ليطلع على احوالهم، ويعرف حقيقة الامر. وسأكاتب والي الهند فور عودته.

اما عن البصرة، فاني لحد الساعة في حرب معها لرفض سكانها تسليمي المراكب التي يتوفرون عليها، ولو كان الولاة السابقون لهذا الحصن فعلوا معها مثلما افعله لألزمهم ذلك بتسليمها منذ مدة، ولكنَّا الان في حالة سلم. ولن اسالمهم ابدا طالما بقيت بهذه البلاد. وذلك الى ان يسلموني المراكب التي تضر كثيرا بمصالح جلالتكم.

اما عن الشيخ اسماعيل، فاني لا اتوفر لحد الساعة على اي خبر عنه عدا كونه في حالة سلم.

اما عن هذه القلعة، فقد اصلحها الولاة السابقون اصلاحا سيئا حسب ما سبق ان كتبت لجلالتكم، انني الان لا اتوفر الا على اربعة او خمسة براميل من البارود

وعلى مدفعية قليلة جدا وذلك رغم انه من اللازم ان تتوفر [هذه القلعة] على اكثر مما تتوفر عليه (رودس) لان جلالتكم تعلم ان اقواما مختلفة تفد عليه من كل بقاع العالم، جنويون وبنادقة واتراك ويهود وارمينيون، ومن شعوب اخرى، وان اول ما يقومون به فور وصولهم هو التعبير عن رغبتهم في زيارة القلعة. وطبعا لا يمكن لأحد السماح لهم بذلك لأن داخلها لا يختلف عم مخزن التبن .

ان الزم ما يجب علي ان اقوله لجلالتكم هو انه اذا كان للروم ان يستولوا بهذه السنةعلى منطقة ما، فستكون لا قدر الله هذه هي الاولى لكونها شديدة القرب من المضيق، ولكونها كذلك اهم ما بيد جلالتكم بهذه الربوع، والتي تستفيدون منها استفادة عظمى، لذا يجب عليكم تزويدها بما هي في حاجة اليه وليس ذلك الا بأمر الولاة بصراحة بما يجب عليهم القيام به.

لقد اتممت نصف (Chapa) الا ان الوالي لامني كثيرا على عدم اتمامها، انه يريد توسيع القلعة دون ان يخصص لها اكثر من اربعمائة محارب، واعتقد انه لا داعي الى ذلك ما دام يرفض الرفع من حاميتها لان قلعة كبيرة وحامية قليلة تمثل ضعفا اكبر.

لقد سبق لي إشعار جلالتكم بالضرر الذي ينتج عن مجيء الولاة الى هنا، فمنعتم ذلك عليهم، ولم تسمحوا بمجيئهم لهرمز الا في حالة الضرورة، لذا فهم يأتون اليها جميعا. اعود مرة اخرى لتذكير جلالتكم انه لا يوجد اي شيء اخطر على مصالح جلالتكم من ذلك، لان مجيئهم هذا يؤدي الى افراغ هرمز من جل سكانها لانهم يستولون على الدور التي ما ان يدخلوها حتى يحرقوا ابوابها ويخربوها وكلما تحطم شيء ما، لا يهتمون قط باصلاحه، هذا فضلا عما يلحقونه بالمسلمين من اضرار واذى، الامر الذي ينبذه كل الاجانب. الا ان اي احد لا يقدر على معاقبتهم لكثرتهم.

ارجو من جلالتكم ان تتأكد من انني بصفتي قبطان هذه القلعة، يؤلمني مجيء الوالي اليها. لقد انهيت المدة التي انعمت بها على جلالتكم، ولا يضرني في شيء مجيئه مستقبلا. واعتقد ان الوالي (نونو كونيا) الذي جاء الى هنا مؤخرا قد عرف مدى خدمتي لكم، وذلك رغم انه يؤلمه كثيرا اخباركم بذلك لكونه يمجد اكثر اعمال (ديوغو دوميلو). وستعرف جلالتكم كل هذا بتفصيل فور وصولي، اقول هذا لاعتقادي ان فيه خدمة جلالتكم.

ان من الواجب ان يكون مترجمو هذه القلعة رجالا اكفاء وعقلاء، وذلك نظرا لخطورة هذا المنصب. فحين مجيء (نونو كونيا) كان يقوم بمهمة الترجمان (انطونيو دو لورونيا) الذي التحق بجلالتكم وعوضه شاب لا يعرف لا الفارسية ولا اية لغة اخرى، هذا فضلا عن كونه لصا كبيرا.

لقد اشتكى مني هنا الى الوالي (ديوغو دو ميلو) الذي ادعى اني اتوخى من اصدار احكام في حقه الحاق الضرر به، وقدم لذلك طعونا في احكامي عارضتها بما اتوفر عليه من براهين. لقد امر الوالي بالقيام بتحقيق سري وبتسجيل الشهادات

وارسالها الى جلالتكم. وبما اني اعتقد ان الوالي نفسه غير محايد في هذه القضية لكون الكاتب لا يغادر قطبيت (ديو غو دو ميلو) خلال الليل كله، وبما ان الوالي قال ان (لوبوفاش LOPO VAZ) اخطأ بتكليفي بالقضايا عوضا عنـه، فاني ارجـو من جلالتكم ان تتحقق من هذه الامور، وان تعلم انني لا اتوفـر على اي مبـرر لظلم (ديوغو دو ميلو) لانه كما هو معروف قريبي، وان ما الزمني بـالقيام بـذلك هي الرسالة الشديدة اللهجة التي بعثتها جلالتكم للولاة حول المظالم والاضرار التي تلحق بسكان هرمز، والتي ما تزال في حوزتي، والتي اطبقها حرفيا في كل الامور؛ وكذا تاكدي من ان خدمة الاله وخدمة جلالتكم تلزمني بالقيام بالعدل دون اعتبار اي عامل آخر. ان ما قمت به لم تمله علي غير رغبتي في خدمة جلالتكم التي اعتبرها فوق كل الاعتبارات الاخرى. لذا ارجو من جلالتكم ان تفهم هذا جيدا.

وحرر في هرمز في ١٨ نونبر ١٥٢٩،

اقبل الايدي الملكية لجلالتكم

كريشطفاو دو مندونسا

# الملحق الثاني

# رسالة من الرئيس ركن الدين ، وزير هرمز

# الى الرئيس شرف ، وزير هرمز المعزول

# حول محاولات ملك الاحساء السيطرة

# على البحرين والقطيف والبصرة (١)

بعد ديباجة قصيرة ،

« ... لقد فهمت يا سيدي كل ما كتبتم لي ، وكلنا نرفع ايدينا متوسلين الى الله ان ينعم عليكم بالصحة وان يحقق امانيكم لان رعاية الله وخوارقه كبيرة ، واتمنى ان يجمعنا كما كنا من قبل ، وكما نتمنى جميعا .

كما نرجو منه ان يطيل عمرنا حتى ننعم بتلك الفرحة التى نتمناها جميعا . لقد علمت من رسالتكم التى بعثتموها لي انكم تتمنون المجيء في اول اسطول ياتى ، اتمنى ان يتم ذلك ..

وبعد هذا اخبركم ان كل المناطق هادئة ، وان اخبار واحوال هرمز لا تستدعى الكتابة .. اما ما أمرتمونى به من خدمة ملك هرمـز ، فان الله يعلم كيف خـدمته ونصحته ، وذلك بحب كبير ، الا ان طبعه يحول دون اعتبار نصائحى ونصائح غيري اذ لا يعمل الا برايه الخاص . ويبدو لي انه لن يتفاهم ابدا مع اى احد . ومع ذلك ، فانتم تعلمون انه يتحمل مسئولية ذلك ، وارجو من الله ان يتم قدومكم كما ذكرتم في رسالتكم ، وان تقفوا (بكوا) على اخباره واموره واحواله .

انني منذ سنتين ونصف في خدمة أبنه الذى ينوب عنه اليوم ، واحمد الله على انني لحد الساعة لم اختلف معه .

أما ما طلبتم مني كتابة من اعتنائي ببيتكم وابنائكم فاني اقوم بذلك فعلا ، وعلى احسن الوجوه ، وادعو لكم بالعودة السالمة عما قريب لتـولوهم وتولونـا نفس العناية التى اخصهم بها .

اعلموا بعد هذا ان الملك محمد ، حاكم البحرين ، في صحة جيدة ، وان ملك الاحساء الشيخ (ماننج بن رشيد MANING BEN RASHID) مقبل على القطيف وعازم على الاستيلاء على البحرين وانه تم تبادل عدة رسائل بينهما حتى ان سعيدبن عبدالله ، وهو من سكان الاحساء توسط بينهما فامضيا هدنة . الا ان ملك الاحساء جمع عددا كبيرا من المحاربين وعاد للاستقرار بالقطيف داخل قلعة جديدة امر ببنائها بعد ان امر بهدم القلعة القديمة . وما ان علم رجاله وباقي مرافقيه من سكان المنطقة بنواياه الرامية الى محاربة مسلمي البحرين حتى فر عنه اغلبهم بصحبة ابنائهم وزوجاتهم. وكان اول هؤلاء الفارين محمد بن رحال CAIN BEN RAAL وذويه الذين رحلوا جميعا مع آخرين لوضع انفسهم تحت حماية والي البحرين. كما ان احد اعيان المسلمين المسمى الشيخ محمد بن مسلمة MAHAMED BEN MACALAM قدم بدوره الى البحرين صحبة قومه، وذلك رغم انه من الاحساء.

ولما رأى الملك ذلك انتقل الى البصرة . وبينما كان مخيما بجوانبها ، انقض عليه سكانها في اعداد كثيرة وهزموه وقتلوا له عددا كبيرا من المحاربين بينما تمكن هو من الفرار على ظهر فرسه ، وذلك بعد ان تعرض لجروح بليغة ، وبالاحساء التي عاد اليها استطاع جمع عدد كبير من الرجال ضمنهم اعراب كثيرون . وحينذاك وصله خبر موت ملك البصرة الذي كان احد اقاربه ، والذي كان يدين للأتراك بالولاء ، والذي خلفه صبي بايعه سكان البصرة ملكا على مدينتهم ، وما ان علم ملك الاحساء بذلك حتى توجه مع رجاله نحو البصرة ، واستغل حاكم البحرين ، الرئيس محمد ، ذلك وجمع عددا كبيرا من الفرس والعرب وهاجم القطيف حيث احرق له مائة وخمسين مركبا ما بين كبير وصغير كانت من قبل في ملكية عاهل هرمز قبل ان تخونه وتصبح في حوزة ملك الاحساء .

ولما وصل ملك الاحساء الى البصرة فتح له اعيان المدينة الابواب وبايعوه ملكا . وفور تلك البيعة بالبصرة علم باحراق حاكم البحرين لمراكبه ، فامر بمصادرة كل مراكب تجار البحرين الموجودة بالبصرة بالاستيلاء على سلعهم . غير ان اعيان المدينة استاءوا لذلك وطردوه من مدينتهم وبايعوا عوضا عنه احد اقاربه المسمى الشيخ يحيى ، واعادوا السفن والسلع لمسلمي البحرين ، وعوضوا لهم كل ما فقدوه .

والشيخ يحي هذا رجل فاضل يرغب كثيرا في الحصول على صداقة البرتغاليين ، اما ملك البصرة المذكور الذي طرده السكان منها ، فانه عاد الى الاحساء ، وهو لا يزال يحلم بالاستيلاء على البحرين ، ويعد بالقيام بذلك في اقرب الآجال . ولن يصعب عليه ذلك لشدة قوته وكثرة جنوده .

ولما علمت بهذه الأحداث التحقت بالقبطان (مرتين أفونصو دو ميلو) لاشعاره بها ، وكذا الكاتب واعيان البرتغاليين وقلت لهم ان عليهم ارسال اسطول لحماية

---

(١) ان النص الذي اترجمه هو بدوره ترجمة برتغالية لرسالة حررت على ما يبدو بالفارسية وارسلت ترجمتها الى الملك البرتغالي ليطلع عليها ، وهي التي وصلتنا ولا ندرى مصير النص الاصلي .

البحرين او بناء قلعة بالقطيف لضمان امن البحرين ، الا ان القبطان اجابني منذ ثلاثة ايام أن مولانا الملك يتحمل مصاريف ضخمة بالهند وبهرمز الامر الذى يحول دون ارسال اسطول الى البحرين . واقترح ان يجمع حاكم البحرين كل محاربيه واقاربه وان يستولى لمدة سنة على الجبايات التى قد تكون هناك للفرس وذلك قصد تجهيز اسطول يمكنه من الاستيلاء على القطيف . لذا بعث اليه القبطان برسالة موقعة من طرفه وكذا من لدن الكاتب يخبرانه فيها ان العمل باقتراحهما يمثل خدمة لملك البرتغال ، وانه فى حالة استيلائه على القطيف ، فانه سيحتفظ بها لنفسه دون ان ينازعه فى ملكيتها احد ، واكدا له ان ملك هرمز موافق بدوره على ذلك . وبعث له ملك هرمز بدوره خطابا آخر . الا ان الحاكم لم ينفذ الاقتراح بعد .

ولقد تطوع محمد بن رحال ومحمد بن مسلمة (؟) بالمساهمة فى نفقات تجهيز ذلك الاسطول . اخبركم ان الشيخ احمد ، ابن الشيخ اسماعيل ، ذهب الى (GULI-LAO) لمحاربة بعض السكان الثائرين ، كما اذكركم بخدمتي الصادقة التى لا تختلف عن خدمتي لملك البرتغال ، وان اول دليل على ذلك هو اننى ابعث على نفقتي ، وعلى رأس كل سنة ، اشخاصا الى القاهرة والى عدن ولاماكن اخرى للاطلاع على أحوال واخبار السلطان التركي وضباطه . ولحد الساعة لم اتوصل بأى خبر يرتبط بما كاتبتموني فى شأنه . وسأتسارع بابلاغ قبطان الحصن بكل ما سيصلني من اخبار .

ارجوكم ان تثقوا بي اذا ما قلت لكم اننى مسرور لخدمة ربي وخدمة ملك البرتغال واظن ان سعادتكم تعلم ذلك ..

اتمنى ان يطيل الله عمركم وان يضمن لكم الرفاهية كما نرجو ذلك جميعا » .

# الملحق الثالث

# رسالة من برنالدو دوسوزا

# إلى الملك البرتغالي

# حول هجوم برتغالي على الخليج ١٥٤٥

« سبق لي ان اطلعت جلالتكم عدة مرات على خدماتي التى قدمتها لكم هنا ، وطلبت منكم في كل رسائلي ان تقوموا بتحريات لمعرفة مدى صدق ما ادعيه اذ بالرغم من ان خدمات الذين يعملون هنا تبدو مخالفة لبعضها البعض عبر الرسائل والطلبات ، فانني اعلم اننا جميعا سواء . ولكنى حينما الح في هذا الطلب فان ذلك يعود الى تاكدي من ان جلالتكم لا تسعى الا الى اعطاء كل واحد منا ما يستحقه من رعاية وكرم .

ورغم اني علمت بواسطة اخي ( ديوغو لوبش DIOGO LOPES ) انكم لم تمنحوني اي عطاء كما فعلتم مع غيري خلال هذه السنة ، وان ما منعكم من ذلك هو ان مصلحتكم اقتضت ان لا تنعموا علي باية قلعة من القلاع التى طلبتها منكم ، فاني لم أياس من ان أرى جلالتكم تنعم عليّ بذلك لكوني متاكدا منذ عدة سنوات من ان أى احد لم يقدم ما قدمته هنا من خدمات ، وبالتالي لا يستحق ذلك مثل استحقاقي له .

علم الوالي (مرتين افونسو MARTIM AFONSO) بعد عودة المراكب خلال السنة الفارطة بقرب قدوم الأتراك الى هرمز وذلك بواسطة بندقي وصل من القاهرة خصيصا لاشعارنا بذلك ، مع العلم انه لم يات الى هناك الا من اجل اقتراض الأموال واداء رواتب الجدافين الموجهين الى السويس . ونظرا لكون الوالي كان بدوره على علم بذلك بواسطة ثلاثة أسرى فروا من السويس ، فانه صدّق الخبر ، خصوصا وان ( لويس فلكاو LUIS FALCAO ) كتب اليه يشعره انه علم بذلك بطرق اخرى ، وطلب منه ارسال امدادات للقلعة لقلة من كان بها من المحاربين .

ولما تبين للوالي شدة احتياج ( فلكاو ) لاولئك المحاربين ، استدعاني وقال لي ان خدمة جلالتكم تقتضي الذهاب رفقة اخي (جورج دو سوزا) لكون وصول الاتراك يحول دون امدادها بالاقوات والرجال الذين هي في أمس الحاجة اليهم ، وذلك قبل شهر نونبر الذى ياتي بعد ثمانية اشهر من ذهابي ، وبما انه بعثني في مهمة في مثل هذه الخطورة تعود عليكم بالمنفعة ، فاني انطلقت مغتبطا واعتبرت ذلك شرفا لي ، وذلك رغم ان العملية تكلفني مصاريف باهظة نظرا لكثرة الذين رافقوني ، ولكون الاثمان بالبلاد اغلى من اي مكان آخر هنا . ورغم اني لم اكن يا سيدي قادرا على تحمل تلك المصاريف فان الرغبة في خدمة جلالتكم الزمتني بالالتجاء الى اصدقائي قصد تسديد بعض ما ادين لكم به من فضل ، لاعتقادي انه بدون ذلك فلن اتمكن من خدمة جلالتكم خدمة جيدة .

وبعد الوصول الى هرمز ، وصلنا منذ سبعة او ثمانية ايام خبر يؤكد ان الأتراك لن ياتوا خلال هذا الشتاء وان البحارة الذين اطلعونا على هذا الخبر اكدوا لنا انهم توصلوا برواتبهم وان الاستعدادات تمت فعلا وانه تم تجهيز ٢٥ او ٣٠ غليوطة هبت من السويس الى AZEBIBI لانقاذها بعد ان حاصرها ملك المنطقة .

وفور تأكدنا من عدم مجيء الاتراك ، اخبرني (لوبش فلكاو) انه منذ ست سنوات انتزع ملك الاحساء الشيخ MANA من مملكة هرمز قلعة ومدينة القطيف ، وانه منذ ذلك التاريخ وملك هرمز ووزيره يطلبان من القباطنة السابقين ، وكذا منه ان يمدوه بالعون اللازم لاسترجاعها ، وذلك طبقا لما نحن ملزمون به بشأن كل الحصون التابعة لملك هرمز ، وليس فقط هذا الحصن الذى استولينا له عليه في عهدنا هذا . لكن القباطنة السابقين كانوا يتملصون باستمرار مدعين عدم توفر الجنود القادرين على الذهاب الى هناك ، الأمر الذى لا يمكننا الآن التذرع به لوجودى هنا رفقة رجال لم تعد الحاجة اليهم لعدم مجيء الأتراك ولكون ملك هرمز ووزيره تعهدا بتحمل مصاريف الحملة ، وذلك رغم انهما غير ملزمين بذلك ، وانهما لا يطلبان اكثر من ان يرافقني الجنود البرتغاليون الذين يقدرون على ذلك ، وكذا المدفعية والبارود اللازمين .

وبعد ان تأكد (لوبش فلكاو) من ان استرجاع تلك القلعة والمدينة يمثل فائدة وخدمة لجلالتكم ، ومن كونه يعطينا اعتبارا ، وبعد ان وضعت بدوري كل هذه الاعتبارات نصب عيني ، لاحظت انه من الأفيد الذهاب الى هناك خصوصا وان الأمر لا يمثل اي مغامرة ، وانه لا يتطلب أكثر من اشغال جنودنا ، الأمر الذى فضلته على بقائهم خاملين بهرمز .

واثر اتخاذى لهذا القرار ، اتممت استعدادي بسرعة وانطلقت رفقة ٢٠٠ برتغالي وستة او سبعة الاف فارسي وعربي امرهم ملك هرمز والوزير بمرافقتي ، والذين جعل على رأسهم الرئيس نور الدين RAIX NORDINE ابن الرئيس شرف ( CHARAFO ) الذى يعتبر من اهم الشخصيات التي يتوفر عليها .

وبعد مغادرتنا لهرمز وصلنا بعد ايام قليلة الى البحرين حيث مكثت اياما قليلة لانهي جمع قطع الاسطول ولتوفير بعض الاشياء اللازمة للحصار لكوننا لم نكن الا على بعد تسعة لغوات ( LEGUOAS ) من القطيف .

وفور جمع كل ما كان ضروريا ، انطلقت من جديد ، وفي اليوم التالي اقتحمنا الميناء الذي دخلناه خلال الليل ، ووطئت اقدامنا الارض قبل الفجر ، فكان في انتظارنا ثلاثة الاف (٣٠٠٠) أو أربعة آلاف (٤٠٠٠) محارب كانوا بالمدينة قتلوا لنا حوالي ثلاثين او اربعين فارسيا من فرقتي وبرتغاليين اثنين . وقتلنا لهم بدورنا عددا أكبر مما ارغمهم على الابتعاد عن المدينة التي كان باقي سكانها قد فروا عنها . وبما ان اليابسة اضحت آمنة ، فاننا انزلنا المدفعية التي شرعت فور ذلك في قذف الاسوار في قسم لم يكن يتوفر على خندق . وهكذا قصفناه خلال اربعة ايام ، اي اكثر ما يمكن للمدفعية ان تتحمله . وبما اننا لم نتمكن الا من اسقاط قسم منه على علو يسمح باستعمال السلاليم ، فانني قررت اقتحام المدينة قبل اسقاط قسم اكبر لمناعة تلك الاسوار ، ولكون ذلك يتطلب أياما اخرى ، خصوصا بعد ان علمت ان نفس الملك قادم للدفاع عنها لكونه كان بالاحساء التي تبعد عن القطيف بمسيرة ثلاثة ايام . وانه كان على راس ١٤٠٠٠ او ١٥٠٠٠ محارب وعدد كبير من الفرسان وضاربي البنادق ، هذا فضلا عما سببته لنا مدفعية وبنادق القلعة من متاعب ، وكذا حالات الاستنفار التي كانت تعلن باستمرار بسبب هجمات اولئك ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ محارب الذين اصطدمنا معهم وقت انزال جنودنا ، الامر الذي اتعب كثيرا محاربينا وخصوصا منهم الفرس الذين لم يكونوا متعودين على مثل هذا المجهود .

ورغم ما يمثله دخول المدينة اعتمادا على السلاليم من خطورة ، فاني فضلته كثيرا على البقاء في انتظار هجمات اخرى ، الا انهم ما ان علموا باستعدادنا لنصب تلك السلاليم حتى شرعوا ابتداء من منتصف الليل في اخلائها ، واعترف لجلالتكم ان ذلك احدث فرحا كبيرا في المحلة .. ولكي يحول البرتغاليون دون فرار اكثرهم ، تسلقوا الاسوار خلال الليل وقتلوا بعضهم وأسروا اعدادا اكبر ، الامر الذي ادهش المسلمين المرافقين لنا اكثر مما ادهش الاعداء الخائفين لكونهم لم يكونوا متعودين على اقتحام القلاع في مثل ذلك الظلام .

وفور ذلك علمت خلال اليوم التالي ان الشيخ MANA وصل الى محل يبعد عن القلعة ٢ (لغوات) على رأس الجيش الذي هب به للدفاع عن المدينة ، وانه ، حسب ما قيل لي ، ما ان علم بسقوطها حتى عاد من حيث اتى ، ولم يصلنا منه اي اذى . وبعد تحطيم ما استطعت تحطيمه من القلعة سلمتها للرئيس نور الدين على الشكل الذي سلمتُ لهم باقي قلاع مملكة هرمز ، وتوجهت نحو هرمز لقرب الوقت الذي يجب علي فيه الالتحاق بالهند .

وبما ان كل الذين رافقوني عادوا سالمين عدا اثنين قتلا ، وآخر توفي بسبب المرض ، فان عناية الاله احاطتنا لان ارض البحرين غير صحية كما سبق لجلالتكم معرفة ذلك من خلال موت الجنود الذين رافقوا (سيماو كونيا) . ولان البحرين لا توفر للقطيف في هذا الباب اي امتياز ولو شدة الخضرة وكثافة الغطاء النباتي لانه لا يمكن رسم مكان احسن من هذا في العالم كله .

ساهم الى جانبي في هذه الاعمال (جورج دو سوزا) وقدّم لجلالتكم فيها خدماته ، وكونه أخي لا يمنعني من القول انه صالح جدا لخدمة جلالتكم في كل الاعمال والمخاطر ، وعلى جلالتكم ان تصدقني في هذا لانه أخي ولو كان بالنسبة لي اكثر من أخ ، فاني ، في حالة ما اذا لم اكن متأكدا من كونه كذلك فلن اقول عنه هذا ، لان المرء غير ملزم به ازاء ابيه او أمه .

وبعد ١٢ يوما من وصولي الى هرمز ، توجهت الى الهند حيث وجدت (دون جواو دو كاشترو DON JOAO DE CASTRO واليا عليها فبقيت في رفقته . (...)

أتمنى ان يطيل الاله عمر جلالتكم كما نتمنى جميعا . وحرر في (كواة) في ٢٠ نونبر ١٥٤٥ . » .

برنالدين دو سوزا

Gavetas, da torre do Tombs, V.I.P.P. 915-918)

# الـــهوامش والتعـــاليق

(١) المناهل عدد ٢٦ ، الرباط ، ١٩٨٣ ، وستعيد مجلة الخليج العربي نشره في احد اعدادها المقبلة.

(٢) Historia da Expansao portuguesa no mundo, Vol.II (1939) p93

(٣) ibid p 67

(٤) راجع دراستنا : دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء اسفي وازمور (قبل غشت ١٤٨١ - اكتوبر ١٥٤١) الفصل الاول من الباب الثاني. دار الثقافة. البيضاء ١٩٨٣.

P. Chaunu: l'Expansion Europeenne du XIII° au XV° siecle. P.U.F. (nouvelle Clio n°26) Paris 1969, pp 102-103, 106-120.

(٥) Eanes zurara: cronica de Guine. Lisbonne 1973 p43 (chapitre VII)

(٦) As gavetas da Torre do Tombo, vol. XII pp 239-241.

(٧) Historia de Portugal (Barcelos); vol. IV, p37

(٨) Historia da Expansao.. op. cite n83

(٩) Joao de barros: As Decadas de Asia (1945) vol. II p50

(١٠) ibid, ibidem.

(١١) ibid pp 45, 65.

(١٢) ibid 433

(١٣) Historia de Portugal op cite p.43; ibid, Vol. IV p158.

(١٤) Cartas de Afonso de Albuquerque, Tome I, p II

(١٥) ibid P 196

(١٦) ibid p 264

(١٧) ibid PP 373-374

(١٨) Legoas وكانت عبارة عن مسافة تصل الى خمسة كيلومترات ونصف للواحدة.

(١٩) Joao de Barros, op cite III, p 317

(٢٠) راجع الملاحق المرفقة بهذا البحث.

(٢١) J. de Barros, III, p 317

(٢٢) Francisco de Andrade: Chronica do muito alto e poderoso Rei destes reinos de Portugal Dom Joao Terceiro deste nome, Lisbonne 1613, II, fol 72

(٢٣) Joao de Barros, op cite III p 317

(٢٤) نفس معطيات الهامش السابق .

(٢٥) ibid, III p 317

(٢٦) Gaspar Correa: Lendas da Asia, Lisbonne 1861, II p325, ibid, IV p 158

(٢٧) G. Correa, op cite, II p 648

(٢٨) ibid p 648

(٢٩) J. de Barros, op cite III p 312

(٣٠) ibid, III p 311

(٣١) نفس معطيات الهامش السابق

(٣٢) ibid, III p 312

(٣٣) نعتمد في التاريخ لهذا الحدث على: J. de Barros: op cite III p 311

(٣٤) ibid III p 315

(٣٥) ibid p 320

(٣٦) ibid p 322

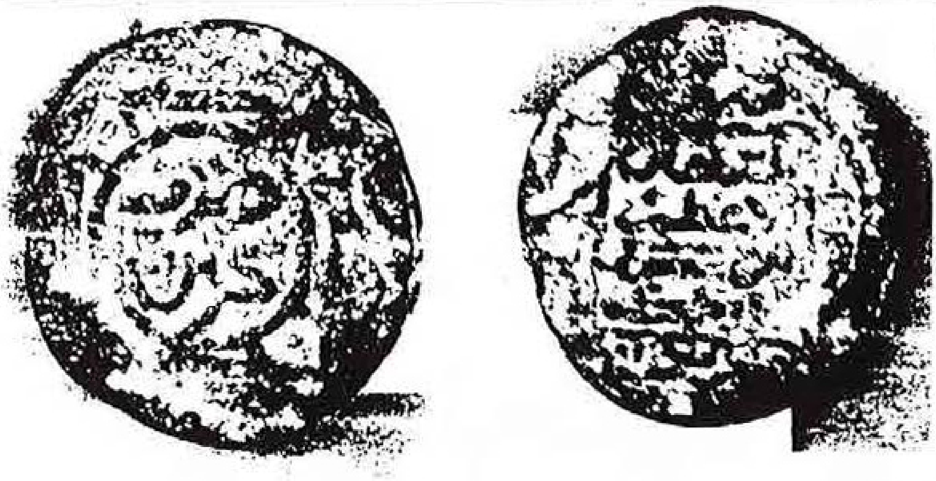
(٣٧) توجد ترجمته العربية بالملاحق

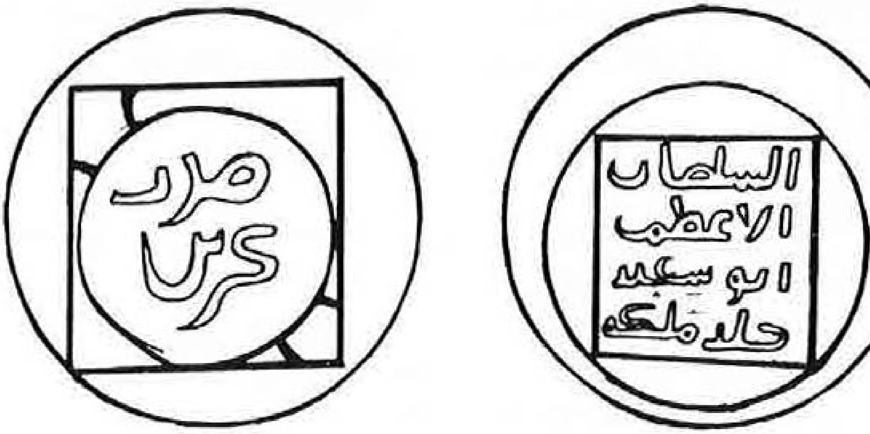
# نقد عربي فريد يكشف حقائق علمية عن تاريخ البحرين

بقلم : الدكتور محمد باقر الحسيني ـ العراق

**لا شك ان تحديد البحرين جغرافيا يختلف الى حد كبير عما وصفه الرحالة والجغرافيون قديما ، اذ وصفوها بالمنطقة المحصورة ما بين عمان والاحساء الواقعة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، وقد منحها آخرون مساحة الى الشمال وصولا للبصرة ، بينما دولة البحرين اليوم مقتصرة على الجزيرة .**

كانت هذه الناحية تمثل احدى الصعوبات التي واجهتني أول الامر في اعداد هذا البحث ، كون أيهما البحرين قديما أم حديثا ؟ الا ان الأمر هان على عندما واجهتني حالة أصعب من الاولى ، وهي ندرة مادة البحث ، واعني بها النقود التي ضربت في البحرين ، وما وصلنا حتى الآن لا يتجاوز الثلاثة نقود ، اثنان منها أبعدتهما عن البحث ، كونهما مشكوكا في مكان ضربهما وهل هما ضمن حدود البحرين قديما أم لا ؟ النقد الاول (فضة) ضرب في (برقان) عام ٣٥٤هـ باسم الحاكم البويهي عضد الدولة ، والثاني ضرب في (تيمار) عام ٧٠٠هـ باسم السلطان غازان الايلخاني ، والمراجع تعرف المدينة الاولى ، انها تقع قرب الكويت ، أو فيما وراء النهر ، والنقد الثاني (فضة) أما (تيمار) فقد ذكرها ياقوت الحموي انها (جبل اظنه بنواحي البحرين) والنقد الثالث (من الرصاص) وهو مادة البحث ، فقد ضرب في البحرين باسم السلطان الايلخاني أبوسعيد ٧١٦ ـ






رسم تخطيطي للنقد الاعلامي المضروب في (بحرين)
باسم السلطان الايلخاني ابو سعيد

# النقد يؤكد سيادة واستقلالية البحرين
# في العهد الإيلخاني

٧٣٦هـ/ ١٣١٦ - ١٣٣٥م وقبل البدء بالدراسة لا بأس من ذكر نصوصه :

**السلطان**
**الاعظم**
**الوجه**
**ابوسعيد**
**خلد ملكه**

**الظهر** **ضرب**
**بحرين**

**أود أن أشير هنا الى :**

**أولا** : ان هذا النقد فريد في نوعه ولا مثيل له

**وثانيا** : انه يعتبر من النقود الاعلامية والدعائية لا من نقود التعامل والتبادل التجاري .

ولاهمية هذا النقد الاعلامي في تاريخ البحرين أوضح ان النقود عامة والمتداولة بين الناس ، لم يقتصر دورها على التعامل التجاري فحسب ، وانما هناك دور آخر لا يقل أهمية عنه واعني به (الدور الاعلامي) والهدف من ضربها ايصال أراء اصحابها ، ومبادئهم ، وعقائدهم الى عامة الناس ، والمتعلقين بهم على شكل نصوص أو شعارات أو غيرها ، ولم يكن أصحاب هذه النقود بالضرورة مؤيدين لسياسة الدولة أو حكامها، وانما يصح العكس أي أن يكونوا معارضين لها ، فالنقود آلاعلامية بنوعيها الحسن والسيء كانت تلعب في ذلك الوقت نفس الدور ، وربما تزيد تأثيرا في نفوس الناس ، عما تلعبه الصحافة ، والاذاعة ، والتليفزيون ، والمؤتمرات وغيرها في الوقت الحاضر ، والجدير بالذكر ان هذه النقود الاعلامية ، لا يمنع ان تكون نقود تعامل ، وتبادل تجاري ، بيد ان هذا الغرض يأتي بالدرجة الثانية ، كما انها تحمل نفس شروط وصفات نقود التعامل ، والتبادل التجاري عدا بعض التغيرات والاضافات في نصوصها قد لا تبدو للناظر انها نقود اعلامية ، وقد يعتقد القارىء وربما الدارس او الباحث من خلال قراءته نصوص هذا النقد الاعلامي واستنتاجاته له ، ان البحرين كانت تابعة للدولة الايلخانية ، بسبب نقش اسم السلطان الايلخاني أبوسعيد ومدينة الضرب البحرين ، الا ان أحداث العصر تؤكد ان البحرين لم تكن تابعة ، ولم يكن تأثير هذا النقد بشكل أو بآخر اعلاميا على سيادة هذه الدولة واستقلاليتها . بدليل عدم ذكر المراجع القديمة منها والحديثة على اختلافها تبعية البحرين لدولة ايلخان ، أو السيادة الايلخانية على المنطقة العربية بدءا من الاحساء وانتهاء بالكويت بأي حال من الاحوال ، بالرغم من ان هذا النقد الاعلامي يمثل الجانب الرسمي للدولة وانه ركن من أركانها وشارة من شاراتها ، وما اراده ابوسعيد من ذلك ، تغطية حالته السياسية السيئة ، وشخصيته الضعيفة وراء هذا النقد واظهارها بمظهر القوة ، والسيطرة تجاه أعدائه ، وخاصة المماليك ، والامراء الحاقدين المقربين له والذين استغلوا ضعفه ، وقد أكدت المراجع ان أبا سعيد كان في أول سنوات حكمه مجرد رمز ، لا يملك سوى الاسم ، بينما انفرد الامير جوبان بالحكم .

وهنا يفرض سؤال نفسه عن السبب الذى حمل السلطان الايلخاني أبا سعيد على القيام بهذه الخطوة في هذا الوقت ؟ والجواب حسب تصوري :

انه كان يسكن العراق وجنوبه قبائل عربية قحطانية وعدنانية ، وقبيلة بنو عامر العدنانية كانت هي المسيطرة على البحرين في ذلك الوقت ، وقبيلة بنو عقيل هي الاخرى عدنانية في الاحساء والقطيف وقد ساءت

علاقاتها مع أحد أمراء آل الفضل من قبيلة طي القحطانية ، هو الامير فضل بن عيسى الذى سار وقائده (جوبان) الى السلطان الايلخاني أبوسعيد عام ٧١٨هـ مرحبا بهما واهديا له خيولا عربية ، فاقطع السلطان له البصرة ، ولكن بنى عقيل ، وبنى عامر تحالفوا في آخر العام على أمير العرب مهنا بن عيسى . وطردوا اخاه فضل بن عيسى عن البصرة ، فجمع مهنا جموعه وقصد بني عقيل في الاحساء ، والقطيف للقتال ، وعندما التقى الجانبان لم تحدث المواجهة العسكرية بينهما وانتهت بالصلح ، وفي خضم هذه الاحداث انتهز السلطان ابوسعيد فرصة الخلافات بينهما ، بالرغم من ان قبيلة طي مواليه له ، فاعلن رسميا سيادته على البحرين التي لم يكن فيها أي مؤشر فعلي لهذه السيادة، وليس بعيدا أن هذا النقد الاعلامي وامثاله لم يصل الى البحرين ، وانما اقتصر تداوله في العراق وربما في بغداد فقط ، والمعروف ان العاصمة كانت مركزا لضرب النقود ، وارسالها الى الاطراف ذات العلاقة .

وهناك احتمال آخر ، دفع السلطان الايلخاني لاعلان سيادته على البحرين ، وهو انتهازه ظروف التقارب بين دولته في اواخر أيامها وبين القبائل العربية ، للتعبير عن النقص السياسي الذى كان يعانيه ، اذ أكدت المراجع ، ان موقف القبائل العربية في أوائل العهد الايلخاني كان يحيطه الغموض ، نظرا لقلة ما كتب عن ذلك ، وربما أصبح هذا التعاون بين الطرفين مؤخرا أمرا طبيعيا بعد ان زال الخلاف بينهما ولعل هذا النقد الاعلامي ، وهو وثيقة رسمية ، لا يمكن الطعن به بسهولة لصحة أثريته ، وهو مصدر من مصادر التاريخ بل من أجله يعطينا الدليل الواضح لمحاولة التقارب بين هذه القبائل والايلخاني . في الوقت الذى تعذر ظهوره في أول العهد بينهما .

فهذا النقد ، على ما اعتقده ، أضاء لنا الطريق عن علاقة هذا السلطان مع القبائل العربية ، ومحاولته تمويه الحقائق التاريخية ، ليستر عيوبه بهذه الوسائل الاعلامية ، ويعلن سيادته على المنطقة العربية البحرين ، فالنقد الذى اعتقد انه ضرب ما بين ٧١٨ و٧٢٠هـ . أضاف الى تاريخنا هذه الحقيقة ، وهي سيادة واستقلالية البحرين في العهد الايلخاني ، وخاصة في أيام السلطان أبوسعيد .



# المصادر


١ ـ ابن خلدون ، مقدمته ، جـ٤ ص١٩٧ (نشر دار الكتاب ـ بيروت ١٩٦٨م)

٢ ـ د. العش (محمد ابوالفرج) ـ النقود العربية الاسلامية في مدن الجزيرة العربية ص٣١ تسلسل النقد ٦١ (بحث مطبوع على آلة كاتبة)

٣ ـ د. العش (محمد ابوالفرج) المصدر السابق ـ ص ٣١ تسلسل ٦٢

٤ ـ ياقوت الحموي معجم البلدان ـ جـ٢ ص ٦٧ (ط. صادر بيروت)

٥ ـ أشكر السيدة الشيخة هيا الخليفة على تفضلها بارسال صورة هذا النقد المحفوظ في متحف البحرين .

٦ ـ زامباور ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن وزملائه ص ٣٦٢ القاهرة (١٩٥١ ـ ١٩٥٢)

٧ ـ د. محمد باقر الحسيني ـ دراسات وتحقيقات اسلامية عن نقود الثوار والدعايات والشعارات ص ٣٥ ـ ٥٤ ـ مجلة المسكوكات جـ٥ ١٩٧٤م

دراسة تحليلية اسلامية عن نقود الدعاية والاعلام والمناسبات ص ٩ ـ ١٦ مجلة المسكوكات جـ٦ عام ١٩٧٥م .

دراسات عن نقود الثوار والشعارات والمناسبات المضروبة في افريقيا ص ٢٣ ـ ٤٣ مجلة المسكوكات ج ١٩٧٦/٧ م

٨ ـ د. القزاز (محمد صالح) ـ الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ـ ص ١٩٣ وص٤١٤ (النجف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)

د. خصباك (جعفر حسين) ـ العراق في عهد المغول الايلخاني ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٥ بغداد ١٩٦٨م

٩ ـ د. القزاز (محمد صالح) ـ المصدر السابق ص١٩١

١٠ـ د. خصباك (جعفر حسين) ـ المصدر السابق ص ١٦٨ ـ ١٧٧

د. القزاز (محمد صالح) ـ المصدر السابق ص٣٣٧

١١ـ د. خصباك (جعفر حسين) ـ المصدر السابق ص١٧٦

د. القزاز (محمد صالح) ـ المصدر السابق ص٣٣٧

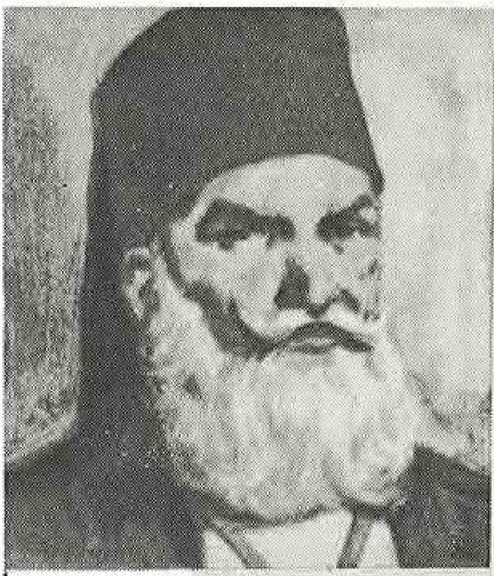
١٢ـ د. القزاز (محمد صالح) ـ المصدر السابق ص٣٣١ وص٣٣٤ .

# موقع البحرين في محاولات محمّد علي باشا لتأسيس دولة عربية موحدة

ـ ١ ـ

بذل محمد علي باشا والي مصر ( ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨ ) جهودا كبيرة من اجل بناء دولة قوية حديثة . وانجز لذلك سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والثقافية والعسكرية والادارية التي اصابت المجتمع المصري انذاك بحيث ظهرت نتائجها واضحة في مراحل لاحقة من تاريخ مصر الحديث .وسرعان ما ادرك محمد علي باشا اهمية مصر في اقامة الدولة العربية الموحدة وقاده ذلك الى تتبع الارتباطات الاستراتيجية والقومية لمصر بالاطراف العربية المحيطة بها ( ١ ) وقد احتلت منطقة الخليج العربي مكانة متقدمة في تفكير محمد علي باشا وسعيه المتواصل . لربط هذه المنطقة بمصر وانقاذها من الخطر الاستعماري البريطاني . وكانت البحرين ، من المراكز المهمة التي نجح محمد علي باشا في الوصول اليها وربطها بمشروعه الذي كان يطمح الى تحقيقه .

ان بحثنا هذا ينصرف لتوضيح موقع البحرين في محاولات محمد علي لتأسيس دولة عربية موحدة قوية . والدور الذي قامت به بريطانيا لاحباط تلك المحاولة والحيلولة دون نجاحها والانفراد بالخليج العربي حتى سنوات قريبة .



بقلم : د. ابراهيم خليل أحمد ـ العراق

ـ ٢ ـ

يبدأ التاريخ الحديث للبحرين بوصول آل خليفة ، من قبائل العتوب اليها سنة ١٧٨٣ . ولقد واجهت البحرين منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر تحديات كثيرة ، نتيجة محاولات بعض القوى المحلية والاجنبية المسيطرة عليها[٢] . ولقد استطاع آل خليفة ، خلال الفترة من بدء حكمهم للبلاد وتوقيعهم اول معاهدة مع بريطانيا سنة ١٨٢٤ ، الحفاظ على استقلالهم بوسائل عديدة . وبذلك ابعدوا بلادهم عن خطر السيطرة الاجنبية[٣] .

حكم الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ، بعد وفاة ابيه مشاركة مع اخيه سلمان ( ١٧٦٩ ـ ١٨٢٥ ) وبعد وفاة اخيه انفرد الشيخ عبدالله بالسلطة . الا انه واجه مشاكل عديدة : تمثلت ببعض الخلافات الاسرية ، وتنامى نشاط القوى الخارجية المتنافسة في الخليج العربي ومحاولاتها المتكررة اخضاع البحرين لنفوذها . لذلك اعتمد الشيخ عبدالله صيغا وأساليب متنوعة من المرونة السياسية رغبة منه في التخلص من الضغوط ، والاحتفاظ بوطنه بمنأى عن الوقوع في دائرة النفوذ الاجنبي . وعلى هذا الاساس فأن تاريخ البحرين الحديث ، لا يمكن فهمه الا من خلال معرفة

بعض المحركات التي أثرت فيه والتي تراوحت ، وفق التطور التاريخي ، بين القوة والضعف . ولعل في مقدمتها تنامي نفوذ بريطانيا في الخليج العربي ومحاولتها التدخل المباشر في شؤون البحرين . وقد اتضح ذلك حين وقع شيخ البحرين على اتفاق التعاون مع المصريين[٤] .

- ٣ -

اهتمت مصر بالبحرين من النواحي السياسية والاستراتيجية والاقتصادية . فمن الناحيتين السياسية والاستراتيجية عد محمد علي باشا البحرين من ابرز المواقع التي ينبغي مد سلطانه اليها في منطقة الخليج العربي . اذ عن طريقها يمكنه اكتساب ميزة التحرك السريع صوب اجزاء الخليج العربي الاخرى جنوبا : صوب امارات ساحل عمان ، بل وسلطنة عمان نفسها ، وشمالا : صوب البصرة وبقية مناطق العراق ، ومن جهة اخرى فأن السيطرة على البحرين تسهل على القوات المصرية الحصول على السفن اللازمة لنقل المؤن والامدادات من جهتي البصرة والكويت لأى عمليات عسكرية من أى نوع تجاه المناطق التي تتجه اليها انظاره في الخليج العربي[٥] . هذا فضلا عن ان الوجود المصري في البحرين قد يحول دون وصول النفوذ البريطاني اليها[٦] . وقد عبر احد القادة العسكريين المصريين عن هذه الأهمية : بقوله :

« ان الانكليز يرومون منذ خمسين او ستين سنة الى الاستيلاء على مقدار من سواحل .. « الخليج العربي » حتى يأمنوا شر الدولة الروسية وحولوا اغراضهم الى الاستيلاء على سواحل عمان والبحرين والاحساء والقطيف والكويت والبصرة لتكون عقبة امام الدولتين الروسية والايرانية . هذا هو ما يضمرونه ، فلا يبقى من جزيرة العرب ولا بغداد خير » . اما البحرين فهى بمثابة مفتاح ..( الخليج العربي ) اذا استولت عليه الانكليز فانها في خمس عشرة سنة تصير عظيمة ومعمورة مثل جزيرة مالطة . فان كان في غير الممكن بقاؤها في حوزتنا فلا اقل من ان تبقى لا لنا ولا للانكليز والاولى ان تترك مستقلة لآل خليفة »[٧] .

اما من الناحية الاقتصادية فأن البحرين ، تضم افضل مغاصات اللؤلؤ ، والذي يعد مصدرا رئيسا للثروة[٨] . ويمكن الاشارة الى ان حصيلة لؤلؤ البحرين في القرن الثامن عشر كانت تصل الى نصف مليون روبية هندية سنويا . وهو مبلغ كبير تنافس من اجله المتنافسون على امتلاك البحرين ومن ثم الاستفادة من مواردها المادية[٩] . كما نعمت البحرين بمساحات كبيرة من الاراضي الخصبة ، وساعد وجود ينابيع للمياه العذبة على قيام الزراعة ، وثمة مراكز تجارية عديدة في البحرين مكنت بعض الأسر من الحصول على عوائد مالية وافرة[١٠] .

- ٤ -

استفاد محمد علي باشا من استغاثة السلطان محمود الثاني ( ١٨٠٨ - ١٨٣٩ ) به لمساعدته في قمع الدعوة السلفية التي انتشرت في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية والخليج العربي للتوغل باتجاه الاحساء والقطيف المطلتين على الخليج العربي . ذلك ان سقوط الدرعية بيد القائد المصري ابراهيم باشا في سنة ١٨١٨ ساعد في انحسار النفوذ السعودي عن البحرين .

ولكن الانسحاب المفاجىء للقوات المصرية في اواخر تموز ١٨١٩ بضغط وتأثير من السلطات العثمانية في بغداد ساعد الانكليز على تقوية اقدامهم في المنطقة[١١] . اذ انهم نجحوا سنة ١٨١٩ في ضرب القوى البحرية في الخليج العربي وارغام معظم المشيخات على توقيع معاهدة ١٨٢٠[١٢] والتي انضم اليها شيوخ البحرين سنة ١٨٢٤ . ومنذ ذلك الوقت اخذت بريطانيا تقف ضد اي قوى تحاول السيطرة على البحرين[١٣] . وقد تعرض الانسحاب المصري السريع من الخليج العربي الى نقد شديد من بعض المؤرخين ، اذ ان سواحل الخليج العربي ، كانت تعاني انذاك من صراع استعماري وضغط اجنبي ، وخاصة من جانب بريطانيا[١٤] .

## - ٥ -

لربما شعر المصريون بخطأ انسحابهم من شبه الجزيرة العربية ، فعادوا اليها في اعقاب انتصاراتهم في الشام والسودان وذلك لاتخاذها ركيزة للتوجه نحو الخليج العربي شمالا واليمن وعدن جنوبا ؛ وقد اتاح لهم صلح كوتاهية في نيسان ١٨٣٣ بين محمد علي باشا والسلطان العثماني ، سحب جزء كبير من قواتهم من الاناضول وتوجيهها صوب الجزيرة والخليج العربي[١٥] . فقد تحرك في ايار سنة ١٨٣٨ ، بضعة آلاف من المقاتلين المصريين من قلب الجزيرة العربية نحو سواحل الخليج العربي بقيادة قائد قوات نجد « ميرميران عسكر نجد » خورشيد باشا[١٦] . وقد اجبرت تلك القوات الأمير فيصل بن تركي « مؤسس الدولة السعودية الثانية في حزيران ١٨٣٤ » الى الاستسلام في كانون الاول سنة ١٨٣٨ وتراجعه نحو مدينة « دلم » . وخلال حصار دلم وهو آخر معقل لفيصل بن تركي ادرك القائد خورشيد باشا قيمة البحرين من حيث تسهيل حركة قواته ، وانجازها لواجباتها من جهة ، وتزويدها بالمؤن اللازمة من جهة اخرى . وبعد سقوط « دلم » اصبح الطريق مفتوحا امام القوات المصرية للتقدم نحو الاحساء والقطيف والبحرين[١٧] .

كتب خورشيد باشا تقريرا الى حكومته ، اكد فيه الضرورات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية التي تجعله يحرص على ضم جزر البحرين والدفاع عنها ضد ما كان يدبره لها الانكليز . وطلب من السلطات المركزية المصرية في اول كانون الثاني ١٨٣٩ امداده بقوة بحرية تكون عونا لقواته البرية . الا ان جواب القاهرة جاء في ٥ نيسان ١٨٣٩ يشير الى وجود « بعض المحذورات » ولم تكن تلك المحذورات سوى الضغوط البريطانية المتزايدة على السلطات الحاكمة في القاهرة . ولم يحبط ذلك همة خورشيد باشا الذي تمكن من السيطرة على ميناء القطيف وجعله مركزا للاتصال مع الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة حاكم البحرين والتنسيق معه[١٨] .

## - ٦ -

لم يكن حاكم البحرين بعيدا عن نشاط القوات المصرية في منطقتي نجد والاحساء بل انه كان يتابع ، وباهتمام شديد ، ذلك النشاط ، خاصة بعد ان اطمأن الى حسن معاملة القوات المصرية لرجال القبائل العربية المختلفة . ولم تكن لديه رغبة في تحاشي الاتصال بالمصريين ، وحين توجه اليه احد ضباط خورشيد باشا ، ومندوبه في الاحساء « محمد افندي رفعت » استقبله بحفاوة شديدة واعرب عن استعداده

للتعاون مع المصريين املا في التخلص مما كان يحيق بالبحرين من مخاطر[١٩] .

بدأت يوم السبت ٧ أيار ١٨٣٩ المباحثات بين الجانبين المصري والبحريني عند « خوير حسان » بساحل قطر حيث يوجد شيخ البحرين . وخلال المباحثات ذكر الشيخ بأنه رفض عروضا قدمها الفرس والانكليز للتحالف معه ضد ما أسموه بمحاولة المصريين السيطرة على البحرين واضاف يخاطب المندوب المصري قائلا :

« اما العجم ، فانهم ارادوا ان اكون من تبعيتهم وكاتبوني ، وانا في السابق كنت متوقفا معكم خوفا منكم لأننا قد سمعنا عنكم « ان تفعلوا » بالرعاية « أمور » عظيمة . وحيث من مدة توجهك من عندنا سابق لغاية تاريخه صرنا نبحث عن افعالكم مع غيرنا فلم « نرى » انه وقع مما « يذكرونه » الناس شيئا وحينئذ تركت الخوف منكم . وبهذا السبب لم « حصل » بيني وبين العجم اتفاق ، ولا اعطيتهم جواب . وأما الانكليز فأنهم لما علموا انكم تريدونا نتبعكم فصار منهم ما صار من تعدد جواباتهم الينا وترددهم لطرفنا . وفي كلامهم الاشارة بأنهم يريدونا ننتسب اليهم ، ولكن علمنا انهم لا يحمونا منكم وبسبب معاملتكم لغيرنا بالانصاف رأينا ان تبعيتنا لكم مأمونة العاقبة ولا سيما ان العجم على مذهب الروافض ، والانكليز على غير الملة الاسلامية فحينئذ يجب علينا اتباع سعادة افندينا خورشيد ، غير اني اريد منه الرفق معنا .. »[٢٠] .

وعندئذ ابرز محمد افندي رفعت للشيخ عبدالله بن احمد امرا محررا من خورشيد باشا اليه ، فاطمأن شيخ البحرين لذلك ولكي يزداد اطمئنانه طلب اعطاءه ورقة أمان بختمه فاجيب الى طلبه ومنح الأمان التالي :

« من خورشيد باشا سر عسكر نجد الى الجناب المكرم عبدالله بن احمد آل خليفة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد الذي نعرفك به اننا اعطيناك أمان من طرفنا ، امان الله وامان افندينا محمد علي باشا اموالك وحلالك « ورعياتك » وان البحرين في يدك او وكيلا الذي « تحطه » من طرفك على الاتفاق والعهد الذي يصير بينك وبين محمد افندي معاوننا ووكيلنا ، ومن حيث انه « وكيلا مفوضا » من طرفنا في ربط الأمر معك كما اتفقت انت وهو عليه وعاهدته عليه فهو « ماشي » عندنا وعلى هذا عهد الله وميثاقه والله على ما نقول وكيل »[٢١] .

وعقب تسلم شيخ البحرين لهذا « الأمان » تم التوقيع على الاتفاق بين الطرفين وابرز شروطه ما يلي :[٢٢] .

١ ـ يلتزم الشيخ عبدالله بن احمد باخراج عرب الهواجر والعماير المقيمين بالقطيف بسبب قيامهم بالاعتداء على اهلها ، ويكلف ولده مبارك بالاستيلاء على كل ما وقع في ايديهم ، ويلتزم بعدم السماح لاى من عرب العماير الذين لجأوا الى سلطنة مسقط على أثر هدم قوات محمد علي لقلعتهم بالقطيف ، بالعودة الا بعد الحصول على موافقة من السلطات المصرية التي حصلت بمقتضى هذا الالتزام على تأييد ومؤازرة شيخ البحرين في تصفية القوى المحلية المناوئة في منطقة الاحساء .

٢ ـ يحق لشيخ البحرين فرض الرسوم على سفن الغوص العاملة في البحرين ، ولا يحق له فرض تلك الرسوم على السفن العاملة في القطيف ، ويبدو ان السلطات

المصرية كانت تهدف من وراء ذلك انهاء اى صفة من صفات التبعية التي كان يمارسها شيخ البحرين على منطقة الاحساء .

٣ ـ يعترف شيخ البحرين بأن اهل قطر من البدو والحضر رعايا لخورشيد باشا ، ومن ثم يلتزم هؤلاء بدفع الزكاة للسلطات المصرية على كل ما لديهم من ماشية او قطيع مما يشير الى اعتراف صريح من جانب شيخ البحرين بتبعية قطر المباشرة للسلطات المصرية .

٤ ـ يوافق شيخ البحرين على اقامة وكيل معتمد من قبل خورشيد باشا في البحرين يشرف على المصالح المصرية هناك ، وان كان قد طلب ارجاء ذلك بعض الوقت لتمهيد الأمر امام المواطنين هناك . ويبدو ان مندوب خورشيد باشا في المباحثات كان يهدف من وراء ذلك الى ايجاد نوع من الاشراف المصري على شؤون البحرين ضمانا لتنفيذ شروط الاتفاق الموقع بينهما ، ومنعا لنجاح الضغوط التي كان يتعرض لها شيخ البحرين من قبل القوى الخارجية المحلية منها او الاجنبية .

٥ ـ يلتزم شيخ البحرين بتقديم المساعدات لخورشيد باشا « من السفن والرجال » الى اى جهة من مناطق الخليج العربي ما عدا الكويت . وفي هذا دليل على رغبته في ضم هذه المناطق كما ضم الشام والحجاز . كما يضمن خورشيد باشا بهذا الالتزام المساعدات اللازمة التي تكفل لقواته حرية الحركة لتنفيذ مهامها في المنطقة في وقت فقدت فيه تلك القوات الأمل في وصول اية سفن مصرية الى منطقة الخليج نتيجة للضغوط التي تعرضت لها السلطات الحاكمة في القاهرة من قبل الانكليز .

٦ ـ يلتزم شيخ البحرين بتسليم اى من الرعايا التابعين لمحمد علي الفارين اليه . وقد ضمن المندوب المصري بذلك الالتزام ، عدم خروج زعماء العشائر على حكومة محمد علي ، حيث كان هؤلاء يجدون في السابق من شيخ البحرين الأمان والاستقرار .

٧ ـ يتعهد شيخ البحرين بتسليم السلطات المصرية زكاة سنوية مقدارها ثلاثة آلاف ريال وهو المبلغ الذي كان يدفعه من قبل لآل سعود مما يشير الى نوع العلاقة التي ربطت البحرين بحكومة مصر بمقتضى هذا الاتفاق .

بعث الشيخ عبدالله بن احمد برسالة الى خورشيد باشا بعد توقيع الاتفاق المصري ـ البحريني ، اكد فيها اهمية الاتفاق على مستقبل التعاون بين مصر والبحرين قائلا :

« .... فقد صار الصلح بيننا وبينكم على يد محمد افندي... على ان « نحن » نعادي من عاداكم ، ونوالي من والاكم ، وانتم كذلك ونؤدي لجنابكم الزكاة .. وصار حالنا معكم حال واحد ان شاء الله تعالى « ما تشوفون » منا الا ما يسر خاطركم ، بحول الله وقوته وانت سالم والسلام »(٢٣) .

ان رفض شيخ البحرين الخضوع لاى من الفرس او الانكليز ، يدل على ادراكه للاهمية القومية والاستراتيجية لبلاده ضمن مشروع مصر الوحدوي في المنطقة . كما انه رد على بعض شيوخ الساحل الذين انتقدوه على اتفاقه مع خورشيد باشا وحذروه من احتمال تدخل بريطانيا ضد البحرين قائلا : « ان انسب حكومة لنا هي الحكومة المصرية »(٢٤) .

- ٧ -

كان المسئولون البريطانيون في منطقة الخليج العربي والعراق ومصر على اتصال دائم برؤسائهم في كل من بومباى ولندن ، يطلعونهم على اخبار تحركات القوات المصرية . وكان اخشى ما يخشونه هو نجاح هذه القوات في الوصول الى منطقة الخليج العربي بعد ان نجحت في التمركز على شواطىء البحر الاحمر وبلاد الشام مما قد يؤدي الى تمزيق شمل الدولة العثمانية من جهة ، وتهديد النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي المؤدية الى الهند من جهة اخرى(٢٥) .

لذلك كانت التقارير السرية البريطانية بين بومباى وبغداد والقاهرة ولندن تدور حول ضرورة الاسراع في التحرك . وقد اتخذ هذا التحرك سبلا شتى منها :

١ - ارسال القوات البريطانية اللازمة الى جزيرة خارج التي تقع عند مدخل الخليج العربي من جهته الشمالية وذلك لمنع تدفق القوات المصرية باتجاه البصرة(٢٦) .

٢ - ارسال بعض القوات الى عدن كاجراء وقائي تمهيدا لاحتلالها وسد الطريق امام اى تحرك تقوم به القوات المصرية في البحر الاحمر بهدف ايجاد جسر من المؤن والامدادات العسكرية(٢٧) .

٣ - الاتصال بشيخ البحرين والضغط عليه باتجاه الوقوف ضد المصالح المصرية(٢٨) .

٤ - اصدار الأوامر الى قطع الاسطول البريطاني في المياه الهندية بالتحرك صوب منطقة الخليج ، كنوع من عرض القوة امام القوات المصرية بهدف اخافتها او تقليص نشاطها(٢٩) .

٥ - تكليف المقيم العام البريطاني في الخليج العربي الكابتن هنيل HENNELL بتقديم تقرير مفصل عن امارات الخليج وقوتها البحرية حتى يمكن لبريطانيا التعرف على ذلك تمهيدا لفرض سيطرتها عليها(٣٠) .

٦ - الاسراع في العمل على ارسال ثلاث بواخر مسلحة الى العراق من جهة البصرة وذلك لحماية المصالح البريطانية هناك(٣١) .

عملت الحكومة البريطانية على رصد النشاط المصري في منطقة الخليج العربي . وبدأت تساورها المخاوف على مصالحها : وقد تجلت تلك المخاوف في تقرير ارسله بونسنبي ponsonby السفير البريطاني في استانبول الى بالمرستون palmerston وزير الخارجية البريطانية في ٣٠ تشرين الاول ١٨٣٧ جاء فيه ان تقدم القوات المصرية يسهل لمحمد علي باشا تحقيق حلمه في نهري دجلة والفرات والخليج العربي ، مما يؤثر على المصالح البريطانية في الهند تأثيرا مباشرا(٣٢) .

وبعد ايام قليلة من وصول هذا التقرير الى وزارة الخارجية البريطانية علم بالمرستون من رسالة بعث بها الكولونيل باتريك كامبل campbell القنصل البريطاني العام في مصر ، ان ابراهيم باشا غادر القاهرة الى الشام في ٢٥ تشرين الاول ١٨٣٧ وانه تحدث قبل سفره حديثا مستفيضا ادرك بالمرستون من ورائه ان محمد علي يحاول مد سلطانه نحو الخليج العربي . وقد اتصل القنصل العام بالسلطات المصرية وحذرها من نتائج مهاجمة البحرين . الا ان محمد علي باشا

نفى ان تكون له نوايا تعارض المصالح البريطانية في الخليج[٣٣] .

وفي ٢٩ تشرين الاول ١٨٣٧ تلقى بالمرستون تقريرا آخر من اللفتنانت كولونيل تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد ، جاء فيه ان ثمة اخبارا تشير الى تقدم القوات المصرية نحو منطقتي الاحساء والقطيف بهدف السيطرة على البحرين . وقد اقترح تايلور على حكومته التحقق من صحة تلك الاخبار من محمد علي نفسه ، والعمل على الحيلولة بين المصريين والخليج وذلك باعانة الباب العالي على اثبات حقوقه في البحرين[٣٤] .

ثم لم يلبث بالمرستون ان تلقى تقريرا من اللفتنانت لينج lynch من بغداد في الاول من كانون الاول ١٨٣٧ ذكر فيه ان القوات المصرية تتقدم الان باتجاه الاحساء . ودعا لينج حكومته الى سرعة التحرك ضمانا للمصالح البريطانية في المنطقة[٣٥] . لذلك كله بعث بالمرستون بتعليماته الى « كامبل » في ٨ كانون الاول ١٨٣٧ بأن يتصل بمحمد علي باشا ويبلغه بطريقة ودية ولكن في لهجة حازمة رد فعل الحكومة البريطانية . ومما جاء في التعليمات :

« إني اكلفك بأن تخبر باشا مصر .. بأن حكومة جلالة الملكة تلقت تقارير عن تحركات جيوش في سورية والجزيرة العربية تدل على انه ينوي مد سلطته الى الخليج العربي وولاية بغداد . اعلم الباشا ان الحكومة البريطانية لن تقف من تنفيذ هذه المشاريع مكتوفة الايدي »[٣٦] .

ثم تكرر هذا التحذير ، حين بعث بالمرستون في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٣٨ بتعليماته الى « كامبل » بأن يبلغ محمد علي باشا ان نيته في امتلاك البحرين لا يمكن النظر اليها دون مبالاة من جانب الحكومة البريطانية نظرا لما قد يترتب على ذلك من تهديد لمواصلات الانكليز مع الهند[٣٧] .

لم يكترث محمد علي باشا كثيرا لتحذيرات الانكليز ، واستمر في سياسته . لكنه ذكر الحكومة البريطانية بأن البحرين كانت لسنين عديدة تابعة للسعوديين ، لذلك ينبغي جعلها تحت الحكم المصر[٣٨] .

عندئذ وجهت حكومة الهند في نيسان ١٨٣٩ القائد العام لاساطيل بريطانيا في الشرق « الاميرال فردريك ميتلاند » Maitland الى منطقة الخليج العربي وفوضته « استخدام كل امكاناته وبقوة » لمنع القوات المصرية من التقدم باتجاه البحرين وقد وصل ميتلاند بصحبة الكابتن ادموندز مساعد المقيم السياسي في الوقت الذي سيطرت فيه القوات المصرية على القطيف والعقير ، وقد كان يحمل تعليمات تنص على ان يقدم لشيخ البحرين ، في حالة اصرار القوات المصرية على تنفيذ مخططاتها ، كل معونة تمكنه من المقاومة . الا انه وجد بأن شيخ البحرين كان مستعدا للاعتراف بالسيادة المصرية . لذلك رأى ان من الحكمة عدم القيام بأى عمل عسكري وطلب من « هنيل » العمل على وقف النشاط المصري بالطرق الدبلوماسية . كما اصدر الحاكم العام البريطاني في الهند اوامره الى المسؤولين في بومباى بأن يقدم « هنيل » احتجاجا لقائد القوات المصرية بشأن خططه ضد البحرين وبابلاغه ان عمله هذا يتناقض مع روح التفاهم القائم بين الحكومتين المصرية والبريطانية وقد يؤدي ذلك الى اضطراب العلاقات بينهما . وحين حاول القائد المصري خورشيد باشا ان يجس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة القوات المصرية لنشاطها العسكري ، رد عليه « هنيل » طالبا منه عدم

اتخاذ اى اجراء عسكري ضد البحرين قبل توجيه انذار الى رعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف للخروج منها[٣٩] .

طلبت حكومة الهند من « هنيل » تقديم تقرير يتناول فيه بتفصيل كبير الامكانات العسكرية لمختلف القوى البحرية في الخليج . وكذلك موقف الشيوخ والحكام في المنطقة . وقد كتب هنيل تقريره في ٧ أيار ١٨٣٩ وفيه يتحدث عن شيخ البحرين فيقول :

« ان وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحا في حالة استغلالها استغلالا كاملا . فوضع امارته التي تكتنفها المياه ، الى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية ، بما فيها القوات الحربية من الطراز الاول ، كلها اعتبارات في صفه . كما ان المقاتلين الذين يقفون الى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط . ويمكنه كذلك ان يجمع ثلاثة آلاف رجل من ارض العتوب في البر . وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء[٤٠] .

ثم أشار هنيل في تقريره الى مواطن الضعف في وضع شيخ البحرين وخاصة فيما يتعلق بوجود قوى داخلية مناوئة له قد تتعاطف مع اية عملية غزو للبحرين من الخارج[٤١] . واضاف يقول :

« لو استطاع خورشيد ان يضمن لنفسه موقعا صغيرا على جزيرة البحرين ، مع استمرار مواصلاته مع الاحساء ، فان العتوب سيخضعون لقواته النظامية العسكرية . ولكن ولما كان الشيخ متفوقا من الناحية البحرية ، فأن اى هجوم على الجزر .. يعد عملا خطيرا في جراته . وكان احتمال ان تقوم به القوات المصرية احتمالا ضئيلا .. ويمكن القضاء على هذا التفوق البحري ... اذا وصلت الى الميدان سفن حربية من مصر ... »[٤٢] .

علمت الحكومة البريطانية بالاتفاق المصري ـ البحريني حين بعث خورشيد باشا نفسه برسالة الى هنيل يبلغه فيه بنبأ الاتفاق[٤٣] . كما اخبر محمد افندي رفعت شخصيا المقيم البريطاني في جزيرة خارج بالاتفاق مما اضطر هنيل الى ايفاد مبعوث الى شيخ البحرين للتأكد من صحة تلك الاخبار فلما تحقق من صدقها فوجىء خورشيد بانذار بريطاني يصله من هنيل في ٢٧ أيار ١٨٣٩ يحتج فيه على تصرفاته ويحذره من عاقبة الاستمرار في عملياته العسكرية في منطقة الخليج العربي[٤٤] . ومما جاء في الانذار :

« امرتني حكومتي ان تنذركم في صدد تسخيركم للبحرين ، وان نخبركم بصريح العبارة ان صدور هذه الحركات من جنابكم يخالف صريحة ما تقرر بين جناب حاكم الهند وسعادة محمد علي باشا . فاذا لم تقبلوا انذار وكلاء دولة بريطانيا العظمى فأن ذلك يؤدي الى حدوث الخلاف والخلل في العلاقات بين الدولتين ولكنا على يقين انه عند اطلاعكم على ما طلبه جناب الحاكم الافخم سترون صلاح حالكم في الكف عن عزمكم على تسخير البحرين وغيرها »[٤٥] .

قدم مبعوث هنيل الى قطر لمقابلة الشيخ عبدالله بن احمد وسلمه رسالة من المقيم البريطاني العام تبلغه ان السلطات البريطانية علمت « .... بأنك تعاهدت واتفقت مع محمد افندي معاون سعادة سر عسكر نجد بطريق الوكالة عن المشار اليه ان الصديق واحد والعدو واحد وانك تؤدي زكاة البحرين كل سنة شيء معلوم ، وهذا خلاف الكلام الذي بينك وبين حضرة سركار

الانكليز من مدة سنين مضت... »[٤٦] .

لقد استندت الحكومة البريطانية في احتجاجها على ركنين أساسيين : اولهما يتعلق بعدم مشروعية ذلك الاتفاق لانه مخالف لوعود سبق لمحمد علي باشا ان قدمها للحكومة البريطانية والقائمة على عدم قيامه بحركات عسكرية « بطوارف بنادر بر العرب المتصلة » بالخليج العربي . وثانيهما مخالفة الاتفاق لمعاهدة ١٨٢٤ التي سبق ان عقدتها الحكومة البريطانية مع شيخ البحرين[٤٧] .

لم يقتصر الأمر على مجرد الاحتجاج ، وانما قام هنيل بنفسه بزيارة البحرين ، حيث جرت مناقشات حادة بينه وبين الشيخ عبدالله بن احمد . وقد حفلت المقابلة بالكثير من التهديد والترغيب معا . وفي المقابلة حاول هنيل ان يثني شيخ البحرين عن مشروع اتفاقه هذا وتساءل عن السبب الذي دفعه الى الدخول في طاعة خورشيد باشا . فأخبره الشيخ « ... ان هؤلاء الناس ملكوا بر العجم ، وصار في حكومتهم وانا لا استغنى عن هذا البر . وثانيا ارى عندهم قوة شديدة وليس لي مقدرة على عداوتهم وغير ذلك اني تأملت فوجدت البلاد « الذي » حكموها ما حصل منهم شيء قصر واثم « و » لم يحصل لي منكم مساعدة فوافقتهم على ذلك ، وان صرتم « اثم » اصدقاء فأنا « تابعا » لهم « وصديقا » لكم وان صار بينكم وبينهم عداوة فأنتم وهم ملوك... »[٤٨] .

عرض هنيل على شيخ البحرين تقديم الحماية له ، وابلغه انه « ... ان كان يوجد خوف فانه سيأتي بخمسين « جنديا » يجعلهم يقيمون في قلعة البحرين ، ويضع سفينتين امام الجزيرة للمحافظة عليها ، وانه يعطيه الحماية من طرف الحاكم العام في الهند ، وانه لا يأخذ منه لا زكاة ولا جمركا لمدة خمسة وعشرين عاما ، وان حكومة الجزيرة تبقى على ما هي عليه في يد « آل » خليفة... »[٤٩] . وطلب منه ان يعطيه الاتفاق ليمزقه ، الا ان تلك الوسائل لم تنطل على الشيخ عبدالله، بل جعلته يصر على الاتفاق ويتمسك به[٥٠] ، ومن ثم اخذ يبرر رفضه للعروض البريطانية وتأكيده لعمق الروابط السياسية والاقتصادية للبحرين مع المناطق العربية الاخرى التي دخلت في حوزة الحكم المصري بقوله :

« انني وان كنت قد طلبت منكم فعلا الحماية ولكن ما قلت لكم ان اكون من جملة رعايا الانكليز . وثانيا انما كان طلب الحماية من خوفي من عساكر محمد علي باشا . اما اليوم فقد تصالحنا وربطنا الصلح بشروط . واننا منذ القديم «مشتركين» مع اهل نجد جيراننا في التجارة ، فلا يمكن ان نفترق عن مالنا وملكنا »[٥١] .

عندئذ ادرك هنيل فشل وسائل الترغيب ، فعمد الى استخدام اسلوب التهديد ، عندما قال للشيخ عبدالله بأنه سينقل ما دار في المقابلة الى الحاكم العام في الهند ، غير ان هذا التهديد لم يفت في عضد الشيخ الذي اكد ايمانه بقدرته على الصمود قائلا :

« ... ان البحرين ملكنا ، ورثناه عن اجدادنا وليس بيننا شروط لأن نكون رعية للانكليز . ولم اظهر اى سبب لذلك غير الصداقة وليس للانكليز ان يتعدوا علينا . فاذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتدارا فأننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا واهلنا وعيالنا وديننا وليحصل بعد ذلك ما يحصل »[٥٢] .

لقد كان شيخ البحرين، ازاء ذلك مضطرا الى تأييد مركزه فعمد الى انتهاج سياسة

اخذت وضع البحرين وطبيعة الضغوط التي كانت تتعرض لها بنظر الاعتبار . وتقوم هذه السياسة على اساس المرونة . فمن جهة طلب من محمد علي باشا ان يرسل الحماية المطلوبة ، ومن جهة اخرى تعهد بأن لا يضع نفسه ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه قوات محمد علي باشا ذلك(٥٣) .

غادر هنيل البحرين اثر فشل محادثاته بعد ان سلم شيخها احتجاجا على الاتفاق المصري ـ البحريني . وبعث باحتجاج مماثل الى خورشيد باشا الا ان خورشيد باشا كان يؤكد باستمرار ، بأن المصريين تقدموا باتجاه جزر البحرين كي لا تصبح بؤرة معادية لهم ، وطالما انها كانت تابعة لنجد ، فأنه ليس لاى دولة اخرى حق فيها(٥٤) . وقد ارسل مبعوثه شافعي شيخ بني حجر (شافي شيخ بنى هاجر ـ الوثيقة) الى البحرين فى اعقاب زيارة هنيل لها لمعرفة مدى تمسك شيخ البحرين باتفاقه مع المصريين . وقد كتب المبعوث فى تقريره عن تلك الزيارة يقول :

« ... فواجهناه بالمحل المذكور واقمنا عنده ليلة وامتحناه هل هو باقي على العهد والميثاق الذي صار بيننا وبينه ، وسألناه عما صار من الانكليز... فالذي ظهر لنا منه انه « باق » على العهد والميثاق الذي صدر بيننا وبينه ... » ويبدو ان هنيل نفسه تأكد من قوة ارتباط شيخ البحرين بمصر انذاك فكتب الى رؤسائه بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٨٣٩ يقول ان شيخ البحرين قبل الاتفاق مع المصريين على الرغم من انه لم يتعرض بالفعل لخطر داهم . وعلى الرغم من ضغط السلطات البريطانية عليه لمناوأة المصريين وتقديمها الوعد بتأييده مما ينهض دليلا على انه مهما كانت البواعث التي كان واقعا تحت تأثيرها ، فأنه كان يفضل عن عمد ارتباطه الحالي مع مصر على استقلاله السابق بالتحالف مع الحكومة البريطانية »(٥٥) .

وفي رأى الحاكم العام البريطاني للهند ان شيخ البحرين بسلوكه هذا مع خورشيد باشا اقام سابقة لجيرانه بمساعدته سياسة العنف والفتح التي يسير عليها محمد علي باشا وتفضيله التحالف مع المصريين بدلا من مؤيديه واصدقائه القدامى ، وانه فعل ذلك رغم علمه بالاضرار التي ستلحق بحقوق ومصالح الحكومة البريطانية في الخليج العربي(٥٦) .

لم يعترف هنيل بفشله بل ظل يبرر رفض شيخ البحرين قبول الحماية البريطانية ونقض اتفاقه مع المصريين قائلا : بأن شيخ البحرين ، وقد تقدم به العمر كثيرا ووهنت قواه ، لم يقدر على الصمود ، ومن ثم خضع لمحمد علي تحاشيا للاضطرابات التي كانت تكدر راحته الشخصية . كما ان النجاح السياسي والعسكري الذي احرزته القوات المصرية قد صدم عقله الحاد بطبيعته وجعله يشك في قدرة الانكليز(٥٧) .

الا ان الوثائق المصرية المعاصرة تشير الى خطأ ذلك الاعتقاد وتؤكد بأن شيخ البحرين وافق على وضع بلاده ضمن مشروع محمد علي باشا وجهوده لاقامة دولة عربية موحدة عن ايمان وقناعة كبيرين .. مما يؤكد ذلك موقفه الواضح من الانكليز ورفضه ضغوطهم المستمرة . وقد نقل عنه قوله لمبعوث خورشيد باشا الشيخ شافعي : « شافي » .

« ... ما دمت « في » قيد الحياة فأني لا استسلم للانكليز . وانهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا وسأبذل جميع مالي وقوتي . انني في الثمانين وقد بلغت اخر العمر فلأن نموت جميعا اولى من ان نكون

رعية للكفار وافضل شيء واشرفه ان لا نرى ذلك اليوم... »[٥٨] .

الا ان الحكومة البريطانية ، ادركت ، بعد النجاح الذي احرزه خورشيد باشا في البحرين مدى الاخطار التي تتعرض لها مصالحها في منطقة الخليج العربي كلها . لذلك بدأت بتقويض مشروع محمد علي باشا ووضع حد له . والى شيء من هذا القبيل اشار بالمرستون بقوله ان بريطانيا لا يمكن ان تسلم بوجوده الخطر المصري الداهم » في الخليج العربي ، فهي حامية لاستقلال الدولة العثمانية وسلامة اراضيها وتريد ان تضطلع بأمانة بالمسؤولية المنوطة بها . ولهذا هددت بالدفاع عن الخليج بقوة السلاح حفاظا على الحقوق الشرعية لسيادة السلطان :

« لقد هددنا باستخدام القوة في الاسكندرية للحيلولة دون استقرار مصر على شواطىء الخليج العربي ... ان قضية الخليج ... بالغة الاهمية بالنسبة لنا ... ان هذه القضية مع ذلك تدخل في نطاق السياسة العامة الرامية الى تجريد محمد علي من كل سلطة سياسية خارج اقليمه المصري »[٥٩] .

نجحت بريطانيا في تأليب الدول الكبرى ضد محمد علي باشا اثر اندحار الجيش العثماني في معركة نزيب ١٨٣٩ وتدفق القوات المصرية في طريقها الى استانبول . وكان على محمد علي باشا ان يسحب قواته من الجزيرة العربية ليواجه تحالف الدول الكبرى . فكتب الى قائده خورشيد باشا يقول ردا على تقاريره الحماسية بتقديم الجنود والمؤن والمعدات اليه ، واعطائه الأوامر لمواصلة نشاطه على امتداد سواحل الخليج العربي :

« ان الوقت ليس وقت المصلحة التي اتصورها وأمل فيها ، وان اساس مهمته في الوقت الحاضر ان يهيىء السبيل لسحب قواته تاركا البلاد لخالد بن سعود[٦٠] بشرط ان يترك له عددا من الجند يكفونه ، ثم بعد ذلك يتوجه بقواته الى مصر ويغلق باب المصروفات التي فتحت لمشروعاته »[٦١] .

بدأت القوات المصرية بالانسحاب واضطر خورشيد باشا لان يجعل رده على تحذيرات هنيل مطابقا لتعليمات سيده وان يخبره بأن اتفاقه مع الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ، لم يكن يهدف من ورائه « الا راحة العباد واصلاح البلاد »[٦٢] . وفي الاسبوع الاخير من ايار سنة ١٨٤٠ تلقى هنيل تقريرا من الوكيل البريطاني المقيم في البحرين يشير الى انسحاب القوات المصرية من نجد والاحساء وبذلك لم يعد المسؤولون البريطانيون في الخليج بحاجة الى تنفيذ تعليمات حكومتهم باستخدام القوة ضد القوات المصرية[٦٣] .

## - ٨ -

ثم لم تلبث هزيمة الجيش المصري في بلاد الشام في تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ ان وضعت نهاية لمشروع محمد علي باشا وانتصارات قواته في الجزيرة وجهودها في منطقة الخليج العربي وقد عمد الانكليز بعد ذلك الى تقوية نفوذهم في منطقة الخليج العربي في اعقاب خروج المصريين منه . ولم يتهاونوا في الاصطدام مع اية قوة تحول دون ذلك حتى اذا ما اشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء بدت المنطقة وكأنها بحيرة بريطانية[٦٤] .

حقا لقد ادى النشاط السياسي والعسكري المصري في الخليج العربي ،

والاتفاق الذي تم بين خورشيد باشا والشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ، الى ان تصبح البحرين حلقة مهمة في جهود محمد علي باشا الرامية الى اقامة الدولة العربية القوية الموحدة ، الا ان بريطانيا تصدت لهذا المشروع واحبطته حفاظا على مصالحها في هذه المنطقة الحيوية من العالم . ولم تغفر للشيخ عبدالله تعاونه مع المصريين وتخليه عن صداقة الانكليز وعدته بتصرفه هذا غير مخلص لها . وناقش المسؤولون البريطانيون في منطقة الخليج امكانية التخلص منه واستبداله بشيخ آخر قد يكون اكثر استعدادا للتفاهم معهم . وجاءت الفرصة سنة ١٨٤٣ حين سمحت لمنافسه الشيخ محمد بن خليفة بالانقضاض على السلطة وطرد الشيخ عبدالله من البحرين عقابا له على مواقفه من الحكم المصري[٦٥] .

# الهوامش والتعليقات

١ ـ نزار عبد اللطيف ( نظرة على التوجه القومي في السياسة المصرية بين ١٨٠٥ و ١٩٥٢ ) ملحق جريدة الثورة ، بغداد ، ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٨ ، ص٦ .
٢ ـ تعرضت البحرين خلال هذه الفترة لخطر الاستيلاء عليها من قبل بعض القوى المحلية « السعوديون وسلطان مسقط » والاجنبية « فارس والدولة العثمانية وبريطانيا » للتفاصيل انظر : جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ ـ ١٨٦١ ، ( القاهرة ، ١٩٦٨ ) ، ص١٧٢ .
٣ ـ محمد الرميحي ، البحرين ، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي ( بيروت ،١٩٧٦ ) ص١١ .
٤ ـ ثمة محركات اخرى اثرت في تاريخ البحرين منها الصراع القبلي التقليدي ومحاولات القوى الخارجية احتلال البحرين . انظر الرميحي ، المصدر السابق ، ص١١ ، ١٣ وكذلك احمد محمود صبحي ، البحرين ودعوى ايران ، ( الاسكندرية ، ١٩٦٣ ) ص١١ ـ ١٢ .
٥ ـ بدر الدين عباس الخصوصي ( محمد علي والخليج العربي ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ دراسة موثقة ) مجلة كلية الاداب والتربية ، جامعة الكويت ، العدد « ٥ » ، حزيران ١٩٧٤ ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ .
٦ ـ عبد العزيز سليمان نوار ( مصر والخليج العربي في القرن التاسع عشر ) مجلة الهلال القاهرة ، اول نوفمبر تشرين الثاني ١٩٦٤ ، السنة « ٧٢ » العدد « ١١ » ، ص ١٦٥ .
٧ ـ من خورشيد باشا الى صاحب الدولة : ٢٩ رمضان ١٢٥٥ هـ ٢٧ شباط ١٨٢٩ ، محفظة ٢٦٧ عابدين وثيقة ٤٠ ، « اصلية » ١٠ حمراء ، كما وردت في عبد العزيز سليمان نوار تاريخ العراق الحديث ، ( القاهرة ، ١٩٦٨ ) ، ص ٢١٦ .
٨ ـ صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ( القاهرة ، ١٩٧٤ ) ،ص٥٦ .
٩ ـ مصطفى ابو حاكمه ، محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، ( القاهرة ،١٩٦٨ ) ، ص ٤٣ . وقد قدرت قيمة لآلىء البحرين بحوالي ٣٥٠ الف ريال هذا بالاضافة الى التمور . وسبائك الذهب وبعض المواد الاخرى التي تقدر صادرات البحرين منها بحوالي ٨٠٠ الف ريال سنويا . انظر: J.B. Kelly "Mehemet Ali's Expedition to the (Persian) Gulf, 1837-1840" Middle Eastern studies, July-Oct., 1965 P. 32. quoted in lev

الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم ١١٨ ص١٢٧
١٠ ـ العقاد ، المصدر السابق ، ص٥٦ ، الرميحي ، المصدر السابق ، ص١١ .
١١ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٢ .
١٢ ـ حرمت معاهدة ١٨٢٠ الامارات الموقعة عليها من القيام باعمال القرصنة وتجارة الرقيق والزمت الموقعين عليها بأن يرفعوا اعلاما خاصة بهم على سفنهم بشرط ان تقدم تلك السفن ما يثبت جنسيتها كلما طلبت منها سفينة بريطانية ذلك . وقد اعترفت تلك المعاهدة باستقلال الامارات الا انها احتفظت بحق بريطانيا في التدخل العسكري والسياسي في شؤونها . انظر نص المعاهدة في :
J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, vol,1; (New York, 1963), pp. 88-90.

١٣ ـ جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد ، ص١٧٧ .
١٤ ـ نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص١٦٢ .
١٥ ـ جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي : دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، ( القاهرة ١٩٦٦ ) ص٦٥ .
١٦ ـ ذكر « هنيل » بان قوة خورشيد باشا تكمن في مدفعيته وقواته النظامية والتي يصعب تحديد عددها الحقيقي . ومع هذا يعتقد انها تشمل فرسانه ومشاته غير النظاميين الذين لا يزيدون عن « ٣٥٠٠ » فضلا عن التعزيزات التي يتوقع حصوله عليها والتي يقدر عددها بـ « ١٠٠٠ » فارس و « ٢٠٠٠ » من المشاة . كما يمكنه الحصول من المنطقة الساحلية على ما بين ٤ آلاف الى ٥ آلاف رجل من البدو . انظر :
Major Hennel to Bombay Government, duted 7th May 1839, Letter No. 42, Correspondence Re (persian) Gulf, Vol. 65-1061 of 1839, Part VI-Chap. XLIX., 377 quoted in
الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم « ٨٨ » ص١٢٦ .

١٧ ـ نوار ، المصدر السابق ، ص٢١٣ ، الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٣ .
١٨ ـ نوار ، المصدر السابق ، ص٢١٨ ، الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٢٤ ، العقاد المصدر السابق ، ص١٣٦ ، صبحي ، المصدر السابق ، ص١١١ .
١٩ ـ يبدو ان الدوائر السياسية البريطانية كانت تروج ، في منطقة الخليج العربي ، اشاعات ضد التحركات المصرية الامر الذي ادى الى انتشار الذعر بين بعض القبائل في المنطقة .
انظر الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم « ١٣٣ » ص ١٢٨ وكذلك ص ١٠٧ .
٢٠ ـ للتفاصيل انظر : محفظة ٢٦٧ عابدين ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ ، البند الرابع ، كما وردت في :الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٩ ـ ١١٠ .
٢١ ـ المصدر نفسه ، هامش رقم ١٠٨ ، ص١٢٦ .
٢٢ ـ اعتمد « الخصوصي » في الصفحات « ١١٠ ـ ١١١ » من بحثه انف الذكر على التقرير الذي رفعه المندوب المصري محمد افندي رفعت الى خورشيد باشا حول الاتفاق المصري/ البحريني نظرا لانه المصدر الوحيد الذي يغطي جوانب الموضوع . اذ ان أكثر من مؤرخ اكد غياب النص الرسمي والحرفي للاتفاق . انظر:جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد ، ص١٧٩ ـ ١٨٠ ، العقاد ، المصدر السابق ، ص١٣٦ ، البطرين ، المصدر السابق ، ص٥٣ وقد اشار جون كوردن لوريمر ، على الصفحة « ١٣٠٨ » من كتابه ، دليل الخليج ، ج٣ ، ( الدوحة ١٩٧٥ ) الى ان من بنود الاتفاق اعتراف شيخ البحرين بسيادة المصريين وتعهده بان يدفع لهم جزية سنوية مقدارها « ٢٠٠٠ » روبية شريطة ان تبقى السلطة الداخلية كلها في يديه ، والا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم في البحرين .
٢٣ ـ من عبدالله بن احمد آل خليفة الى خورشيد باشا في ٢٣ صفر ١٩٥٥ ٧ مايو ١٨٣٩ ، محفظة ٢٦٧ عابدين ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء . كما وردت في الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١١٠ .
٢٤ ـ نقل ذلك احد القناصل الانكليز بقوله :
"no such thing, the Egyptian Government is the best for us"

انظر : نوار « مصر والخليج العربي » ص١٦٥ وكذلك كتابه : تاريخ العراق الحديث ص٢٢١
٢٥ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .
٢٦ ـ جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ،ص٦٥ .
٢٧ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .
٢٨ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .
٢٩ ـ المصدر نفسه ، ص١٠٨ .
٣٠ ـ للتفاصيل ، انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ .
٣١ ـ تفاصيل انظر : نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٢١٨ ـ ٢١٩ .
٣٢ ـ البطريق ، المصدر السابق ، ص٥٧ ـ ٥٨ .
٣٣ ـ المصدر نفسه ،ص ٥٨ .
٣٤ ـ نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص٢١٠ .
٣٥ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .
٣٦ ـ جوزف حجار ، اوربا ومصير الشرق العربي ، حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية ، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة ، ( بيروت ، ١٩٧٦ ) ،ص١١١ .
٣٧ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١٠٧ .
٣٨ ـ المصدر نفسه ، ص١٠٧ .
٣٩ ـ المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦ . انظر كذلك جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، ص٦٧ .
٤٠ ـ المصدر نفسه ، ج٣ ،ص ١٣٠٦ .
٤١ ـ تتمثل القوى المعارضة بعداء « عيسى بن طريف » احد اتباع الشيخ عبدالله ، وممن خرج على طاعته واصبح فيما بعد من اعوان خورشيد ، هذا الى جانب انشقاق عشائر البوعلي ووجود بعض المعارضين لهم من سكان البلاد : انظر : « الخصوصي » ، المصدر السابق هامش رقم ١٣٨ ، ص ١٢٨ .
٤٢ ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ،ص ١٣٠٦ .
٤٣ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١١١ .

٤٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١١١ .

٤٥ ـ من الكابتن هنيل الى خورشيد ، ملحق بالوثيقة ٣٧ محفظة ٤٦٧ عابدين ، ٢٧ اغسطس ، أب ، دار الوثائق المصرية ، كما وردت في البطريق ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

٤٦ ـ محفظة ٢٦٧ ، عابدين ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء ، من طرف محمد علي كما وردت في الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

٤٧ ـ جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد ، ص١٨٠ .

٤٨ ـ محفظة ٢٦٧ عابدين ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء ، من طرف محمد علي كما وردت في الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

٤٩ ـ المصدر نفسه ، ص ١١١ .

٥٠ ـ ينقل عن « هنيل » قوله بان هناك عوامل كثيرة وراء توقيع الشيخ عبدالله للاتفاق مع خورشيد باشا ، منها فقدانه الأمل في الحصول على مساعدة الانكليز وتعرضه للضغوط القوية من قبل خورشيد ، ووجد مناوئين له في الداخل غير مستعدين للحرب الى جانبه . ويضيف هنيل الى ذلك قوله بان اهم ما كان يخشاه شيخ البحرين هو قيام خورشيد باشا بشن هجومه على بلاده بالسفن الصغيرة التي قد يحصل عليها من سكان المناطق التي خضعت له على ساحل الاحساء المواجه للبحرين . اذ بامكان تلك السفن اقتحام البحرين من عدة اماكن لكثرة المخاضات التي تسهل مهمتها في الوقت الذي يصعب على السفن الحربية الكبيرة ( مثل سفن الاسطول البريطاني ) تقديم مساعدتها للبحرين في صد مثل هذا الهجوم مما يقلل من اهمية الاجراء الذي قامت به حكومة الهند للدفاع عن جزر البحرين انظر :
Hennell's Report about his visit to Bahrain ... 4th July 1839 ... Saldanha, Vol. 65-1061 of 1839, P. 488, part VI-Chap. XLIV

كما ورد في الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم ١٣٨ ص١٢٨ .

٥١ ـ رسالة من خورشيد باشا الى الباشمعاون الخديوي في ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ ، وثائق عابدين ، محفظة رقم ٢٦٧ وثيقة رقم ٣٩ اصلية ، ٦حمراء ، كما وردت في جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد ، ص١٨٠ ـ ١٨١ .

٥٢ ـ المصدر نفسه ، ص١٨١ .

٥٣ ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٣٠٩ وكذلك جمال زكريا قاسم ، دولة بوسعيد ص ١٨١ .

٥٤ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم ١١٨ ، ص١٢٧ .

٥٥ ـ محفظة ٢٦٧ عابدين ، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٣٧ حمراء من طرف محمد افندي كما وردت في الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم ١٢٤ ، ص ١٢٧ .

٥٦ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

٥٧ ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٣٠٩ .

٥٨ ـ رسالة من خورشيد الى الباشمعاون الخديوي في ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ ، وثائق عابدين محفظة رقم ٢٦٧ كما وردت في الخصوصي ، المصدر السابق ، هامش رقم ١٣٢ ص١٢٨ .

٥٩ ـ حجارة المصدر السابق ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

٦٠ ـ كان خالد بن سعود من الأمراء الذين قبض عليهم ابراهيم باشا عند سقوط الدرعية وقد عاش في مصر فترة من الزمن ، ثم ارسله محمد علي بصحبة خورشيد باشا الى الحجاز ليكون اميرا على الرياض ، انظر : جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي ، هامش ص ٦٨ .

٦١ ـ من محمد علي الى خورشيد في ١٩ رمضان ١٢٥٥ هـ ، وثائق عابدين ، محفظة رقم ٢٦٧ كما وردت في البطريق ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

٦٢ ـ البطريق ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

٦٣ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص١١٨ .

٦٤ ـ المصدر نفسه ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

٦٥ ـ انظر : لوريمر ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٣١٠ ـ ١٣١١ وكذلك : الرميحي المصدر السابق ، ص ٢٢ .

# وصف البحرين

# لأحمد بن ماجد

# ١٤٩٠م

بقلم : البروفيسور بول كونيتش - المانيا الغربية

**في حقل الأدب العربي الواسع نال اثنان من المؤلفين شهرة «كملاحى المحيط الهندى» وهما احمد بن ماجد وسليمان المهرى [1] وتعود مؤلفات أولهما لفترة ما بين سنة ١٤٦٢م وبعد سنة ١٥٠٠م بقليل بينما تبدأ كتابات الثاني في سنة ١٥١١م ويفترض أنه توفى قبل سنة ١٥٥٣م.**

وقد خلف الاثنان عددا كبيرا من المؤلفات - سواء كانت نثرا أو شعرا - حول نظرية وفن الملاحة في كل من البحر الاحمر وسواحل الجزيرة العربية وافريقيا الشرقية والهند وجزر الهند الشرقية وعبر المحيط الهندى.. ومما تجدر الاشارة اليه انه رغم وفرة وصفهما الجغرافي والبحري فانه لا توجد اية تفاصيل عن الخليج [2].

وفي هذا البحث نتناول أحد مؤلفات ابن ماجد بصفة خاصة.

وقد كان ابن ماجد ملاحا وبحارا من الجيل الثالث عقب جده وأبيه [3]. ويبدو أن موطنه كان الساحل الشمالى لعمان مع أن اسرته نشأت في وسط الجزيرة العربية مما يفسر كنيته «النجدى» وذاع صيته ليس كملاح محنك فقط بل ككاتب كثير الانتاج

ايضا. وقد بقي من مؤلفاته الى اليوم اربعون مؤلفا جميعها بالشعر وغالبيتها من وزن الرجز الا كتابا بالنثر يحمل عنوان «كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد».

ويحتوي كتاب الفوائد في طبعته العربية على حوالى ٤٠٠ صفحة ويعالج موضوع الملاحة في المحيط الهندي والسواحل المجاورة من كافة الجوانب. وكان ابن ماجد نفسه فخورا بهذا الكتاب الذي اعتبره كتابا رائعا وفريدا في نوعه. وفي الحقيقة فان المؤلف يعكس في كتابه أحسن ما حصله من خبرات عملية اكتسبها عبر عدة عقود كقائد بحري اثناء رحلاته في المحيط الهندي. كما يستعرض الكاتب معلوماته الباهرة عندما ينقل عن عدد كبير من الكتاب القدامى الذين كتبوا في الجغرافيا والملاحة والفلك [٤] . وفي نفس الوقت يشعر القارىء اثناء مطالعته ان احمد بن ماجد كان رجلا ذا مهارة في الملاحة العملية اكثر من مهارته ككاتب ذي قدرة على الانشاء فتقسيم الموضوعات في الكتاب مرتبك الى حد ما كما أن أسلوب الكتابة غير فصيح كما أن المراجع التي ينقل عنها والمواد التي يقتبسها منها يشوبها الارتباك.

ويذكر ابن ماجد في شرحه ان الكتاب دون في سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨ م) ـ ٨٩٤ هـ (١٤٨٩م) ويذكر بأن تدوين الكتاب تم في ٨٩٥ هـ (١٤٩٠م) [٥].

والكتاب يوجد حاليا في ثلاثة مخطوطات أحدها في حوزة المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٢٩٢ ومؤرخ في ٩٨٤ هـ (١٥٧٦م) وتشتمل على عدة كتابات لاحمد بن ماجد بالاضافة الى كتاب الفوائد وقد تم اعداده وترتيبه طبق الاصل بباريس في السنوات ١٩٢١ ـ ١٩٢٣م [٦] والمخطوطة الثانية توجد في المكتبة الظاهرية بدمشق ومؤرخه في ١٠٠١ هـ (١٥٩٣م) وهاتان المخطوطتان كاملتان واستخدمهما جي.آر. تبيتس في سنة ١٩٧١ م في طبع ترجمة انجليزية لكتاب (الفوائد) [٧].. اما المخطوطة الثالثة فتوجد بالبحرين وهى ملك شخصي وهى احدث المخطوطات الثلاث ومؤرخه في ١٠٩١ هـ (١٦٨١م) مع انها غير كاملة (فالفصول من ٥ الى ٧ ناقصة) ورغم ذلك اعتبرها الكاتب أ. خورى احسن المخطوطات الثلاث. وقد طبع النص العربي كذلك في سنة ١٩٧١م ضمن سلسلة مطبوعات الاكاديمية العربية بدمشق [٨].. ومما يؤسف له ان ترجمة تبيتس جاءت مبنية على مخطوطات باريس ودمشق وظهرت في نفس العام الذي ظهرت فيه الطبعة العربية لخوري دون ان يستفيد من النصوص المنقحة التي وردت فيه. وبسبب النقل الخاطىء للنصوص في المخطوطتين فان الترجمة ليست واضحة ولا يعتمد عليها. والفصل العاشر أو (الفائدة) خصص لوصف الجزر العشر الرئيسية بالمنطقة وهي الجزر التي تهم ملاحي المحيط الهندي وتحتل البحرين المركز الثامن بينها..

وفيما يلي الكلمات التي استخدمها ابن ماجد في ذلك الوصف حسب ترجمتي لها معتمدا في ذلك على النصوص العربية المطبوعة بعد مقارنتها بصورة طبق الاصل من مخطوطة باريس [٩].

**أولا** : قبل معالجة الجزيرة السابعة «زنزيبار» يقول ابن ماجد وهو يذكر البحرين «ان زنزيبار جزيرة غير صحية (جزيرة وخيمة).. قال القدماء في كتاباتهم التاريخية : توجد جزيرتان غير صحيتين احداهما في اعماق الجنوب وهى (زنزيبار) والثانية في اقصى الشمال وهي البحرين وتدعى أوال وخاصة حين تدخل الشمس برج الميزان في دائرة البروج (أى من ٢٣ سبتمبر الى ٢٢ اكتوبر) فتنتشر الحمى والامراض هناك لما يصفر الكباد. يقول

الشاعر حـول هذا المـوضوع فيمـا يتعلق بالبحرين (بوزن الكامل)

**واذ تريع [١٠] من أويل [١١] قيضها**

**ودنـا الشتـاء بهـا فبئس المنـزل**

ويليه الفصل الخـاص بالبحـرين وكتب فيه : «ان الجزيرة الثامنـة من بين الجـزر المذكورة هي البحـرين وتدعى «أوال» [١٢] أيضا وفيها ٣٦٠ قرية ويوجد المـاء العذب فيها في كل مكان. يوجد محل مشوق للغاية فيها اسمه القصاصير حيث يمكن لغواص ان يغطس في الماء المالح ويملأ القربة بالماء العذب، سبحان الله تعالى الذي يقول : «**هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج**» [١٣]

لانه مزيج من الماء المالح من فوق والماء العذب من تحت وعمق الماء المالح يصل الى طول ٣ رجال أو ٣ قامات. ويوجد تحته الماء العذب.. وتوجد حول (البحـرين) مصائـد اللآلىء كما توجد المصائد في عدة جزر اخرى وتزورها حوالى ١٠٠٠ سفينة وتستخدمها عدة قبائل من العرب وعدد كبير من التجار. ويوجد هناك نخائل مثمرة بكثرة ويرد وصفها بالاستعارات الشعرية والامثال.. واضافـة الى ذلك جاء ذكر الخيول والجمال والابقار والغنم وآبار الماء السـائل والرمـان والتين والزيتـون والكبـاد والليمـون.. انهـا (اي البحرين) في غايـة العمارة حينئـذ (حوالى ١٤٨٨ ـ ١٤٩٠م) عندما تم تدوين الكتاب كانت البحرين ملكـا لاجود بن زامـل بن حسين [١٤] العامرى اكتسبها والقطيف من سلطان سلغر[١٥] ابن نور شاه (لـ هرمز) على شرط بأنه يساعده ضد اخوته في تملكه جزيرة هرمز اعطاه (السلطان) وثيقة تؤكد على ذلك العطاء باستثناء بعض البسـاتين فقام (أجود) بدوره وسـاعـد السلطان على تمليك هرمز ومنح كلا من البحرين والقطيف في سنة ٨٨٠ ( = ١٤٧٥ ـ ١٤٧٦م) وقام ابنه سيف بن زامل بغزو عمان وانتزعها من الأسـرة النبهـانيـة أي من سليمـان بن سليمـان بـن نـبـهـان في سـنـة ٩٨٣ ( = ١٤٨٨م) وعين عليها امـاما ابـاضيا بمهمة نقل عائداتها اليه. وساعده السكان وأيدوه ثم قام سيف بن زامل (كما يبـدو) بتدمير جميع التحصينات (في عمان) وعين «عمـر بن الخـطاب الاباضى حـاكـمـا عليهم [١٦].

وهذا الوصف الحيوى للبحرين ينقسم الى قسمـين واضحين قسم جغـرافى وقسم تاريخى.

وعـلى الرغم من ان القسم الجـغـرافي يعكس وصفا شائقا للقارىء الا انـه مبنى على المعلومات المأخوذة والمنقولة من الكتب الجغـرافية القـديمة للعـرب. والامر الذي يدهشنا هو ما ذكر عن تواجد ٣٦٠ قرية على الجـزيرة اذ لايمكن لاي قـائد بحـرى زار موانىء الخليج ان يحصى هذا العدد بنفسه أو عن طريق الرجال الذين يتصل بهم هناك اثناء زياراته واذا نظرنا في كتب الجغرافيا التي يذكرهـا ابن ماجـد في مؤلفـه (كتاب الفـوائد) نجـد ان بعضهـا يتضمن هـذه المعلومـات. فيذكـر ابـو الفـداء (تـوفى في ٧٣٢ هـ / ١٣٢١م) انه توجد حوالى ٣٠٠ من الممتلكات الريفية او اكثر على الجـزيرة تقدر بثلاثمائة ضيعة أو اكثر[١٧] وحتى قبل ان يذكرهـا أبو الفـداء سبق لابن المجاور (توفى في ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م) ان ذكرها في مـؤلفه «تـاريخ المستبصر» (لم يـذكره ابن ماجد) فقال ابن المجاور بـانه تـوجد ٣٦٠ (قـريـة) سـوى واحـدة وتتبـع التقـاليـد الامامية[١٨] ويبدو ان هذا العدد الكبير من القرى على الجزيرة (أى ٣٠٠ أو ٣٦٠) أمر مبالغ فيه ولا يقبله العقل كما ذكر في مكان آخر من هذا المقال (انظر الهامش ١٨) لكن يمكن تفسيره على شكل آخر يرجع الى وجود

خلاف حول مدلول كلمة «البحرين» في المصادر العربية القديمة اذ نجدها تشير الى جزيرة البحرين كما نعرفها اليوم باسم (أوال) بينما يطلق اسم البحرين على كافة الاراضي في شرق الجزيرة العربية والواقعة بين البصرة وعمان (انظر على سبيل المثال ـ بدلا من المؤلفين الكثيرين الاخرين ـ معجم البلدان لياقوت (توفي ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) [١٩] فمن الواضح بان المؤلفين المذكورين فيما سبق والاخرين الذين جاءوا بعدهم بما فيهم ابن ماجد اخطأوا في نسبة الـ ٣٠٠ أو الـ ٣٦٠ قرية التى كانت موجودة على اراضي البحرين وعلى امتداد الساحل الشرقي للجزيرة العربية الى الجزيرة التى كانت معروفة باسم (أوال) والتى اجتذبت اسم البحرين حينئذ.

ويوجد مزيد من المعلومات حول المياه العذبة والمالحة وعن ملء الجلود بالماء في اعماق البحر في مؤلف ابن المجاور الذي يشير الى ذلك المكان باسم (القالي) بدلا من القصاصير كما ورد في مؤلف ابن ماجد.[٢٠] اما اسماء الفواكه التى ذكرها ابن ماجد ضمن محاصيل الجزيرة كالنخل والاترج والليمون [٢١] فقد جاء ذكر معظمها في الكتب الجغرافية السابقة. ومقابل القسم الجغرافي الذي يحتوي على معلومات مأخوذة بصفة رئيسية من الكتب الجغرافية القديمة فان البيانات الخاصة بالوضع السياسي المعاصر في منطقة الخليج جمعها ابن ماجد شخصياً من زياراته لموانىء البحرين وعمان وهرمز وغيرها من الاماكن [٢٢]. وهذا الفصل الذي كتبه ابن ماجد في وصف البحرين يلقى بعض الضوء ليس على البحرين فقط وانما على المناطق المجاورة لهرمز وعمان كما يقدم اسماء الاشخاص والسلالات الحاكمة في أيامه وبعض المعلومات عن العلاقات القائمة بينهم وهكذا نجد ذكر أجود بن زامل بن حسين العامري كحاكم للبحرين في حوالى سنة ١٤٩٠ م وتصادق على ذلك كثير من المراجع الاخرى [٢٣] التى تذكر انه كان من حكام بنى جبر الذين حكموا في شرق الجزيرة العربية من النصف الاول للقرن الخامس عشر وحتى بداية القرن السادس عشر. ونلاحظ فرقا بسيطا في املاء اسم جده فقد كتب بالصاد بدلا من السين في مخطوطتي كتاب الفوائد. وقد وضعت علامة الفتحة على الحرف الاول كي تقرأ (حصين) بدلا من (حسين) (انظر الهامش ١٤) وقد يمثل هذا الخطأ نموذجا لأخطاء كثيرة في الاملاء توجد في مخطوطات كتاب الفوائد.

ومما يشوقنا اكثر التفاصيل التى أوردها ابن ماجد عن اكتساب أجود بن زامل لحق تملك البحرين قبل ١٥ سنة من ذلك التاريخ ويبدو ان البحرين كانت تابعة لسلطان هرمز مع ان الاقاليم المستقلة لبنى جبر أصلا لم تشمل جزيرة البحرين ومنطقة القطيف.. وفي عقد مكتوب مع الشخص الذي كان يطمح في الاستيلاء على عرش هرمز ساعد اجود هذا الشخص في كفاحه ضد اخوته للاستيلاء على هذا العرش مقابل منح اجود البحرين والقطيف في سنة ٨٨٠ هـ (= ١٤٧٥/١٤٧٦م) وهكذا امتد حكم بنى جبر على الساحل الشرقي للجزيرة العربية ليشمل هذين المكانين، وبعد الانتصار الذي حققه سلغر شاه بمساعدة أجود وتولى سلغر حكم هرمز قام بالوفاء ببند من بنود العقد واعطى البحرين ومنطقة القطيف لأجود بن زامل.

واسم سلطان هرمز كما ورد في مخطوطات كتاب الفوائد هو سرغل بن نور شاه وهو تشويه صريح للاسم الحقيقي وهو سلغر بن توران شاه وهو ما تثبته المصادر التاريخية الاخرى وتذكر انه جاء بعد وفاة

ابيه فخر الدين تورانشاه (٨٧٥ هـ = ١٤٧٠ _ ٧١م) وعقب فترات قصيرة حكم فيها اخوته الثلاثة وقتل هو فيها أخاه الرابع شاه ويس ليتولى عرش هرمز [٢٤].

وكما ذكر آنفا فقد ولد أجود بن زامل في ٨٢١ هـ (١٤١٨م) [٢٥] ومعنى ذلك ان عمره كان حوالى ٥٧ سنة عندما تولى حكم البحرين و ٧٢ سنة وقت أن كتب احمد بن ماجد كتابه الفوائد.

ونعلم كذلك من وصف ابن ماجد ان بنى جبر في نفس الوقت مدوا نفوذهم نحو الجنوب فيقال ان ابن أجود (ولده) الذي يدعوه ابن ماجد سيف بن زامل انتزع عمان من حاكمها سليمان بن سليمان بن نبهان في ٨٩٣ هـ (= ١٤٨٨م) وفوض اماما اباضيا بسلطة الحكم فيها وكلفه بنقل عائداتها الى بنى جبر. وكما ذكر سابقا فان كلمة عمان تشير بديهيا الى المنطقة الداخلية والخطوط الساحلية والموانىء التى كانت خاضعة لحكام هرمز [٢٦]. وواضح ان اسم سيف بن زامل الذي يشير اليه ابن ماجد كنجل أجود هو اختصار للاسم الكامل سيف بن أجود بن زامل وذلك بنسبه سيف لجده مباشرة وحذف اسم الأب. وتثبت المراجع الاخرى انه كان لأجود ابناء كثيرون وان سيف كان واحدا منهم [٢٧] وبعد ان تعرضت عمان لفترة من الاضطرابات الداخلية خول سيف اماما آخر بالسلطة فيها وهو عمر بن الخطاب.

والأسماء الاخرى التى وردت للحكام العمانيين تصادق عليها المصادر الاخرى [٢٨] فقد ذكر اسم عمر بن الخطاب اليحمدى الخروصى كامام لعمان للمرة الاولى في سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١م)[٢٩] لكن التاريخ العماني لـ سليل بن رازق يذكر انه عين كامام للمرة الثانية في سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٩م) [٣٠] بعد فترة حكم اطول لسليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني. ويطابق هذا التاريخ ما يذكره ابن ماجد بخصوص تفويض السلطة لامام اباضي في عمان في سنة ٨٩٣ هـ من قبل سيف (ابن اجود) ابن زامل وبعد فترة من الصراعات الداخلية جاء تعيين عمر بن الخطاب في محله. يدل هذا على معقولية سنة ٨٩٤ هـ التى يذكرها تاريخ سليل بن رازق. وتحدث كل هذه الاحداث بين ٨٩٣ هـ و ٨٩٥ هـ وهى الفترة التى دون فيها ابن ماجد تأليفه (كتاب الفوائد) وهكذا فان كل ما يكتبه ابن ماجد يكتسب اهمية تاريخية خاصة لتوافقه مع المصادر التاريخية الرسمية. وجدير بالذكر ان التاريخ العمانى لا يذكر شيئا عن الدور الذي لعبه الجبور في تعيين عمر بن الخطاب اماما للمرة الثانية.

ان نشاطات سيف بن أجود في عمان في سنتى ٨٩٣ _ ٨٩٤ وقعت حين بلغ أجود نحو السبعين من عمره ومن الطبيعي انه لم يتول الغزو العسكرى لعمان نظرا لشيخوخته بل فوض أحد أبنائه بهذه المهمة . ولكن نتائج تدخل الجبور في شئون عمان لم تستمر طويلا لان الامام عمر بن الخطاب توفى بعد قليل وعادت البلاد الى الصراعات الداخلية. وعاد سليمان بن سليمان النبهانى للحكم مرة ثانية واستمر نفوذه في عمان حتى قتل في سنة ٩٠٦ (= ١٥٠٠م) [٣١].

**وفي تقييم ختامى لوصف البحرين القصير الذي أورده ابن ماجد يمكن لنا ان نعتبره مصدرا تاريخيا هاما لان ملاحظاته حول الوضع السياسي في البحرين ومنطقة الخليج المجاورة حوالى سنة ١٤٩٠م قائمة على مشاهداته ولذلك**

يمكن استخـدامهـا في اثبـات أو نفـي الاحداث التاريخية التى تتضمنها الكتب التاريخية الاخرى. أما بالنسبة لتقريره عـن الوضـع الجـغـرافي او الوضـع الاقتصادي للبحرين في ذلك الوقت فانه على الرغم من اعتماده أساسا على الكتب العربية القديمة الا انـه لم يتبن كلمة كثيرا ما ترد في هذه الكتب وهى عبارة «في غاية العمارة».

# الهوامش

( ١ ) انظر المقالات تحت عنوان «شهاب الدين احمد بن ماجد و «سليمان المهرى» (لـ جي ـ فيراند) في موسوعة الاسلام. الطبعة القديمة و «ابن ماجد» (لـ س ـ مقبول احمد) في موسوعة الاسلام الطبعة الجديدة، والمقدمة لـ تبيتس في كتابه المعنون الملاحة العربيـة (وانظر الهـامش رقم ٧) ـ ص ٧ والصفحات التالية.

( ٢ ) انظر «تبيتس» (كالمذكور في الهامش ٧) ص ٤٤٧.

( ٣ ) انظر «تبيتس» كالمذكور في الصفحة ١٧ والصفحات التالية.

( ٤ ) انظر «تبيتس» ص ٣٧ والصفحات التالية

( ٥ ) انظر «تبيتس» ص ١٤٩ و ٢٢٤ و ٢٦٧.

( ٦ ) «جي. فيراند» ـ «التعليمات عن الطرق الملاحية العربية والبرتغـالية في القـرنين الخـامس عشر والسادس عشر» باريس ١٩٢١ ـ ١٩٢٣.

( ٧ ) «جي ـ آر ـ تبيتس» ـ الملاحة العربية في المحيط الهندى قبل مجيء البرتغاليين ـ لندن ١٩٧١ وانظر استعراضا لـ بي ـ كونيتش في الاسلام ٥١ (١٩٧٤) ٣٤٤ ـ ٣٥٣.

( ٨ ) شهاب الدين احمد بن ماجد النجدى ـ «كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد» ـ رتبه ابراهيم خورى ـ دمشق ١٩٧١ (مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق). و (العلوم البحرية عند العرب) (١).

( ٩ ) الفصل عن البحرين في الفائدة العاشرة في طبع الخورى على ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ في المخطوطة المصورة طبق الاصل من مخطوطة باريس على الصفحات ٦٩ ف ـ ٧٠ ر والترجمة الانجليزية لـ تبيتس على الصفحة ٢٢١ ف.

(١٠) مخطوطة باريس (٦٩ ف، ١٣) وفيها تربّع (ولا تريّع) دون شك. ولم يذكر في طبع خورى ص ٣٠٠: الملاحظة ٤ ومن المفضـل ان نقرا النص المطبوع تريّع لان تربّع، لا تعبر عن المعنى المطلوب.

(١١) ان طبع الخورى يذكر أوالين (ص ٣٠٠، ٥) وفي الملاحظة ٥ ينقل من المخطوطات الثلاث الاملاء «اويل هذه ليست بصحيحة لان مخطوطة باريس (كالمذكور) تشير صراحة الى (اويل بـالحركـات المشكلة) وانا اتبع املاء باريس.

(١٢) كذلك كتبت الكلمة بشكل اوِيْل، انظر اعلاه.

(١٣) نقلا عن القرآن، سورةَ ٢٥ (الفرقان) الآية ٥٣، لم يتعرف عليها تبيتس جيدا وترجمتها غير سليمة. ص ٢٢٢.

(١٤) يطبع خورى «حسين» مع الملاحظة (ص٣٠١، الملاحظة ٦) بان المخطوطتين تشيران الى حصين و (احداهما) اي مخطوطة باريس تضع فتحة على ح (٧٠ر، ٢).

(١٥) مخطوطة باريس (٧٠ر ـ ٢) تبدى الاملاء (سرغل) وقبلّه الخورى في طبعه (ص٣٠٢، ١).

(١٦) في الربع الأخير لهذا الفصل فان ترجمة «تبيتس» غير سليمة الى حد ما ويرجـع السبب الى رداءة المخطوطة لانه يعتمد على مخطوطة باريس بصفة رئيسية.

(١٧) انظر (جغرافية ابو الفداء) لـ ام (جيه) رينو وام ـ جي ـ دي سلين. باريس ١٨٤٠، ص ٣٧٠ ف رقم ٥. الجغرافية لأبى الفداء طبع شير درسدن ١٨٤٦، ص ٢٠٦ ف رقم ٥، ترجمها جيه ـ رينو. جغرافية ابو الفداء، المجلد ٢ (٢). (لـ سانت غويارد) باريس ١٨٨٣، ص ١٢٩.

(١٨) ابن المجاور «صفة بلاد اليمن.. المسماة بتاريخ المستبصر» رتبه الـ لوفجرين، ١ ـ ٢، ليدن ١٩٥١ و ١٩٥٤، المجلد ٢، ص ٣٠١، ١. لقد تم استعراض موضوع ٣٦٠ قرية وتقرر بانه مناف للعقل. انظر المقال «ابن المجاور» لـ جي ـ رينتس في موسوعة الاسلام الطبع الجديد، المجلد ٣.

(١٩) ياقوت ، معجم البلدان، رتبه اف. وستنفلد، المجلد (لائب زيج ١٨٦٦ = طبعة ثانية طهران ١٩٦٥) ص ـ ٥٠٦، طبع القاهرة ١٣٢٣/١٩٠٦ المجلد ص ـ ٧٢.

(٢٠) ابن المجاور، كالمذكور ص ٣٠٠.

(٢١) انظر ياقوت، كالمذكور في الهامش ١٩، رتبه وستنفلد، ص ٣٩٥ = طبع القاهرة.١، ص ٣٦٥ تحت عنوان اوال (والذي يذكر بساتين ايضا) ابو الفداء كالمذكور في الهامش ١٧.

(٢٢) كذلك يورد التعليق على الوضع المعاصر في جزيرة سقطرا، انظر تبيتس كالمذكور، ص ٢٢٣ ف.

(٢٣) انظر دبليو ـ كاسكيل «آني او نبي كانتي ديناستي ان ارابين» في اوريانز ٢ (١٩٤٩) ٦٦ ـ ٧١، جي ـ رينتس، مقال «جبرى» في الموسوعة الاسلامية الطبع الجديد، الملحق. الصورة طبق الاصل ٣ ـ ٤. (ليدن ١٩٨١) ص ٢٣٤ ف، اوبين (١٩٧٢ كالمذكور في الهامش ٢٤) ص ١٢٣ ـ ١٢٩ عبداللطيف . ن الحميدان ـ «التاريخ السياسي لامارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية» في مجلة كلية الاداب جامعة البصرة، رقم ١٦ (١٩٨٠) ص ٣١ ـ ١٠٩ والمراجع الكثيرة الاخرى المذكورة في تلك الصفحات. (اشكر عميد شعبة الفنون في جامعة البصرة، الدكتور قحطان عبدالستار الحديثي على ما زودني بالنسخة المطلوبة لمجلة البصرة).

(٢٤) حول سلالة سلاطين هرمز انظر «امراء هرمز في القرنين ١٣ و ١٥» في المجلة الاسيوية ٢٤١ (١٩٥٣) ٧٧ ـ ١٣٨، و «لاروبام واهرمز او ديبوت دو ١٦ سيكل» في : ماري لوسو انديكم، (١٩٧٢ : نشرت في ١٩٧٣) ، ٧٧ ـ ١٧٩ وخاصة الصفحات ١٣٤ ـ ١٣٨.

(٢٥) انظر رنتز (كالمذكور في الهامش ٢٣)، ص ٢٣٤ الحميدان (كالسابق) ص ٣٩ ، ٦٤.

(٢٦) انظر الحميدان (كالمذكور) ص ٥٣ والصفحات التالية انظر ايضا اوبين (١٩٧٢ كالمذكور في الهامش ٢٤) ص ١١١ ـ ١٢٣.

(٢٧) الحميدان (كالمذكور) وشجرة العائلة على ص ٨٦.

(٢٨) انظر المراجع التى نقلها الحميدان كالمذكور، ص ٩٦ الملاحظة ٦١، وجي بي باجر، تاريخ ائمة وسادة عمارا لـ سليل بن رازق من ٦٦١ الى ١٨٥٦، لندن ١٨٧١ (جمعية هكلوت).

(٢٩) انظر باجر (كالمذكور) ص ٧٥ و ٤٨، الى دي ـ زمبور جدول السلالات في تاريخ الاسلام، هانوفر ١٩٢٧ (ترجم الى العربية لـ زيد ام حسن بيك، ايتش ام «معجم الانساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامى القاهرة ١٩٥١) الجدول ١١٣.

(٣٠) باجر (كالمذكور ص ٥٠، توجد تناقضات صريحة في تقرير سليل بن رازق حول الاحداث العمانية في تلك الاعوام. أولا انه يذكر عام ٨٨٧ هـ (= ١٤٨٢م) كفترة تم فيها تعيين عمر بن الخطاب اماما للمرة الثانية. (باجر ـ كالمذكور ـ ص ٤٩ في الاسفل بعد بضعة سطور (في اعلى ص ٥٠) يقول بان عمر بن الخطاب عين اماما للمرة الثانية في سنة ٨٩٤ (= ١٤٨٩م) لكن التاريخ الموخر الذكر ينال التصديق من ابن ماجد الذي يذكر سنة ٨٩٥ هـ ولذلك يجوز لنا ان نقبل ٨٩٤ هـ كتاريخ صحيح.

(٣١) باجر، المرجع المذكور ، ص ٥١.

# آلهة

# دلمون

بقلم: خالد الناشف ـ المانيا الغربية

**لا غنى عن القول ان سكان دلمون[١] القدماء كانوا يشتركون مع غيرهم من شعوب الشرق الادنى القديم بخصائص حضارية مختلفة. ولا اقصد هنا التأثيرات المباشرة من حضارات مجاورة فحسب، كحضارة وادى الرافدين، بل ايضا تلك السمات الحضارية التي كانت تسود المنطقة كلها. ومن بين هذه السمات المشتركة نظام الآلهة المتعددة، حيث كان لكل بلد إله رئيسي وعدد من الآلهة الثانوية. وقد كان تعدد الآلهة احدى الظواهر الاساسية لديانات المنطقة قبل ظهور الاديان السماوية. ولم تكن دلمون في هذا المضمار تختلف عن غيرها من بلاد او مدن الشرق الادنى القديم. فإلى جانب انزك INZAK الاله الدلموني المعروف، تذكر المصادر آلهة اخرى كانت تعبد في دلمون او لها علاقة بحضارة تلك البلاد. وأود هنا بشكل اساسي ان اعرض عليكم ما نعرفه عن آلهة دلمون، بالاضافة الى انني سوف انظر عن كثب الى الآراء التي قدمت لتفسير اسماءالآلهة الدلمونية، محاولا التأكد من صحة هذه الآراء[٢].**

أبدأ عرضي هذا بالشواهد التي وردت في تلك المصادر الكتابية التي عثر عليها في جزيرتي البحرين وفيلكا، حيث ان هاتين الجزيرتين كانتا تمثلان مركزين رئيسيين لبلاد دلمون بالمفهوم الواسع لهذا الاسم[٣]. ولا ريب ان اهم مصدر في هذا المجال هو

نص المخروط البازلتي الذي عثر عليه في البحرين عام ١٨٧٩، وفقد مع الاسف فيما بعد (رقم ١) وفي هذا النص الذي يعود الى فترة الكاشيين، اي الى النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد، يشير الحاكم ريموم Rimum الى قصره، والى نفسه بأنه خادم انزك Inzak اجارو Agaruويبدو ان ريموم Rimum هذا قد كان احد الحكام المحليين لدلمون اثناء الفترة الكاشية. وبما ان الاله الذي كان يعبد من قبل حاكم بلد ما كان يعتبر على الاغلب الاله الرئيسي لذلك البلد، فانه بامكاننا الاستنتاج ان انزك In-zak قد كان الاله الرئيسي لدلمون. وهذا ايضا ما تؤكده حرفيا مصادر وادي الرافدين التي تذكر هذا الاله، كما سنرى في حينه. ولا ندري ما هو المقصود تماما بانزك Inkzak اجارو Agaru المذكور ايضا في احد اختام فيلكا. الا ان هذا يدل على ان احد الامكنة التي كان يعبد فيها انزك كان يدعي اجارو Agaru وقد تعني اجارو موقعا في البحرين، او فيلكا نفسها او اي مكان اخر. وبالنسبة للنصوص التي عثر عليها في البحرين، لا بد من ان اذكر لوحا طينيا يعود ايضا الى فترة الكاشيين نشره جلوب P.V.Glob بشكل صورة فوتوغرافية في كتابه المعروف عن البحرين (رقم ٢) ويبدو ان هذا النص هو عبارة عن وثيقة اقتصادية تذكر لقبين إلهيين وهما «سيدة الخبز» و«سيدة الشرب». ولا ندري الى من يشير هذان الاسمان.

ان بقية النصوص المحلية التي تذكر الاله انزك Inzak او غيره من الآلهة قد عثرت عليها في فيلكا البعثة الدانمركية التي قامت ايضا بحفريات منتظمة في تلك الجزيرة. وبعض هذه النصوص منقوش على اوعية حجرية اوفخارية وبعضها الآخر على اختام، ومعظمها يعود الى فترة الكاشيين، واقدمها الى فترة السلالة الثالثة لأور، اي أواخر الالف الثالث قبل الميلاد[٤]. وأبدأ بعرض المادة من فيلكا بنص يذكر «البيت الكبير لانزك Inzak»(رقم ٣). وبامكاننا الاستنتاج من هذا النص ان المعبد الرئيسي في فيلكا قد كان مخصصا للاله انزك Inzak[١٤]. وثمة نص شبيه بالاخير فيه على الاغلب اشارة الى نفس المعبد، الا انني لا استطيع التثبت من قراءة اسم الاله انزك Inzak من صورة النقش، التي نشرها جلوب P.V.Glob في كتابه، بالرغم من ان المؤلف يجزم بشيء من هذا القبيل (رقم ٤) وانتقل الآن الى الاختام، مبتدئا بختم دائري يحتوي على نص غير واضح كلية، الا انه بالتأكيد يذكر اسم صاحب الختم، الذي كان على ما يبدو كاهنا في خدمة الاله Inzak Agaru (رقم ٩). واشير ايضا الى ختم (رقم ١٠) يذكر فيه صاحبه انه قد قام بإهداء ختمه الى الاله انكي Enki، إله مدينة اريدو Eridu وليس الى انزك Inzak كما هو مذكور في كتاب جلوب P.V.Glob الامر الذي يستحق الانتباه كما سنرى بعد قليل. اما نقوش الاختام الاسطوانية فتذكر الآلهة التالية التي نعرفها من حضارة وادي الرافدين: انكي Enki (رقم ٢١)، هذا الاله وقرينته دمجال ـ نونا Damgal- nuna (رقم ١٢)، ومردوك Marduk إله مدينة بابل (رقمان ١٦، ١٨)، وادد Adad اله العواصف (رقم ٢٠).

وبالطبع لا نستطيع اعتبار هذه الآلهة من الهة دلمون لمجرد ورودها على اختام من فيلكا. الا ان الامر يختلف بالنسبة للاختام التي تذكر انكي Enki والختم الذي يذكر انكي Enki ودمجال ـ نونا Damgal- nuna فأحد هذه الاختام دائري وينتمي بالاشكال المنقوشة عليه الى مجموعة من الاختام غير معروفة في حضارة وادي الرافدين[٥]. بالاضافة الى ذلك ان مجرد اهداء هذا الختم الى انكي enki يعني انه قد كان لهذا الاله في

فيلكا مكان للعبادة. وليس من المستغرب ان يرد الاله انكي Enki في ختم دلموني وان يكون أحد الآلهة المعبودة في دلمون، وخاصة اذا تذكرنا ان اريدو Eridu مدينة هذا الاله، وهي ابوشهرين الحالية والواقعة في اقصى الجنوب البابلي، لا تبعد كثيرا عن جزيرة فيلكا. ولا شك ان هذه العلاقة الواضحة بين دلمون واريدو Eridu والتي لم تكن محصورة بالتأكيد بقربهما الجغرافي فقط، هي ما يكمن وراء التراث الادبي السومري الذي يربط انكي Enki ببلاد دلمون. وربما كان من الافضل ان نفترض ان انكي Enki ودمجال ـ نونا Damgal- nuna هما عبارة عن اسمين يعنيان الاله انزك Inzak وقرينته ميسكيلاك Meskilak التي نعرفها من مصادر اخرى، اي ان الدلمونيين عندما يستعملون هذين الاسمين فانما يقصدون بهما الالهين الرئيسيين لبلادهم. وهذا ليس بالمستبعد فيما لو تذكرنا ان حضارة وادي الرافدين هي الاقوى، وان الحضارات الثانوية في المنطقة كانت تستمد مفاهيم مختلفة من تلك الحضارة للتعبير عن خصائص محلية لها[٦]. والذي يدفعني الى هذا الافتراض هو ان غصن النخلة المحفور الى جانب نقش البحرين نجده ايضا على الختم الدائري الذي يذكر انكي Enki ولا يمكننا ربط هذا الشعار الا بالاله انزك Inzak.

وانصرف الآن الى معالجة الشواهد التي وردت في مصادر وادي الرافدين. وكان من المعقول ان اقدم هذه الشواهد حسب تتابعها الزمني، مبتدئا بأقدمها. غير انني ابدأ عرضي هذا برسالتين من العصر الكاشي المتأخر عثر عليهما في مدينة نيبور NIPPUR (نُفّر حاليا). وذلك لان مصدرهما احد مراكز دلمون. اي انه بالامكان اعتبارهما وثيقتين تعكسان الى حد ما تراثا دلمونيا محليا. ولا حاجة بي هنا الى ان انوه الى اهميتهما التاريخية، من حيث محتوياتهما ووجودهما بالذات، وخاصة ان كورنويل P.B. Cornwall قد عالج الرسالتين باسهاب شديد. لهذا اكتفي بعرض النقاط الرئيسية وما يهمنا بالنسبة لموضوع آلهة دلمون. يُبلغ ايلي ـ اباشرا Ili- ippasra كاتب الرسالتين، في الرسالة الاولى رئيسه ايليا Iliya، وهو احد الحكام المحليين في نيبور Nippur عن اعتداءات قامت بها جماعات الاخلميين، وهم القبائل الذين عرفوا فيما بعد باسم الاراميين. وما يهمنا هنا هو تحيات الرسالة، التي نجدها ايضا في الرسالة الثانية، والتي تقول ما يلي: «لتحمي آلهة دلمون، انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak حياتك» **(رقمان ٢٢/١، ٢٣)**. ومن المعروف بالنسبة لرسائل وادي الرافدين ان الدعاء من جهة باعث الخطاب لآلهة مكان معين يعني في بعض الاحيان الدعاء الى آلهة المكان الموجود فيه ذلك الشخص. فإيلي ـ اباشرا Ili- ippasra يتضرع الى آلهة دلمون، المكان الموجود هو فيه، لتحمي ايليا Iliya الموجود في نيبور Nip-pur وعلى الاغلب انه يقصد بدلمون هنا مدينة وليس بلادا. ومهما كان الامر بالنسبة لموقع هذه المدينة، فان تحيات خطابى ايلي ـ اباشرا Ili- ippasra تقدم لنا دليلا ساطعا على ان انزك Inzak هو الاله الرئيسي لدلمون او المنطقة العامة المحيطة بها. وكما هي العادة بالنسبة لبعض الرسائل البابلية التي تذكر الى جانب الاله الرئيسي للمدينة، الالهة الرئيسية لها، فان خطابينا يذكران الى جانب انزك Inzak قرينته التي كان اسمها ميسكيلاك Meskilak. ويحتوي الخطاب الاول على اشارة الى الهة اخرى معبدها قديم وبحاجة الى ترميم. ويرى ايلي ـ اباشرا Ili- ippasra ان الوضع الخطير الذي يواجهه نتيجة لتهديد الاخلميين مرده الى غضب تلك

الالهة التي ترك معبدها مهملا. لهذا نجده يناشد ايليا Iliya بتوكيل بعض الاشخاص للقيام باصلاح هذا المعبد. اما اسم الالهة فلا يُقرأ منه الا مقطعه الاول نين.... ...-Nin الكلمة التي تعني سيدة (رقم ٢٢/١).

وتجدر الاشارة هنا الى ان المصادر الكاشية تمدنا باسم عبدة يحتوي على اسم الاله انزك Inzak (رقم ١٢٣) واسم الاله مكتوب كما يرد في مصادر سوسا، اي En-za-ak ومن المعروف ان كثيرا من العبيد في وادي الرافدين كانوا من الغرباء او اسرى الحرب. وهذا بحد ذاته يشير الى ان انزك In-zak هو إله غريب عن حضارة وادي الرافدين. الا انه ليس بمقدورنا التأكد فيما اذا كان انزك في اسم العبدة يعني انزك دلمون أو انزك من منطقة اخرى، وخاصة ان انزك كان يعبد في سوسا ايضا.

ان بقية الشواهد على الآلهة الدلمونية من مصادر وادي الرافدين ترد قاطبة في ما يسمى بالنصوص الادبية او القوائم الفهرسية. لهذا ينبغي ان نعالجها بشيء من الحذر، وخصوصا ان النصوص الادبية لا يهمها عرض ظواهر معينة بقدر ما يهمها تفسير تلك الظواهر حسب الاعتقادات والميول الفكرية السائدة في العصر الذي دونت فيه تلك النصوص. ونبدأ بذكر اقدم شاهد، وهو من اواخر الالف الثالث قبل الميلاد، وقد ورد في نشيد معروف لجوديا Gudea حاكم لاجاش Lagas (اي تل الهباء في جنوب العراق) يصف فيه كيف بنى «معبد الخمسين»، معبد الاله نين ـ جيرسو Nin-Girsu في لاجاش Lagas ويخبرنا الامير جوديا Gudea في الفقرة التي تهمنا كيف احضرت له المواد اللازمة لبناء المعبد من بلاد ماجان Magan وميلوخا Meluhha، ويتباهى بأنه جعل الاله نين ـ زجا Nin-zaga، والاله نين ـ سيكيلا Nin-sikila يجلبان له النحاس وجذوع الاخشاب (رقم ٢٤). ولا يخفى عليكم لماذا رُبط هذا الشاهد بدلمون، بالرغم من ان جوديا Gudea لا يذكر دلمون في هذا المقطع. فمن الواضح ان ورود اسم إله كنين ـ زجا Nin-zaga الى جانب نين ـ سيكيلا Nin-sikila في النص، بعد بلاد ماجان Magan وميلوخا Meluhha يذكر بإلهي دلمون انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak، كما جاءا في خطابي نيبور Nippur المشار اليهما اعلاه وفي نصوص ادبية متأخرة. ولكن كيف نفسر هذا التغير الحاصل في الاسمين ؟

هنا ينبغي ان اتوقف لحظة لاعرض الآراء السائدة حول تفسير أسمي انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak. وابدأ بالاسم الاخير لاعود فيما بعد الى اسم انزك Inzak. اذكر اولا رأي كرامر S.N. Kramer(٧) الذي يقول بأن ميسكيلاك Meskilak عبارة عن كتابة صوتية للقب السومري نين ـ مي ـ سيكيلاك $^{d}$Nin-me-sikil-ak الذي يعني «سيدة القوى الالهية(me) الطاهرة»(٨). فاسم ميسكيلاك Meskilak تطور من هذه الصيغة بعد اسقاط كلمة نين nin، اي المقطع الاول. ويبرز كرامر S.N. Kramer دليلا على ذلك اسم إله سوسا، انشوشيناك Insusinak الذي يفسر عادة بأنه قد تطور من صيغة نين ـ شوشيناك، اي ما معناه «سيد (مدينة) شوشين Susin» (اي سوسا او الشوش حاليا)(٩). الا ان الاسقاط الحاصل في نين ـ شوشيناك Nin-Susinak، هو في النون الاولية وليس في مقطع نين nin. ويبدو ان كورنويل P.B. Cornwall قد لاحظ صعوبة تفسير كرامر S.N. Kramer للاسم، فحاول تفسيره على انه قد تطور من اسم الالهة نين ـ سيكيلا $^{d}$Nin-sikil-la، معتبرا تركيب هذا كمضاف ومضاف اليه $^{d}$Nin-sikil-la(k)(١٠) ومفترضا أن nin، المقطع الاول، قد تحول الى min(١١). والصعوبة في هذا التفسير هي

تحول nin الى minالذي لا يوجد مبرر له، وليس كما يذكر كورنويل P.B. Cornwall عدم ظهور كاف علامة الجر ak في المواضع التي يرد فيها اسم نين ـ سيكيلا Nin-sikila(١٢). ويفسر فالكنشتاين A. Falkenstein اسم انزك Inzak على انه محور من صيغة نين ـ زجا Nin-za-ga d الواردة في نص جوديا Gudea، مع اسقاط النون الاولية وحرف العلة النهائي(١٣). فعلامة الجر السومرية ak، خلافا لما حصل في اسم نين ـ سيكيلا Nin-sikila سقطت هنا كلية من الاسم الذي يفسره فالكنشتاين A.Falkenstein على انه مضاف ومضاف اليه.

ان ما تشترك فيه هذه التفسيرات هو افتراضها ان اسمي انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak قد تطورا من صيغة كانت في الاصل سومرية. او بمعنى آخر ان هذين الاسمين او الالهين الذين يدلان عليهما هما سومريان، ومعناهما، كما ذكرا في نشيد جوديا Gudea، «سيد الحرم»(١٤) و«سيدة الطهارة»(١٥). وانا شخصيا لا اعتقد بصحة هذا الرأي، وان كنت اوافق على الترجمة المقدمة لهما كما وردا في نشيد جوديا Gudea، فالرأي السابق يلجأ لعدد من الافتراضات اللغوية المعقدة والمتعارضة احيانا. فبالنسبة لانزاك Inzak فانه وان كان بامكاننا القبول بتفسير فالكنشتاين A.Falkenstein الذي يفترض اسقاط النون الاولية كما هو الحال في اسم الاله انشوشيناك In-susinak فانه لا يسعنا الا التساؤل عن السبب الذي دعا الدلمونيين الى كتابة الاسم بمقطع inوليس en، العلامة التي تعني ايضا «سيد»(١٦). اضف الى ذلك ان نقوش البحرين وفيلكا تمدنا بأربعة شواهد تكتب اسم الاله هذا بعلامة in، الامر الذي لم يكن يعرفه فالكنشتاين A.Falkenstein ومفسرو الاسم من قبله. وينبغي ان لا ننسى ان سكان وادي الرافدين كانوا يعرفون ايضا الهة باسم نين ـ سيكيلا Nin-sikila وربما إله باسمه نين ـ زج Nin-zag، او نين ـ زجا Nin-zaga لا علاقة لهما ببلاد دلمون، كما سنشير الى ذلك فيما بعد. ونستنتج مما سبق ان اسمي إلهي دلمون، انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak ليسا سومريين، وان مصادر وادي الرافدين ابتداء من عصر السلالة الثالثة لأور قد حورت الاسمين ليأخذا طابعا محليا. وسبب هذا التحوير هو وجود اسماء مشابهة لهما في التراث المحلي لوادي الرافدين ولهما بالطبع معنى في اللغة السومرية. الا ان لهذا التحوير بالذات علاقة ايضا بمفاهيم سكان وادي الرافدين حول دلمون. وهذا ما سوف ابحثه فيما يلي:

يحتوي ادب الاساطير السومري الذي يعود معظمه الى العصر البابلي القديم، اي الى النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد، على بضعة شواهد على آلهة دلمون. وادب الاساطير هذا هو الذي امدنا بتلك الصورة التي لدينا عن دلمون بأنها بلاد طاهرة او مقدسة. وهذه الناحية لا تهمنا بقدر ما تهمنا الشواهد على آلهة دلمون، وعلاقة هذه الشواهد بالآلهة الدلمونية كما وردت في المصادر الدلمونية القليلة التي نعرفها، وفيما اذا كان بمقدورنا استخلاص بعض النتائج الملموسة حول تلك الآلهة. نقرأ في مقطع من اسطورة «انكي Enki وتنظيم العالم»، التي تحكي عن اعمال الاله انكي Enki وتوزيعه لادوار الآلهة ووظائفها، بأن انكي Enki يقوم بتعيين نين ـ سيكيلا Nin-sikila لتكون الالهة المسئولة عن دلمون (رقم ٢٥). وعلى الاغلب ان هذا المقطع يوجز ما ذكر بالتفصيل في اسطورة اخرى تعرف باسم «انكي Enki ونين ـ خورساج Nin-hursag». فبطل هذه الاسطورة، التي تدور حوادثها في دلمون، هو انكي Enki، إله مدينة

اريدو Eridu وسيد المياه العذبة. وتصف الاسطورة كيف جلب انكي Enki بناء على طلب قرينته نين ـ سيكيلا Nin- sikila (رقم ٢٦ / ١ ـ ٢)، المياه الى دلمون، المكان المقدس والاشبه بالجنة، وكيف انجب هناك عددا من الآلهة. وأحد هذه الآلهة هو انساج Ensag (رقم ٢٦ / ٣)، الذي يعينه انكي Enki ليصبح سيد دلمون، او إله هذا البلد (رقم ٢٦ / ٤). ويبدو ان الاسم الاصلي للاله انزك Inzak في هذه الاسطورة هو محور ايضا، بغية ان يصبح له معنى «السيد الحلو»، رابطة بذلك اسم الاله بالنخلة او التمر. بالاضافة الى ذلك ان علامة $sa_6$ المستعملة للتعبير عن كلمة «حلو» او «طيب» هي نفس العلامة التي تقرأ gisimmar وتعني «النخلة». ولا شك ان في هذا التحوير تأكيدا اضافيا على ان اسم الاله ليس سومريا في الاصل، اذ من الصعب التوفيق بين وجود اسمين لذات الاله لهما معنيان مختلفان، اي نين ـ زجا Nin- zaga كما في نشيد جوديا Gudea وانساج Ensagهنا.

اعتقد انه قد حان الوقت لأعرض عليكم رأيي بالنسبة لوظيفة الاله انزك Inzak او المجال الحياتي المسئول عنه هذا الاله، وهذا بالرجوع الى مصادر غير المصادر الكتابية. باعتقادي ان انزك Inzak كان إله النخلة، وهذا للاسباب التالية: من المعروف ان مصادر وادي الرافدين تذكر نوعا خاصا من التمر كانت تسميه تمر دلمون. وهذا ما يدفعنا الى الظن بأن زراعة النخيل في دلمون كانت في الالف الثالث قبل الميلاد وربما قبل ذلك تلعب دورا مهما في الحياة الاقتصادية لتلك البلاد. وربما كانت التمور احدى السلع الاساسية لتجارة الدلمونيين مع البلاد المجاورة في تلك الفترة(١٧). لهذا ليس من المستبعد ان يكون الاله الرئيسي لدلمون مسئولا عن النخلة. والدليل على ان هذا الاله كان سيد النخيل هو وجود غصن النخلة بجانب نقش ريموم Rimum المهدى الى الاله انزك Inzak، والمشار اليه في مطلع هذه المحاضرة. ان وجود صورة غصن النخلة دون غيرها الى جانب النقش يؤكد على ان غصن النخلة يرمز الى الاله المذكور في النقش، اي انزك Inzak. ودليل أخر ابرزه على علاقة انزك Inzak بالنخلة هو وجود صورة هذا الشعار، اي غصن النخلة، على الختم المهدى الى انكي Enki والذي ذكرناه اعلاه(١٨).

اود الآن ان اعرض عليكم الشواهد على آلهة دلمون الواردة في المصادر المتأخرة، اي تلك التي تعود الى الالف الاول قبل الميلاد، مبتدئا بالنصوص الفهرسية. تذكر قائمة الآلهة المعروفة باسم أن = أنو = شا أميلي An - Anu - Sa ameli إلهين لدلمون، الاول اسمه مواتي Muati والثاني انزج Enzag. والاسمان مذكوران ضمن مجموعة من اسماء نابو Nabu، الاله البابلي المعروف (رقم ٢٧). ومن الصعب تفسير ورود مواتي Muati كاسم إله دلمون. وعلى الاغلب كما اشار لامبرت W.G. Lambert(١٩). ان يكون الناسخ القديم قد اخطأ هنا، وخاصة اننا نعرف من ثلاث قوائم مشابهة يرد فيها اسما انزج Enzag ومواتي Muatiان اولهما فقط يعني إله دلمون (ارقام ٢٨، ٢٩ / ٢، ٣٠ / ٢). بالاضافة الى انه بحوزتنا قائمتان بأسماء Nabu تذكران Enzagلوحده دون مواتي Muati (رقمان ٣١ / ٢، ٣٢). ولا بد لي بالنسبة لاسماء نابو Nabu ان اشير الى اسم الالهة لاخامون Lahamun، التي تسميها القوائم الفهرسية صاربانيتو Sarpa-nitu دلمون. والالهة صاربانيتو Sarpanituهي قرينة نابو Nabu. ولكن من هي لاخامون Lahamun؟ ان اصل ل خ م الذي يشتق منه اسم هذه الالهة يعني «خبز» في بعض اللغات

السامية ومنه فعل معناه «اكل» كما في الاكدية المتأخرة. ويرد الى ذهننا بالطبع اللقبان الإلهيان، «سيدة الخبز» و«سيدة الشرب»، المذكوران في اللوح الطيني من البحرين[٢٠]. ولا ندري اذا كانت ميسكيلاك Meskilak هي المقصودة هنا. ومهما كان الامر فان انزج Enzag ولاخامون Lahamun كانا يمثلان في نظر الكاتب البابلي الى حد ما الاله الرئيسي لدلمون وقرينته، وذلك لانه اوردهما ضمن اسماء نابو Nabu وقرينته صاربانيتو Sarpanitu. فمن المعروف ان منزلة نابو Nabu قد ارتفعت الى حد ملحوظ في الالف الاول قبل الميلاد[٢١]. الا ان هذا وحده لا يفسر لماذا احتل نابو Nabu محل انزك Inzak، الاله الدلموني، دون غيره من الآلهة البابلية المهمة. وسوف اعود الى هذه النقطة بعد قليل. وبالنسبة لقوائم اسماء الآلهة اذكر اخيرا اسم «سيدة دلمون» الذي يرد في القائمة الواسعة المعروفة باسم آن - آنوم (رقم ٣٤). وهذا يعني بالطبع الالهة الرئيسية لدلمون، كما عرفناها باسم ميسكيلاك Meskilak. وبصرف النظر عن مرجع واحد قد يكون فيه ذكر للالهة الاخيرة (رقم ٣٥)، فان بقية قوائم الالهة تذكر آلهة اخرى باسماء مختلفة كنين - سيكيلا Nin-sikila (رقم ٣٦)[٢٢]، ونين - زجا Nin-zaga (رقم ٣٧)، وان - زجا En-zaga (رقم ٣٨)[٢٣]، لا علاقة لها بدلمون او لا يمكن اثبات تلك العلاقة.

واختتم عرضي لاسماء آلهة دلمون في مصادر وادي الرافدين بالتطرق الى عدد من الشواهد المتفرقة، من نصوص ادبية مختلفة، أبدأها بمجموعة من النصوص لها علاقة بطقوس الاله نابو Nabu، والتي تلقي الضوء على علاقة هذا الاله بانزك Inzak. وهذه النصوص هي عبارة عن اناشيد دينية تمجد الاله نابو Nabu ذاكرة صفاته والمدن والمعابد التي يقطن فيها واسماءه المختلفة[٢٤]. ومن هذه الاسماء انزجا En-zaga او انزج Enzag، الذي يرد - حسب علمي - بدون الاشارة الى دلمون (ارقام ٣٩ - ٤٤). الا انه من المؤكد ان انزج Enzag هذا هو إله دلمون، استنادا الى الايضاحات التي امدتنا بها النصوص الفهرسية المذكورة اعلاه، اي ان انزج Enzag هو نابو Nabu دلمون. وتجدر الاشارة هنا الى اثنين من هذه النصوص (رقمان ٤١ - ٤٢) يذكران ان نابو Nabu هو من انجب مدينة اريدو Eridu. وهذا برأيي ما يفسر كيف ظهرت عملية ربط الاله انزك Inzak بنابو Nabu. فإريدو هي مدينة انكي Enki، والاله الذي استوعبه نابو Nabu هو في الحقيقة انكي Enki، بما فيه مرادفه انزك Inzak المسئول عن دلمون.

يعرف التراث الادبي البابلي المتأخر ايضا الاله انزج EnzaG الى جانب قرينته ميسكيلاك Meskilak. فهذان الاسمان يردان في نشيد للالهة المعروفة نانايا Nanaya تمجد فيه هذه الالهة نفسها (رقم ٤٥). ويتم هذا التمجيد بذكر اسماء آلهات المراكز الرئيسية لوادي الرافدين ومعابد تلك الالهات، وان هذه الالهات لسن الا شخصية واحدة لنانايا Nanaya متجسدة في اشكال مختلفة. ونسمع في المقطع الرابع من هذا النشيد على لسان الالهة نانايا Nanaya انها هي شولوخيتو Suluhhitu قرينة انزج Enzag وميسكيلاك Meskilak والقاطنة في معبد ايكارا Ekarra. ولا شك ان دلمون هي المقصودة هنا، بالرغم من بعض الصعوبات في فهم هذا المقطع. فنحن نعرف معبد ايكارا Ekarra الموجود في دلمون من مصدر آخر (رقم ٤٦)[٢٥]. بالاضافة الى ورود اسمي انزج Enzag وميسكيلاك Meskilak الى جانب بعضهما البعض. ولكن من هي شولوخيتو Suluhhitu؟ وكيف نفسر انها مذكورة هنا كقرينة انزج

Enzag وميسكيلاك Meskilak؟ وبالرغم من تحفظات راينر Erica Reiner ناشرة نشيد نانايا Nanaya فانني اعتقد ان هذا الاسم هو ترجمة أكدية لاسم نين ـ سيكيلا .Nin-sikila وأرى ايضا ان كاتب هذا النشيد كان يعرف ثلاثة اسماء لآلهة من آلهة دلمون، اي نين ـ سيكيلا Nin-sikila التي ترجمها الى الاكدية بشكل شولوخيتو Suluhhitu، وانزج Enzag وميسكيلاك Meskilak، ولم يكن يدرك ان نين ـ سيكيلا Nin-sikila هو مجرد اسم او لقب للالهة ميسكيلاك .Meskilak وقام بحل هذا الاشكال بأن جعل من انزج Enzag وميسكيلاك Meskilak اسما واحدا، معتبرا اياه اسم قرين نين ـ سيكيلا Nin-sikila او شولوخيتو .Suluhhitu واذكر اخيرا ان اسم انزج Enzag ميسكيلاك Meskilak يردان معا ضمن مجموعة من اسماء الآلهة في ترنيمة من ترانيم شوربو Surpu، ولكن دون الاشارة الى دلمون (رقم ٤٧).

يبقى عليّ ان اعرض عليكم الشواهد التي وردت في مصادر سوسا. وقد استنفدت فيما يلي من دراسة اجراها فالا F.Vallat(٢٦). حول هذا الموضوع بالذات، غير انني لا اتفق معه في استنتاجاته كما سأبين ذلك. من المؤكد ان الاله انزك Inzak كان يعبد في سوسا في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد، كما يوضح ذلك احد النصوص الملكية من هذه الفترة، والذي يذكر هذا الاله الى جانب انشوشيناك Insusinak احد آلهة سوسا المعروفين، وايا Ea، الاله الاكدي المرادف للاله السومري انكي Enki (رقم ٤٨). ويستغرب فالا F. Vallat ان لا يكون من بين الآلهة التي كانت تعبد في سوسا في تلك الفترة اي إله عيلامي، وان آلهة سوسا اصلها من وادي الرافدين، مفترضا بذلك ان انزك Inzak هو ايضا من تلك المنطقة. ويرى فالا F.Vallat انه بالرغم من التأثير الكبير الذي تركته حضارة وادي الرافدين على سوسا في تلك الفترة، فان هذا ليس كافيا لتفسير ادخال الاله انزك Inzak، الاله الدلموني، في عداد آلهة سوسا. لهذا نراه يشير الى ظاهرة الانشغال بالعالم الاخر في الديانة العيلامية وان هذا هو السبب الذي دفع سكان سوسا الى القبول بانزك Inzak، اله دلمون، البلاد التي تمثل الجنة على الارض، كما ورد في النصوص الادبية السومرية. وقبل ان ابدى رأيي بهذا التفسير اود ان اعرض عليكم بايجاز الشواهد التي تهمنا من مصادر سوسا. يرد اسم إله دلمون في النقش الملكي المذكور اعلاه بصورة En-za-ak اي انه مكتوب الى حد ما بشكل صوتي. واستعمال علامة en ليس مستغربا، وخاصة اذا تذكرنا ان النقوش الملكية متأثرة عادة بالتراث الادبي، بالاضافة الى التأثير الكبير لحضارة وادي الرافدين على سوسا في تلك الفترة، كما اشار فالا F.Vallat نفسه.

اما بقية الشواهد على هذا الاله فنجدها في اسماء الاشخاص، التي تعود تقريبا الى ذات الفترة، اي الى العصر البابلي القديم (ارقام ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣). اما صيغة اسم الاله التي نجدها في هذه الاسماء فهي اقرب الى الصيغة التي نعرفها من المصادر الدلمونية، اي انزك .Inzak وتعكس اسماء الاشخاص عادة لغة الحياة اليومية، وليس اللغة الادبية. لهذا بامكاننا الافتراض ان الصيغة الاساسية لاسم الاله في سوسا هي انزك Inzak، بينما En-za-ak هي صيغة متأثرة بالتراث الادبي لوادي الرافدين (لاحظ en = «سيد»). وهذا يعني بدوره ان انزك Inzak، بالرغم من قلة الشواهد عليه، ينتمي الى تراث سوسا المحلي، بعكس ما يذكره فالا F.Vallat من ان هذا الاله مقتبس من حضارة وادي الرافدين. ومما يدفعني الى هذا الافتراض ان انزك Inzak لم يقتبس

من تلك الحضارة، هو ان الاله نين ـ زج Nin-zag الذي يذكرنا بنين ـ زجا Nin-zaga في نشيد جوديا Gudea يرد ايضا في نقش ملكي آخر مصدره سوسا وهو من العهد البابلي القديم (رقم ٥٤). فكيف نفسر وجود اسمي إله يعنيان ذات الشيء، اي الاله الدلموني انزك Inzak؟ ومن الافضل الافتراض ان احدهما، اي انزك Inzak هو إله محلي في سوسا، بينما نين ـ زاج Nin-zag إله دخيل. وبالرغم من التطابق اللفظي بين اسم الاله في سوسا واسمه في دلمون، فان المصادر المتوفرة لدينا حتى الان لا تكفي لتوضيح ظاهرة وجود هذ الاله في كل من سوسا ودلمون. وتعقيبا على رأي فالا F.Vallat بالنسبة لهذه العلاقة، فاننا نعتقد ان الصورة التي تمدنا بها اسطورة «انكي Enki ونين ـ خورساج Ninhursag» عن دلمون، وان كانت لها علاقة ظاهرية بالمفهوم المتأخر عن الجنة، فانه من الصعب ربطها بمفهوم الحياة بعد الموت، الذي يختلف بالطبع عن مفهوم الجنة على الارض.

واسمحوا لي في ختام هذه المحاضرة ان اوجز عليكم اهم ما جاء فيها. منذ عصر السلالة الثالثة لأور على الاقل كان يعبد في دلمون إله رئيسي اسمه انزك Inzak، وقرينته كان اسمها ميسكيلاك Meskilak. وليس بامكاننا بسهولة تحديد اللغة التي ينتمي اليها هذان الاسمان، والتي على اية حال ليست سومرية[٢٧]. وقد ربط الثنائي انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak في فترة من الفترات بإنكي Enki ودمجال ـ نونا Damgal-Nuna إله وإلهة مدينة إريدو Eridu. وعلى الأغلب أن إنكي ودمجال ـ نونا Damgal-nuna لم يكونا بالنسبة للدلمونيين الا اسمين اجنبيين لكل من انزك Inzak وميسكيلاك Meskilak، استوحيا من الحضارة الاقوى، اي حضارة وادي الرافدين. وقد عرف الالهان في هذه الحضارة بدرجة اولى باسمي انزج Enzag ونين ـ سيكيلا Nin-sikila. اما انزك Inzak الاله الدلموني الرئيسي، فعلى الاغلب انه كان سيد النخلة، او الاله المسئول عن النخيل.

# الهوامش

( ١ ) يصعب تقديم تعريف جغرافي واحد لدلمون ، اى فيما اذا كان هذا الاسم يعني البحرين او فيلكا او منطقة معينة من اليابسة المقابلة لجزيرة البحرين في شرق الجزيرة العربية . ومن المرجح ان دلمون كانت تعني في الاصل جزيرة البحرين ومدينة محددة فيها ، وانها من ناحية سياسية كانت تضم في فترات معينة رقعة اوسع من تلك الجزيرة . وتوجد ادلة اثرية وتاريخية ( انظر شاهد رقم ٢ ) تبين ان دلمون ( جزيرة البحرين ، وبالتاكيد فيلكا ايضا ) كانت في فترة محددة من الالف الثاني قبل الميلاد تقع تحت السيطرة الكاشية . حول التعاريف المختلفة لدلمون وعدم تعارضها انظر الآن كيسلر K. Kessler في : BBVO 2 ص ١٤٧ وما بعدها .

( ٢ ) الارقام المذكورة في صلب الدراسة تعني الشواهد من المصادر الاصلية التي تذكر الآلهة الدلمونية او التي لها علاقة بذلك . وقد ادرجتها بشكل منفصل ادناه ( قائمة الشواهد ) . وهناك يجد القارىء المراجع التي اخذت منها تلك الشواهد . بالاضافة الى قراءة وترجمة كل شاهد والتعليق اللازم عليه .

( ٣ ) انظر هامش رقم ١ .

( ٤ ) ادرج هنا للافادة جميع ما اعرفه من نقوش عثر عليها في فيلكا ، بصرف النظر عما اذا كانت تحتوى على اسماء آلهة أم لا . القطع الحجرية او الفخارية : ارقامها ٣ ـ ٧ ، اختام : ارقامها ٨ ـ ٢١ .

(٤ ا) لقد كشف في موقع F3 (تل سعد) من فيلكا على معبد يعود في ادواره الثلاثة الى العصر البرونزى . انظر المخطط في Failaka ص ١٩ وتيريزا هـ. كارتر Theresa H. Carter في BASOR 207 (OCT.1972) ص ١٧ .

( ٥ ) اى ما يسمى باسلوب دلمون ، انظر F. Kjaerum, PSAS 10 (1980) 45-53.

( ٦ ) ان استعمال اسماء الآلهة على هذا النحو معروف ولا يحتاج الى تعليق . ونذكر على سبيل المثال الاله ادد Adad في المصادر المسمارية من شمال سوريا ، والذى كان يقصد به في الالف الثاني قبل الميلاد في بعض الحالات الاله المحلي تشوب Tessub.

( ٧ ) ذكر كورنول P.B.Cornwall راى كرامر S.N.Kramer المشار اليه في JCS 6 (1952) ص ١٤١ والصفحة التي تليها .

( ٨ ) يذكر كرامر S.N.Kramer الجملة الواردة في VS 2, 5 ii 52 والتي تصف بلاد دلمون بانها « مقدسة ، بلاد القوى الالهية (me) الطاهرة » [....] MI. TUK Ku-Kur me-e sikil-La [.......] ويربط كرامر S.N.Kramer العبارة الاخيرة ( انظر بهذا الشان نفس المؤلف BASOR 96,Dec. 1944 ص ٢١ ملاحظة ١٧ ) بما كان يقال عن بلاد اراتا Aratta بانها Kur-me-sikil-La

انظر الآن Adele Berlin, Enmerkar and Ensuhkesdanna, P. 75. الا ان المقصود هنا بكلمة kur هو « جبل » وليس « بلاد » ، اى ان اراتا Aratta هى « جبال القوى الالهية (me) الطاهرة » . قارن ايضا Gertrud Farber-Flugge, Der Mythos "Inanna und Enki", p. 125 والتي يبدو انها لا تجد فرقا بين العبارتين .

( ٩ ) انظر حول هذا الاله W. Hinz, RIA 5, 117-119.

(١٠) JCS 6, 142[54].

(١١) لا داعي للتذكير ان هذا هو المقصود ، بالرغم من ان كورنويل يشير الى ان للعلامة NIN قراءة min كما ورد في احد الفهارس . ومحاولة الرجوع الى قراءة NIN = Min مرفوضة . اذ عندما نقرا العلامة الاولى في اسم min s$^{d}$Nin-sikil-la ، يفقد الاسم معناه ، وبالتالى اصله السومرى . وهذا يتعارض مع الافتراض الاساسي بان اسم الالهة الدلمونية قد تطور من اسم سومرى . ويفسر فالكنشتاين A.Fal-kenstein في ZA 56 (1964) 77 الاسم بشكل مشابه ، اى انه قد تطور من $^{d}$Nin-sikil-ak (مضاف ومضاف اليه : « سيدة الطهارة » ) مع تغير مقطع nin الى min .

(١٢) يذكر كورنويل P.B.Cornwall المواضع التي ترد في اسطورة « انكى Enki ونين ـ خورساج Ninhursag » ( انظر الشاهدين ٢٦/١ ، ٢٦/٢ ) . الا انه لا ينبغي للكاف في علامة الجر ak ان تظهر في هذه الامثلة . ولا يتوقع المرء ايضا ظهورها في اسم الالهة كما ورد في نشيد جوديا Gudea ( رقم ٢٤ ) ، اى قبل حرف الدال في اشارة da- ( انظر A.Falkenstein,Anor 28, 93) .

(١٣) ZA 56 (1964) 77 .

(١٤) AnOr 30,109 . ويرى فالكنشتاين A.Falkenstein ان اسم $^{d}$Nin-za-ga يحتوي على كلمة za (g) « المكان المقدس » او « الحرم » (za(g) = asirtu) . ويفسر الاسم كمضاف ومضاف اليه ، اى « سيد الحرم » . وفي ذات المكان يقول فالكنشتاين A.Falkenstein ان اسم $^{d}$Nin-za-ga هذا قد اصبح يعرف فيما بعد باسم $^{d}$En-za-ak . الا ان فالكنشتاين يخلط هنا بين صيغة $^{d}$In-za-ak ( رسالتي نيبور ، ١/٢٢ ، ٢٣ ) والصيغ التي تبدا بـ en في النصوص الادبية المتاخرة . اما صيغة « $^{d}$En-za-ak » فغير موجودة . لاحظ الصيغة en-za-ak التي ترد في نقش ملكي من سوسا ( رقم ٤٨ ) .

(١٥) AnOr 30,107 . هنا ايضا يترجم فالكنشتاين A.Falkenstein الاسم « سيدة الطهارة » .

(١٦) الرأى الشائع بالنسبة لعلاقة nin بـ en هو ان الاولى هي الاقدم وتعني « سيد » و « سيدة » في ذات الوقت ، حيث ان اللغة السومرية لا تعرف التفريق بين المذكر والمؤنث . وربما كانت الصيغة الاصلية لهذه الكلمة nen* ، والتي منها تطورت كلمة en « سيد » مع اسقاط النون الاولية .

(١٧) ان مجرد ذكر « تمور دلمون » في نصوص وادى الرافدين لا يعني بالطبع ان هذه التمور مستوردة من دلمون . الا ان هذا يدل بالتاكيد على ان زراعة النخيل كانت موجودة على نطاق واسع في دلمون في فترة من الفترات ، على جميع الاحوال قبل الالف الثاني ق.م. انظر حول هذه المشكلة K.Kessler في BBVO 2,147-161 . وتجدر الاشارة هنا الى العدد الكبير نسبيا لاختام فيلكا التي تحتوى على موضوع النخلة ( انظر الهامش التالي ) . الا ان هذه الاختام ( اسلوب دلمون ) التي يعود اقدمها الى عصر السلالة الثالثة لأور وفترة اسين ـ لارسا Isin-Larsa ( انظر P.Kjaerum في PSAS 10,1980,46 ) قد تعكس مرحلة اقدم من التاريخ الفعلي لتلك الاختام .

(١٨) يرد موضوع النخلة او غصنها في عدد كبير من اختام فيلكا الدائرية . واذكر هنا على سبيل المثال وليس الحصر المجموعات التالية ( الارقام حسب P.Kjaerum, Seals ) :

- رجل في الوسط وغصن النخلة الى الجانبين او جانب واحد : ٤٩ ، ٣٥٠ ( ختم انكي Enki ) ، في الوسط رجل جالس وآخر واقف وغصن النخلة الى الجانبين : ٣٠٢ ، ٣٥١ .
- الثور او انسان ـ ثور وغصن النخلة : ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٣٥٠ ( ختم انكي Enki ) .
- النخلة : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ .

النخلة والثور موجودان ايضا على بعض كسر من حجر الستيتايت ( انظر تيريزا هـ. كارتر Theresa H. Carter في BASOR 207, Oct. 1972 ص ٢٢ ) .

تجدر الاشارة هنا الى دراسة Elisabeth C.L. During Caspers في East and west 23 (1973) ص ٧٥ وما بعدها حول ابنية دائرية من الحجر من موقع باربار في البحرين تعود الى فترة باربار II و III ( القطر الداخلي للبناء ١,٨٠م والخارجي ٢,٦٠م ، العلو غير معروف . الا ان الابنية كما تقول المؤلفة لا تمثل آبارا او خزانات مياه ) . وترجح المؤلفة انه كانت تزرع في تلك الابنية اشجار مقدسة ، على الاغلب نخلات ، لاغراض دينية .

(١٩) MIO 12 (1966/67) ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢٠) كلمة ل خ م بالعبرية تعني « خبز » ( تقابل في العربية « لحم » ) ومنها مشتق فعل بمعنى « اكل » ، لاحظ ايضا lahamu بمعنى « أكل » في الاكدية المتاخرة ( انظر AHw ص ٥٢٧ ) .

(٢١) نابو Nabu هو ابن مردوك Marduk، الاله الرئيسي لبابل منذ الالف الثاني قبل الميلاد .

(٢٢) نين ـ سيكيلا Nin-sikila هذه هي قرينة ليسى Lisi ، احد الآلهة التي كانت تعبد في نينا Nina ( صرغل الحالية في جنوب العراق ) . انظر الشواهد المدرجة تحت رقم ٣٦ .

(٢٣) الشواهد المدرجة تحت رقم ٣٨ تعني Enzaga ، احد اسماء الاله نوسكو Nusku .

(٢٤) حول هذه الاناشيد الدينية انظر W.G.Lambert في Near Eastern Studies ص ٣٣٥ وما بعدها . وقد كانت تعرف باسم ukkin-ta es-bar til-la ur-sag a-ma-uru hu-luh-ha . واني استشهد بهذه النصوص حسب تتابعها الذى توصل اليه W.G.Lambert ص ٣٣٦ ( الشاهدان ٣٩ ، ٤٠ ) . نصان ٤١ و ٤٢ ينتميان الى هذه المجموعة ولكن لا يعرف مكانهما فيها . نص ٤٣ ينتمي الى مجموعة شبيهة ( انظر S.Langdon في Gaster Anniversary Volume ص ٣٣٥ وما بعدها ) . شاهد رقم ٤٤ من مجموعة نصوص Su-ila .

(٢٥) المعبد الذى اشار اليه P.B.Cornwall,JCS 6,1952,14258 غير موجود على الاطلاق . انظر الآن A. Sjoberg, MNS 56,14 .

(٢٦) F.Vallat,BBVO 2,93-100

(٢٧) يذكر R.Zadok, Elamite Onomastoon ص ٤ اسم الاله Inzak الذى يرد في بعض اسماء الاشخاص من سوسا ( الارقام ٥٠ ـ ٥٣ ) . ويقول ان هذا الاله قد يكون له علاقة بـ En-zag/zag . المذكور في القوائم الفهرسية كنابو Nabu دلمون ( يشير R.Zadok إلى K.Tallpvist,StOr 7 صفحتي ٣٠٦ ـ ٣٠٧ . انظر هنا رقمي ٢٩/٢ ، ٢٧/١ ) . ويجد ان في التغير الحاصل في اسم هذا الاله بين $^{d}$En-zak و $^{d}$En-zak(zag) (zag) يشكل اثباتا على انه لا علاقة لهذا الاسم بالاله السومرى $^{d}$EN.ZAG . الا ان هذا الكلام غامض . اذ من هو الاله السومرى $^{d}$EN.ZAG ؟ هل المقصود هنا « EN.ZAG » . الذى يذكره K.Tallqvist ؟ ولكن هذا الاله يعني ايضا نابو Nabu دلمون ( انظر رقم ٢٨ ) . ومهما كان الامر فان التغير الحاصل بين ZAG و PA (zag) لا يثبت ان اسم نابو Nabu دلمون ليس سومريا . فمقطع zag يمثل على الاغلب كتابة صوتية لـ zag ، وفي هذه الحالة يمكن ترجمة الاسم كما هو الحال بالنسبة لاحد اسماء نوسكو ( رقم ١/٣٨ ) . وبالامكان اعتبار اسماء اله دلمون كما وردت في النصوص الادبية كاسماء سومرية ، سواء كانت تعني نابو Mabu دلمون ام غيره من الآلهة . الا أن هذا بحد ذاتـه لا يعني ان اسم الاله الدلموني كان ايضا في اصله سومريا . فالنصوص الادبية ، كما بينا في هذه الدراسة ، تحور الاسم الاصلي الى صيغة تبدو وكانها سومرية . على اية حال R.Zadok يذكر الصيغ من نصوص البحرين أو فيلكا ولا الصيغة الواردة في رسالتي نيبور . واخيرا تنبغي الاشارة الى ان ورود اسم عيلامى لأحد ملوك دلمون في النصوص الأشورية المتاخرة ليس دليل كافيا على ان انزك Inzak اله عيلامى . حول هذا الملك انظر الآن K.Kessler في BBVO 2 ص ١٤٧ ـ ١٦١ ، ملاحظة ٧٣ . غير انه ليس بامكاننا انكار امكانية الاصل العيلامى لهذا الاله ، وخاصة ان انزك كان الاله الشخصي لاحد حكام سوسا ( انظر رقم ٢/٤٨ ) .

# قائمة الشواهد

(١) Durand JRAS 1880 لوحة مقابل ص ١٩٣ :

E.GAL ²Ri-mu-um ³IR ᵈIn-za-ak ⁴sa A-ga-ru

«قصر ريموم Rimum، خادم الاله انزك Inzak اجارو Agaru

**ملاحظات** : لقد نوقش هذا النص عدة مرات ، واعيد نشر صورته أكثر من مرة . انظر آخر معالجة له لدى B.A.van Proosdij, Phoenix, 3, 90-97 النص يستعمل في السطر الرابع علامة sa (العلامة التي قرأت سابقـاً LU) بدلا من sa. لهـذا ارجع كـل من K.Butz و J.Renger النص الى فترة الكاشيين ، كما أشرت الى ذلك في كتابي RGTC 5, 339. انظر الان حول هذا الموضوع بالتفصيل K.Butz في BBV 2, 177-125 وتدل القراءة الجديدة على ان اجارو Agaru مرتبطة بانزك كارتباط المضاف والمضاف اليه ، وليس بريموم Rimum كما فسر النقش حتى الان . انظر ايضا شاهد رقم ٩ .

(٢) P.V.Glob, Al-Bahrain ص ٩٥ :

**ملاحظات** : يعود تاريخ هذا اللوح الطيني الى فترة الكاشيين ، وبشكل ادق الى فترة احد الملوك الكاشيين المعروفين باسم كاشتيلياشو Kastiliasu (بالامكان قـراءة اسم الملك من الصــورة : x MU Kas-til-ia₄-su) وليس بمقـدوري قـراءة بقيـة النص من الصـورة الفوتوغرافية غير الواضحة . الا ان جلوب P.V.Glob يذكر محتويات اللوح في ص ٩٤ . بناء على ذلك فالنص هو عبارة عن وثيقة اقتصادية تذكر بعض المأكولات يسلمها شخص ما الى «سيدة الخبز» (او الاكل ؟) (NIN. NINDA) و «سيدة الشرب» (NIN. NAG) .

(٣) G.Bibby, Dilmun ص ٢٧١ :

[E].GAL ᵈIn-za-ak «البيت الكبير لانزك Inzak

**ملاحظات** : لقد وجدت هذه الكسرة في موقع F3 اي تل سعد . ومن الصعب تحديد تاريخها على ضوء العلامات المسمارية ، الا انها تعود على الاغلب الى العصر الكاشي . ان كلمة e-gal «بيت كبير» تعني عادة «قصر» . وللاشارة الى المعبد تستعمل كلمة e اي «بيت» ونادرا ما ترد كلمة e-gal «بيت كبير» أو «قصر» بمعنى «معبد» انظر CAD E ص ٥٥

(٤) P.V.Glob, Al-Bahrain ص ١٣٤ :

[... E].GAL ²[...] EN? x ³[...] x x ⁴[...] IR? ⁵[...] A? R[I...]

**ملاحظات** : ان الخـراب الحاصـل في الكسرة لا يسمـح بترجمـة النص . يشير جلوب P.V.Glob في شرحه لصورة هذا النص انه يذكر دلمون والاله انزك Inzak "Insak" الا ان العلامة بعد EN لا تشبه كثيـرا علامـة ZAG ولا استطيـع تمييز ايـة علامـات لدلمون (NI.TUK او غيرها) . ويبدو ان بيبي G.Bibby يقصد هذه القطعة في كتابه ص ٣٥٥ .

(٥) Failaka شكل ٥٣ :

ᵐSu-x [...DUMU] ²ᵐIa-mi-[u?] ³sa Us-x [...]

«شو ... Su.... (اسم شخص [إبن] ياميو Iamiu من (عشيرة ؟) اشـ ... Us....

**ملاحظات** : قطعة من اناء حجري . اذا كان هذا النص يعود الى فترة الكاشيين فينبغي اضافة US... اي اسم المكان في السطر الثالث ، في كتابي RGTC 5

(٦) A.J. Ferrara, JCS 27 (1975) 232:

**ملاحظات** : حجر ضخم من الكلس عثر عليه فى فيلكا منقوش عليه نص يذكر قصر نبوخذ نصر ملك بابل . الا ان الحجر ، كما يرجح ناشر النص ، قد جلب الى فيلكا من منطقة أخرى لينقل فيما بعد الى قصر نبوخذ نصر .

(٧) **Failaka شكل ٣٢** :

[...] SES$^{?}$ X X DINGIR NIN$^{?}$ GAL$^{?}$ ta [...] $^{2}$[...] x x E/SA DUMU$^{?}$
DIS ra$^{?}$ [...] BI TIL$^{?}$.LA.NI [...] $^{4}$[...] x MUN BI [...] $^{5}$[...]
DINGIR[...]

**ملاحظات** : قطعة من اناء حجرى من حجر الستيتايت عثر عليها تحت جدران القلعة اليونانية فى منطقة F5. الصورة غير واضحة ومن الصعب التعرف على اسماء آلهة قد تكون مذكورة فيها .

(٨) **P.Kjaerum, Seals ص ١٢٧ ، شكل ٣١١** :

E$^{?}$RI UD $^{2}$U PA SU$^{?}$ NA$^{?}$

**ملاحظات** : من منطقة F3

(٩) **P.Kjaerum, Seals ص ١٥٣ ، شكل ٣٦٦** :

KISIB $^{m}$x $^{d}$x x $^{3}$DUMU$^{?}$ $^{m}$ZU-x-x-an $^{4}$IR $^{d}$In-za-ak $^{5}$sa A-ga-ru

«ختم ... (اسم شخص) ، ابن ... (اسم شخص) ، التابع للاله انزك Inzak اجارو Agaru »

**ملاحظات** : عثر على هذا الختم فى منطقة F6. ومن الصعب تحديد تاريخ الختم الذى لا يحتوى الا على صورة لثلاثة نجوم فى سطره الاول . الا انه على الاغلب يعود الى الفترة الكاشية (لاحظ استعمال علامة sa فى سطر ٥) . لقد قرأ السطر الخامس على هذا النحو الدكتور كيسلر Dr. K.Kessler وهذه القراءة تدل على ان اجارو Agaru هنا وفى الشاهد رقم ١ تعنى اسم مكان كان يعبد فيه الاله انزك . وحتى الآن فقد فسر شاهد رقم ١ على ان اجارو Agaru مرتبطة بريموم Rimum اى ان اصل هذا الشخص من منطقة اجارو Agaru أو انه ينتسب الى قبيلة بهذا الاسم .

(١٠) **P.Kjaerum, Seals ص ١٣٤ ، شكل ٣٥٠** :

a-na $^{d}$En-ki $^{2}$TIL.LA.A.NI.IR $^{3m}$Ri-iq$^{?}$-qa-tum

«للاله انكى Enki، من اجل حياته : ريقاتوم$^{?}$ "Riqqatum"

**ملاحظات** : نشر هذا الختم من قبل فى Failaka شكل ٨٢ ، رقم ٥ ، ولدى P.V.Glob, Al-Bahrain ص ١٢٢ ، و P.Kjaerum, PSAS 10 (1980) ص ٥١ ، شكل ١١ . عثر عليه فى منطقة F3، ويعود الى فترة الكاشيين . لقد قرأ جلوب P.V.Glob فى شرحه لصورة هذا الختم اسم الاله "Insak". وهذا لا يتفق مع علامات النص وبالاخص بالاعتماد على الصورة الواضحة فى آخر نشرة للختم لدى P.Kjaerum, Seals . وقد اختصر صانع الختم علامة ki لانها جاءت عند حافة الختم . من المؤكد ان $^{m}$Ri-ih-bi-tum اى القراءة السابقة لاسم صاحب الختم ، هى ليست صحيحة .

(١١) **P.Kjaerum, Seals ص ١٥٥ ، شكل ٣٦٨** :

Nam-ha-ni $^{2}$dumu Inim-ku

«نامخانى Namhani، ابن انيم ـ كو Inimku"

**ملاحظات** : نشر هذا الختم فى Failaka شكل ٦٤ ، ولدى P.Kjaerum, PSAS 10 (1980) ص ٥٠ ، شكل ١ . عثر عليه فى منطقة F6. التاريخ : السلالة الثالثة لأور . نامخانى Namhani وانيم ـ كو Inimku اسمان سومريان معروفان .

(١٢) P.Kjaerum, Seals ص ١٥٥ ، شكل ٣٧٠ :

$^{d}$En-ki $^{2d}$Dam-gal-nun-na

«انكى Enki ، دمجال ـ نونا Damgal-nuna»

**ملاحظات** : نشر هذا الختم من قبل فى Failaka شكل ٤٧ . عثر عليه فى منطقة F3 ، وهو يعود الى العصر البابلى القديم .

(١٣) P.Kjaerum, Seals ص ١٥٧ ، شكل ٣٧٦ :

kur-ba-su $^{2}$[x x] $^{3d}$AMAR.UTU— $^{4}$ni$^{?}$—x(—x)

«صلى الاله ... عليه : مردوك ـ ... ...Marduk»

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، ومن الفترة الكاشية . وعلى الاغلب ان اسم صاحب الختم مذكور فى السطرين الثالث والرابع . قارن الختم التالى والختم الذى نشره H.Limet فى Legendes رقم 506. ويبدا اسم الشخص باسم الاله مردوك Marduk وقد يكون اسم الشخص هو مردوك ـ نيشو Marduk-nisu لا أستطيع قراءة اسم الاله فى السطر الثانى .

(١٤) P.Kjaerum, Seals ص ١٥٩ ، شكل ٣٧٩ :

kur-ba-su $^{2}$x ki$^{?}$ Lil$^{?}$ $^{3}$DINGIR E SU— $^{4}$ri-me-ni$^{?}$

«صلى الاله ... عليه : ... ـ ريمينى»

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، الفترة الكاشية ، حفر العلامات على النقش ليس جيدا .

(١٥) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٣ ، شكل ٣٩٧ :

[...] ru NI + TUK$^{?}$

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، لم يبق من نقش الختم الا علامتان . وقد تكون العلامة الثانية NI+TUK ، اى الرمز المستعمل للتعبير عن «دلمون» . وان صحت هذه القراءة ، فانها تصبح عندئذ اول ذكر لدلمون من مصادر محلية ، وبالتالى اول اثبات مباشر على ان فيلكا هى ايضا تعنى دلمون .

(١٦) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٣ ، شكل ٣٩٩ :

$^{d}$MES UMUN DIM$_{4}$ $^{2}$DINGIR SA.LA.SU $^{3}$SAG$^{?}$-$^{d}$UTU$^{?}$ $^{4}$[DUMU$^{?}$] x x

«يـامردوك Marduk ، يـا ايها السيـد العـظيم ، الرحيم : ريش ـ شمشRes-Samas ابن ...»

**ملاحظات** : من منطقة F3 .

(١٧) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٥ ، شكل ٤٠١ :

**ملاحظات** : من منطقة F3 . النقش غير واضح .

(١٨) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٧ ، شكل ٤٠٥ :

$^{d}$MES UMUN DIM$_{4}$ $^{2}$DINGIR SA.LA.[SU] $^{3}$DU$_{10}$- $^{d}$UTU

«يامردوك؟ Marduk ، يا ايها السيـد العظيم ، الرحيم : طاب ـ شمش؟ Tab-Samas$^{?}$، ابن ... »

**ملاحظات** : من منطقة F3.

(١٩) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٧ ، شكل ٤٠٦ :

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، النقش غير واضح .

(٢٠) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٧ ، شكل ٤٠٨ :

$^{d}$ISKUR be-lu GAL $^{2}$DINGIR ri-me-nu-u $^{3}$tab-bi u-bi$^{?}$-ib$^{?}$ $^{4}$su-ul-li-im $^{5}$IR pa-li-ih-ka $^{6}$Ki-im-ru $^{7}$DUMU Ke-es-gal

«يا ادد ، ايها السيد الكبير ، الرحيم ، انت من خلقت ، جعلت طاهرا؟ ومعافى خادمك الذى يهابك : كيمرو Kimru ، ابن كيشجال؟ Kesgal? .

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، القراءة فى آخر السطر الثالث هى بناء على اقتراح جاء به الدكتور كيسلر Dr. K.Kessler والقراءة ليست اكيدة . قراءة اسم صاحب الختم وابيه ليست أكيدة .

**(٢١) P.Kjaerum, Seals ص ١٦٧ ، شكل ٤٠٧ :**

dEn-ki 2be-lu GAL? x 3AD AD? NU? 4DINGIR x pa a nu 5Za-ra-qum 6DUMU Ba-an-BE x

« يا انكى Enki ، ايها السيد الكبير؟ ..... : زراقوم Zaraqum ابن بانـ ... Ban»

**ملاحظات** : من منطقة F3 ، لاحظ ان نقش الختم لدى دمغه يصبح معكوسا .

**(٢٢ /١) NI 615 (A.Goetze, JCS 6, 1952, 143 الوجه الامامى ، سطر ٤ والسطر الذى يليه :**

dIn-zak, (SAG) u dMes-ki-la-a[k] 5DINGIR.MES sa NI.TUKki 6na-ap-sa-ti-ka li-is-s [u-r]u

**(٢٢ /٢) المرجع السابق اسطر ١٨ ـ ٢٢ :**

i-na li-it URU.KI sa- u-[...] 19i-na d30-nu-ri ki-[i] [...] 20u E DINGIR sa es-[...] 21E dNI[n-...] 22u [E] la-bi-[ir ...]

«فى ضواحى المدينة .. بالنسبة لما سمعته من سين ـ نورى Sin-nuri من ان ... المعبد ... فان هذا المعبد هو للالهة نين ـ ... ...-Nin والمعبد قديم ...»

**ملاحظات** : بخصوص بقية النص انظر ترجمة وتعليق A.Goetze .

**(٢٣) Ni.641 (A.Goetze, JCS 6, 1952, 143) اسطر ٧ ـ ١٩ :**

dIn-za-ak 8u dMes-ki-la-ak 9DINGIR.MES sa NI.TUKki 10na-ap-sa-ti-ka 19li-is-su-ru

**ملاحظات** : ينبغى قراءة علامة SAG فى اسم الاله بمقطع صوتى /zak/ بناء على الكتابة الواردة فى Ni 641 وهذا يمدنا بالقراءة السليمة لاسم الاله ، اى انزكInzak .

**(٢٣ أ) : CBS 4596**

fBal-ti-En-za-ak

**ملاحظات** : ذكر هذا الاسم A.T.Clay, YOSR 1, 62 وقد نبهنى الى وجود هذا الاسم الدكتـور كيسلر Kessler . يعنى الاسم «جلالى (هـو) انزك Enzak» وهـذا النوع من الاسماء شائع بين اسماء العبدات . لقد اشار الدكتور كيسلر Dr.K.Kessler ايضا الى اسم In-za-hu-da-ak المذكور فى ص ٥٦ يذكر هـذا الاسم ضمن الاسماء الكـاشية ، مفسرا اياه بانه يحتوى على العنصرين الكاشيين inza و hudak . والموضوع بحاجة الى استقصاء .

**(٢٤) Gudea Cyl.A 15 اسطر ١١ ـ ١٨ :**

dNin-za-ga-da a mu-da-ag 12urud-da-ni se-mah tum-a-gim

13gu-de-a lugal e-du-a-ra 14mu-na-ab-us-e 15dNin-sikil-a-da mu-da-ag 16gisha-lu-ub-gal-gal gisesi gisab-ba-hi 17ensi e-50-du-ra 18mu-na-ab-tum-e

«اوعز (جوديا Gudea) الى الاله نين ـ زجا Nin-zaga ، فاحضر هذا نحاسه لجوديـا ، الملك ، بانى المعبد ، وكأنه يحمل أحسن شعير ، وأوعز (جوديا Gudea) الى الالهة نين ـ

سيكيلا Nin-sikila ، فاحضرت هذه للامير باني معبد الخمسين الواح خشب البلوط وخشب esi و ab-ba»

**ملاحظات** : بالنسبة لترجمة النص انظر A.Falkenstein, AnOr 30, 184

**(٢٥) « انكي Enki وتنظيم العالم » ٢٣٨ ـ ٢٣١ :**

238 F 10 [kur]- [MI?] TUK- na mu-un. .si-x [....]
G 12 [ ...n] a mu. .un-sikil mu-un. .zalag
239 F 11 [...dN] in-sikil-la za- [ba] -[....]
G 13[ .. - si] kil-la za-ba nam-mi-in. .gub
240 F 12[...] [x] es-nun-se ba-an-sum ku6-b [i? ...]
G 14[ ...-nu] n-se ba-an-sum 15[...] -bi i-ku-e
241 F 13 [gisgisimmar] gan-zi-se ba-an-sum zu-lum [...]
G 16 [ ...] ba-an-sum 17[...] [ku] -e
K 1 [ ...] gan?-zi-se ba-an-sum zu-lum-b [i i]-ku-e

«طهر بلاد دلمون وجعلها نقية
وعين نين ـ سيكيلا Nin-sikila عليها
واعطى ..... حتى تأكل (دلمون) من اسماكه
وأعطى الحقول الطيبة نخيلا حتى تأكل (دلمون) من تموره»

**ملاحظات** : ان آخر نشرة لهذه الاسطورة موجودة عند C.A. Benito في Enki and Nin-mah ص ٨٢ وما بعدها (المقطع الذي نحن بصدده موجود في ص٩٨). وتمدنا النصوص التالية بالمقطع الذي يهمنا:

F = Ni 4554 (Inez Bernhardt/S.N.Kramer, WZJ 9, 1959/60, Tf.6) الوجه الخلفي.
G = Ni 9805 الوجه الامامي، العمود الاول (المرجع السابق)
K = PBS 12, 48 (انظر WZJ 9, 256)

**(١/٢٦) « انكي Enki ونين ـ خورساج Nin-hursag» اسطر ٧ ـ ١٢ :**

7 A dili-ni-de Dilmun (Mi.TUK)ki-a u-bi-in-na
B dili-mu-de Dilmun (MI. TUK)ki u-de-na
8 A ki dEn-ki dam-a-ni-da ba-an-da-na-a-ba
B ki-dEn-ki-ke4 dam-a-ni-ta ba-da-na-a-ba
9 A ki-be sikil-am ki-be zalag-zalag-ga-am
B ki-be sikil-la ki-be zalag-zalag-ga
10A dili-ni-de
B dili-mu-de Dilmun (MI.TUK)ki u-de-na
11A ki dEn-ki dNin-sikil-la ba-an
B ki dEn-ki-ke4 dNin-sikil-la ba-da-na-a-ba
12A ki-be sikil-am
B ki-be sikil-la ⟨⟨a⟩⟩ ki-be zalag-zalag-ga

« بعد ان نام (انكي Enki) معها على انفراد في دلمون،
ذاك المكان، الذي نام فيه انكي مع زوجته،

ان هذا المكان لطاهر، ان هذا المكان لمقدس.
بعد ان نام (انكي) معها على انفراد في دلمون،
ذاك المكان، الذي ضاجع فيه انكي Enki نين ـ سيكيلا Nin-sikila
ان هذا المكان لطاهر، ان هذا المكان لمقدس»

**ملاحظات** : اسطورة «انكي Enki ونين ـ خورساج Nin-hursag» منشورة عند S.N.Kramer في BASOR Supl. Studies. 1, 1945 يوجد بالنسبة للمقاطع التي تهمنا من هذه الاسطورة نسختان، الاولى PBS 10/1.:(A) العمود الاول، الثانية UET 6,1:(B) بخصوص تعبير dili-ni-de «هو على انفراد» في سطر ٧ ( B:«انا على انفراد»، خطأ)، انظر C.Wilcke,Lugalbanda 116 ZA 65, 1976, 240 و D.O.Edzard,ZA 62 و 1972,20 A.Sjoberg

من الواضح ان فعل na «استلقى، نام» في سطر ٧ يعني المضاجعة، وخاصة ان مع الفعل في نسخة B يظهر da-Infix-(بشكل -de-)، الذي يعني «مع». لاحظ ان الكاتب في سطر ١١ لا يكتب الـ da suffix- بعد اسم الالهة Nin-sikila وانه يفهم فعل na بمعناه الثانوي «ضاجع»، اي كفعل متعد. في الاسطر ١٠، ١١، ١٢ تكرار لأسطر ٧، ٨، ٩، لهذا يختصر كاتب نسخة A هذه الاسطر بعد dili-ni-de و ba-an و sikil-am على التوالي.

**(٢/٢٦) الاسطورة السابقة، اسطر ٣١ ـ ٣٥ :**

dNin-sikil-la a-a-ni dEn-ki-ra gu mu-un-de-e
uru mu-e-si uru mu-e-si nam-mu-si-ma-zu
Dilmun (MI.TUK) uru mu-e-si uru
[...] mu-e-si uru
[...] id-da nu-un-tuku-a

«نادت نين ـ سيكيلا Nin-sikila والدها انكي Enki:
مدينة اعطيت، مدينة اعطيت، انت حقا اعطيت
دلمون المدينة اعطيت، مدينة (اعطيت، انت حقا اعطيت)
[...] انت اعطيت، مدينة (اعطيت، انت حقا اعطيت)
الا انها لا تملك... ونهرا»

**ملاحظات** : استشهد بهذا المقطع حسب نسخة A العمود الأول. بالرغم من التشويه في النص، يفهم منه ومن رد انكي Enki في الاسطر التالية ان دلمون كان ينقصها الماء. لاحظ الاختصار في السطرين ٣٣ و٣٤. يرى كرامر S.N.Kramer BASOR Supl. Studies 1 ص٢٣، الملاحظة الخاصة بسطر ٣١، ان a-a اي «والد» مستعملة هنا للاحترام، ولا تعني علاقة قربى حقيقية بين انكي Enki ونين ـ سيكيلا .Nin-sikila

**(٣/٢٦) الاسطورة السابقة سطر ٢٦٧ والسطر الذي يليه:**

ses-mu a-nazu a-ra-gig ag-mu [ma-gig]
dEn-sa6-ag im-ma-ra-an- [tu-ud]

«يا اخي، اي عضو من جسمك يؤلمك ؟ ... يؤلمني.
اذن انجب لك انساج Ensag»

**ملاحظات** : حسب نسخة A العمود الثالث. يرد اسم الاله ضمن عدد من اسماء الآلهة، التي يقابل كل منها عضوا من اعضاء جسم انكي Enki. اما عضو ag الذي يقابله الاله انساج Ensag فمعناه غير واضح.

**(٤/٢٦) الاسطورة السابقة ، سطر ٢٧٧:**

[$^{E}$n-sa$_6$-a]g en Dilmun he-a

«ليكن انساج Ensag اله دلمون»

**محلاظات** : حسب نسخة ، العمود الثالث. من البديهي ان يقرأ اسم الاله (انظر ٢/٢٦) كـ $^{d}$En-sa$_6$-ag وليس $^{d}$En-sa$_6$-ag (انــظر F.Pomponio, Nabu ص ١٧٦، ملاحظة ١١٠) والكاتب الذي اراد ان يكتب اسم الاله بشكل صوتي، استعمل علامة SA$_6$ او SA$_6$، التي تعني ايضا «طيب، حلو». وكان بامكانه الاكتفاء بهذه العلامة التي تقرأ ايضا SAG$_5$، الا انه اراد ايضاح السين في الاسم فكتب بعد العلامة المعنية علامة AG للتدليل على ان علامة SAG$_5$ ينبغي قراءتها SA$_6$ بالاضافة الى ذلك ان استعمال الكاتب لهذه العلامة المعقدة بدلا من اية علامة اخرى يستحق الانتباه، حيث ان هذه العلامة هي ايضا العلامة التي تدل على «النخلة» وعندها تقرأ gisimmar وهكذا اومأ الكاتب بنوع من التلاعب على الالفاظ الى النطق الصوتي لاسم اله دلمون، وفي ذات الوقت الى علاقة هذا الاله بالنخلة، بالاضافة الى تقديم تفسير للاسم من عنده، اي «السيد الحلو».

**(٢٧) قائمة ان ـ أنو ـ شا اميلي An-Anu-sa-ameli السطران ١١٧ ـ ١١٨ :**
أنظر R.L.Litke, Reconstruction, ص ٢٥٧ . وصل الينا المقطع فى نسختين :

**(١/٢٧) K 4349 (CT 24, P1.42) السطران ١٠٦ ـ ١٠٧ :**

$^{d}$PA$^{ti}$ MIN (= $^{d}$AG) sa NI.TUK$^{ki}$
$^{d}$EN-zag (PA) MIN (= $^{d}$AG) sa NI.TUK$^{ki}$

«مواتى Muati ـ تكرار (اى : نابو Nabu) دلمون .
انزج Enzag ـ تكرار (اى : نابو Nabu) دلمون»

**(٢/٢٧) YBC 2401 (R.L.Litke, Reconstruction P1.XLVI) عمود ١٢ ، سطر ٤٠ :**

[Dil]-mu-un

**مـلاحظات** : لم يبق من هـذا السـطر الا الجـانب الايمن منـه اى البقيـة من اسم [Dil]-mu-un اى دلمون . وهذه النسخة لا تذكر الا اسما واحدا لنابو "Nabu" إله دلمون، وفى هذا ما يدعم رأى لامبرت W.G.Lambert بأن ناسخ ١/٢٧ قد أخطأ . لاحظ ان دلمون مكتوبة بشكل صوتي . انظر R.L.Litke ص ٢٥٧ ، ملاحظة ١١٧ .

**(٢٨) 5 R 43 السطران ١٥ ـ ١٦ :**

$^{d}$En-zag $^{d}$AG NI.T[UK$^{ki}$]
$^{d}$PA$^{a\text{-}ti}$ [MIN]

«انزج Enzag نابو Nabu دلمون .
موآتي Muati تكرار (اى : نابو Nabu).

**ملاحظات** : قراءة وترجمة النص ابتداء من سطر ١٣ موجودتان عند A.Pomponio, Nabu ص ١٥٦ وما بعدها ، بالنسبة للشطر الايمن غير وارد من سطر ١٦ قارن الشاهد التالى رقم ٢/٢٩ .

**(١/٢٩) Rm 610 (CT 25, P1.35) الوجه الامامي سطر ١٢ :**

[$^{d}$]LA-ha-mum MIN ( = $^{d}$Sar-pa-ni-tum) NI.TUK$^{ki}$

«لاخامون Lahamun تكرار (اى : صاربانيتو Sarpanitu) دلمون» .

(۲/۲۹) المرجع السابق سطران ۲۰ ـ ۲۱ :

$^{d}$En-$^{za-ag}$zag $^{d}$AG NI.TUK$^{ki}$
$^{d\ mu-u-a-ti}$PA MIN

«انزج Enzag نابو دلون
موآتي Muati تكرار (اى : نابو Nabu)»

(۱/۳۰) K29 (CT 25, Pl.36) الوجه الامامى سطر ۱۱ :

[La-ha-m]un MIN( = $^{d}$Sar-pa-ni-tum) NI.TUK$^{ki}$

[لاخامو]ن تكرار (اى : صاربانيتو) دلون .

(۲/۳۰) المرجع السابق ، سطران ۱۹ ـ ۲۰ :

[...]$^{za-ag}$zag $^{d}$AG NI.TUK$^{ki}$
[...][$^{u}$]$^{a-ti}$PA MIN

« [ان]زج Enzag نابو Nabu دلون
[مو]آتى Mauti تكرار (اى : نابو Nabu) »

**ملاحظات** : النص K 29 مطابق للنص Rm 610 المستشهد به تحت رقم ۱/۲۹ ، » «

(۱/۳۱) O.Neugebauer, Exact Sciences Pl.14 رقم ۵۰۰، الوجه الامامى، سطر ۱۰ :

$^{d}$Nin-sikil-la

**ملاحظات** : يرد اسم الالهة بين Irragal و Mamitu . ولا نعرف فيما اذا كان المقصود بنين ـ سيكيلا Nin-sikila هذه الهة دلون ، هذا بالرغم من ان القائمة الراهنة تحتوى في الوجه الخلفى على عدد من اسماء نابو Nabu. انظر F.Pomponio, Nabu ص ۱۵٦ ، ملاحظة ٤۰ .

(۲/۳۱) المرجع السابق ، الوجه الخلفى ، سطر ۱۰ :

$^{d}$En-zag

**ملاحظات** : هذا الوجه يحتوى على بعض أسماء نابو Nabu.

(۳۲) 5 R 43 الوجه الخلفى ، سطر ۲۹ :

$^{d}$Umun-zag $^{d}$AG EN a-sa-ri-du

«اومون ـ زج ، الاله الطليعى»

**ملاحظات** : يرد الاسم ضمن عدد من أسماء نابوNabu انظر F.Pomponio, Nabu ص ۱۷۵ ، ملاحظة ۱۰۵ . والاسم مكتوب بلغة النساء (eme-sal)، اى umun بدلا من «en

(۳۳) أن ـ أنوم An-Anum اللوحة الثانية ، سطر ۲٤٤ :

$^{d}$En-zag MIN (= sukkal $^{d}$Marduk-ke$_{4}$)

«انساج تكرار (اى : وزير مردوك Marduk) »

**ملاحظات** : استشهد بهذه القائمة بناء على نشرة R.L.Litke, Reconstruct ص ۱۱٦ النص هو YBC 2401 (انظر عند R.L.Litke لوحة ۱۳ ، العمود الرابع ، سطر٦) . الاسم مذكور ضمن عدد من أسماء نابوNabu (انظر R.L.Litke ص ۱۱٦ ، ملاحظة بشأن سطر ۲٤٤) .

(۳٤) أن ـ أنوم An-Anum اللوحة الرابعة سطر ۱۸ :

[$^{d}$][Min]-NI.TUK$^{ki}$ SU

«سيدة دلمون نفس القراءة (اى : Nin-Dilmun) »

ملاحظات : استشهد بهذه القائمة بناء على نشرة R.L.Litke, Reconstruction ص ١٦٩ . النص هو YBC 2401 (انظر عند R.L.Litke لوحة ٢٣ ، سطر ٥٧) .

(٣٥) H.de Genouillac, RA 20 (1923) 98 العمود الثالث ، سطر٤٢ :

dMes-[ki?-la-ak?]

ملاحظات : لقد كان P.B.Cornwall, JCS 6, 142 اول من نبه الى امكانية قراءة الاسم الالهة هنا .

(١/٣٦) ان ـ أنوم An-Anum اللوحة الثانية ، سطر ٧١ :

A dNin-sikil-la dam-bi-sal

B dNi[n-sikil]-la dam-bi-sal

نين ـ سيكيلا Ninsikila قرينته (اى قرينه Lisi) »

ملاحظات : انظر نشرة R.L.Litke, Reconstr. ص ٥٥

A = CT 24,26,113 ، B = YBC 2401 (R.L.Litke لوحة ٩ ، سطر ٣٢) .

(٢/٣٦) H. de Genouillac, RA 20 (1923) 98 العمود الثامن ، سطر ١٩ :

dLi9-si4

dNin-sikil-la

(٣/٣٦) KAV 63 العمود الاول ، سطر ٩ :

dLi9-si4

dNin-sikil-la

(٤/٣٦) KAV 65 العمود الاول ، سطر ٩ :

dLi9-si4

dNin-sikil-la

(٥/٣٦) R.S.20.121 (Ugaritica 5, 411) العمود الاول ، سطر٩ :

dLi9-si4

dNin-sikil-la

ملاحظات : بالنسبة للارقام ٣٦/٥ ، ٣٦/٦ ، ٣٦/٧ انظر المرجع السابق ص ٢١٢ .

(٦/٣٦) R.S.20.195A (Ugaritica 5, 413) سطر ٩ :

dLi9 - [S]i4

dNin-sikil-MA-la

(٧/٣٦) R.S.23.459 (Ugaritica 5, 413) سطر ١٠ :

dLi9-si4

dNin-sikil-MA-la

(٨/٣٦) MSL 4, 6 سطر ٣٧ :

[d]Gasan-sikil-la dNin-sikil-la [dam- d]NE -si4

«جاشان ـ سيكيلا Gasan-sikila نين ـ سيكيلا Nin-sikila قرينة ليسى Lisi»

ملاحظات : لدينا من هذا المقطع نسختان :

A = K 171 + K 2112 (2 R 54, 2)

C = Bu 91-5-9 (CT 25,43) + Ki 1904-10-9, 14 (King, Cat. Suppl. No 51, 23-47)

نشرت K 171 في عدد من النشرات متفاوتة الجودة . منها 2 R 59 استشهد بالمقطع هنا كما هو مذكور في MSL 4 المقطع يعطى قراءة Nin-sikila بلغة النساء (eme-sal) ، اى Gasan-sikila

(٩/٣٦) L.S.Speleers, RIAA 174 III 19:

Lu-Hu-rim[ki] [19]gudu₄ [d]Nin-sikila

Lu-Hurim ، كاهن gudu₄ للالهة نين ـ سيكيلا Nin-sikila »

**ملاحظات** : من عصر السلالة الثالثة لأور .

(٣٧) **F.-M. Allotte de la Fuye, DP 53 العمود الثامن ، سطر ١٠:**

[d]Nin-[x]-za-ga

**ملاحظات** : من عصر ما قبل الفترة السرجونية . غير اكيد .

(١/٣٨) **H.de.Genouillac, RA 20 (1923) العمود الثالث ، سطر ٣٦ :**

[d]En-za-ga

**ملاحظات** : كما اشار R.L.Litke, Reconstruction 70 لا علاقة لهذا الاله بانزج Enzag ، نابو Nabu دلون (الارقام : ١/٢٧ ، ٢٨ ، ٢/٢٩ ، ٢/٣٠ ، ٢/٣١ ، ٣٢ ، ٣٣)، لانه يرد هنا (لاحظ سطر ٣٨) وفي ٣/٣٨ ضمن اسماء الاله نوسكو Nusku . قارن ٣/٣٨ وعلى الاغلب ان اسمه يعنى «سيد اليمنى» (zag «الجانب الايمن») .

(٢/٣٨) **ان ـ انوم An- Anum اللوحة الاولى سطر ٢٥٤ :**

[[d]] [En..za]..ga     MIN

« [ ان ـ ز ] جا تكرار ( اي : نوسكو Nusku ) »

**ملاحظات** : النص المستشهد به هنا هو YBC 2401 (انظر R.L.Litkeاللوحة ٥، سطر ٤٣).

(٣/٣٨) **MSL 4,4 السطران ١٣ ـ ١٤ :**

[[d]Umun-mu]-u-a  [d]En-PA(zag)  [d]Nusku
[[d]Umun-mu]-du-ru  [d]En-PA (zag)  [d]Nusku

**ملاحظات** : يوجد لهذا المقطع نسختان :

A = K 171 (2 R 59) + K 2112 (2 R 54, 2)
D CT 25, 45

بالنسبة لنسخة A انظر رقم ٨/٣٦. استشهد بهذا المقطع كما هو مذكور في MSL 4. النص يعطي قراءتين لاسم Enzag، احد اسماء نوسكو Nusku، بلغة النساء (eme-sal)، وهما Umunmua و Umunduru.

(٣٩) **SBH No. 12 الوجه الخلفي ، سطر ١٢ :**

ur-sag [d]ZMu-ze-eb-ba-sa₄ -a Kala-Kala-ga: umun [d]En-za-g [a[?] ...]

«المحارب ، موزيباسا Muzebbasa، القوي: السيد انزجا Enzaga»

**ملاحظات** : اللقب [d]Mu-ze-eb-ba-sa₄-a بلغة النساء (eme-sal)، ويقابل [d]Mu-du₁₀-ga-sa₄-a في اللغة السومرية العادية، ومعنى هذا الاسم: «الملقب باسم جميل». انظر حول لقب نابو Nabu هذا F.Pomponio, Nabuالصفحتان ٧ ـ ٨.

(٤٠) **W.G.Lambert في Near Eastern Studies ص ٣٤٦، سطر ٩:**

umun [d]En-za-ga uru-ni-a  na

«السيد انزجا Enzaga الذي جعل مقادير مدينته حسنة»

**ملاحظات** : علامة na في نهاية السطر اختصار للعبارة الواردة في سطر ٦: na-am- ze-eb ba-an-tar-re، وهي بلغة النساء (eme-sal) وتعني: «الذي جعل مقادير مدينته حسنة».

**(٤١) K 9312 (Th.J.Meek, BA x/I,p. 97) (رقم ١٨)**:

[$^{d}$Mu-ze-eb-ba]-s [$a_4$-a ...]
$^{d}$AG dumu nun-na [...]
ibila E-sag-il-L[a ...]
$^{d}$En-zag ki-tus [...]
ama $^{d}$Ba-$ba_6$ gasan uru-k [u ....]
e-lum na-am zu ka-nag- [ga ...]
kab-tum be-lum mu-du-u si-mat ma-[ti] [...]

| | |
|---|---|
| alim-ma | ur-sa[g-gal ...] |
| [ur] -sag-gal | umun-$^{d}$E [n-zag] |
| [umun-TI]N.TIR$^{ki}$ | umun- [E]- [sag-il-la] |
| [alim]-ma | umun- [Bad-si-ab-ba] |
| [umun]-[E]-zi-da | umun [...] |
| [umun E-d] ar-a-an | [...] |
| [$^{d}$AG] dumu-nun-na | [...] |

[a-a tu] -ud-da Uru-ze-eb-ba [$^{ki}$-$ke_4$ ...]
[dumu] nun-gal [a-a $^{d}$En-zag ...]
[d] im-me-er [mah-a me sen-sen-na ti-na ba-gub-ba]

«موزيباسا Muzebbasa [...]
نابو Nabu ، ابن الامير [...]
وريث معبد ايسانجيلا Esagila [...]
انزج Enzag ، قاطن [...]
الأم بابا Baba ، سيدة المدينة المقدسة [...]

---

المبجل ، السيد الذي يعرف مصير البلاد
(الترجمة الاكدية)

| | |
|---|---|
| المبجل | المحارب العظيم |
| المحارب العظيم | السيد انزج Enzag |
| سيد بابل | سيد معبد ايسانجيلا Esagila |
| [المبجل] | سيد بورسيبا Borsippa |
| [سيد] معبد ايزيدا Ezida | سيد [...] |
| [سيد] معبد ايتيمي انكي Eteme-anki | سيد [...] |
| [سيد] معبد ايدارانا Edaran | سيد [...] |
| [نابو] Nabu ابن الامير | [...] |

[الوالد] الذي انــجــب اوروزيــبــا
Uruzebba
[ابن] الامير ، العظيم [الوالد ، انزج]

[اسمى] اله [بين الآلهة، الذي يهب الى المعركة والقتال بضراوة]
**ملاحظات** : نشر هذا النص من قبل عند D. Macmilan, BA V/5 رقم ٢٨.
النص مكتوب بلغة النساء (eme-sal). يكمل F.Pomponio, Nabu 175[106] السطر الرابع كما يلي: [ki-tus[Dilmun?] ]، اي «قاطن [دلمون]». الا ان هذه التكملة ليست اكيدة. اسم مدينة اريدو Eridu في سطر ١٦ مكتوب بلغة النساء، اي Uruzbbaبالنسبة للتكملة في الاسطر ١٦ـ١٨، انظر النص التالي رقم ٤٢.

**(٤٢) Rm.272 (Th. Meek, BA 10/1,98) رقم ١٩، الاسطر ٣ـ٥:**

[$^{d}$ AG dumu nun ga]l ki-tus [...]
[a-a tu]-ud-da Uru-ze-eb-b [a-$^{ki}$ -ke$_4$]
[dumu n] un gal a-a $^{d}$En- [zag]
[dim-me-e] r mah-a me sen-sen-na ti-na ba-gu [b-ba]
[...] x DINGIR. MES sa AS qap-lim u ta-ha-zi da-ap-nis iz- [za-zu?]

«نابو Nabu ، ابن الامير، العظيم ، قاطن [...]
الوالد ، الذي انجب اوروزيبا Uruzebba
ابن الامير ، العظيم ، الوالد انزج Enzag
اسمي اله بين الآلهة، الذي يهب الى المعركة والقتال بضراوة»

**(٤٣) K 11652 (BL No. 28) والسطر الذي يليه:**

$^{d}$Mu-ze-eb-ba- [...]
umun $^{d}$En-zag

**ملاحظات** : لهذا النص علاقة بالنصوص ٣٩ـ٤٢، ولكنه لا ينتمي اليها (انظر لامبرت W.G.Lambert في Near Eastern Studies ص٣٥١). النص الراهــن مــطابــق لنص BM 78878 الذي نــشــره S.Langdon في Gaster Anniversary Volume ص٣٣٧ والصفحة التي تليها وص٣٤٨. الا ان النسخة الاخيرة تذكر $^{d}$Na-bi-um في الترجمة الاكدية، اي نابو Nabu بدلا من انزج Enzag:

$^{d}$Mu-ze-eb-ba-sa$_4$-a [Uru]-zu me ma-an-gi
$^{d}$N-bi-um [a-la-] ka ta-ha-zu il- [ta-mi]

**(٤٤/١) KAR 23 II السطران ١ ـ ٢ :**

$^{d}$[AG EN] [...]
$^{d}$En-za [g ...]

**(٤٤/٢) LKA 40 الوجه الامامي ٧ ـ ٨ :**

[...] me-ris-ti mu-dis-su n[u...]
[... a]m?-iu? [..........] UN.MES ta- [...]

**(٤٤/٣) LKA 57 الوجه الامامي ، السطران ١٠ ـ ١١ :**

$^{d}$AG EN mi-ris-t [i...]
[$^{d}$En-zag] ma-am-lu k[ul-lat ....]

(٤٤/٤) LKA 40a الوجه الامامي ، السطران ٩ ـ ١٠ :

$^{d}$AG EN mi-ris-ti x-su-u nu-uh-si

$^{d}$EN-zag ma-am-lu kul-lat UN.MES ta-pa-qid

**ملاحظات** : النسخ المذكورة تحت ارقام ٤٤/١ ـ ٤ تنتمي الى مجموعة Su-i la المنشورة عند E.Ebeling,AGH. والمقطع الذي يعنينا موجود على ص ١٦، السطران ٩ـ١٠، وترجمته حسب ٤٤/٤:

«نابو ، سيد الزرع ، مجدد الخصوبة

انزج Enzag ، الباسل ، يا من يرعى كل الناس»

(٤٥) Erica Reiner, JNES 33 (1974) 225 الاسطر ١٢ ـ ١٤ :

12 A [U-r] a-al-la U-ra-al-la-ka su-a-ab-dil

C [...] (traces) su-[a]-[...]

13 A [ina] [E]-kar-ra $^{d}$Su-luh-hi-tum DAM $^{d}$[En]- [zag] u Mes-ki- [lak]

C [...] (traces)-tu al-ti $^{d}$En-zag $^{d}$Mes-ki-lak [...]

14 A [x x] x sa be-x i-qap-bu- u-ni ana -[ku-ma] $^{d}$Na-n [a-a]

«...... (غير مفهوم)

في معبد ايكارا Ekarra ، شولوخيتو Suluhhitu، قرينة انزج Enzagوميسكيلاك Meski-lak ... ... هكذا يسمونني، ولكن انا نانايا Nanaya»

**ملاحظات**: يوجد بالنسبة للمقطع الذي يذكر انزج Enzag وميسكيلاك نصان وهما A)k 3933، عند راينر Reiner بدون نسخة) و LKA 37 (C). السطر ١٢ غير مفهوم، ويرد في اوله الاسم الجغرافي U-ra-al-la، الذي لا استطيع تفسير علاقته بدلمون. وعلى الاغلب ان سطر ١٤ يحتوي في مطلعه على ذكر لدلمون. لاحظ العلامة BE التي تقرأ dil. الا انني غير قادر على التأكد من هذه القراءة بدون نسخة، وراينر Erica Reiner تذكر be-xفقط. وربما احتوى السطر على ما يلي: «[سكان] دلمون هكذا يسمونني، ولكن انا نانايا Nanaya». ترى راينر Reiner (ص٢٣٤) انه لا يمكن الجزم فيما اذا كان اسم نين ـ سيكيلا Nin-sikila هو الاسم السومري المقابل لـ Suluhhitu. وترى ايضا، بالاعتماد على النص الذي نحن بصدده هنا، ان ميسكيلاك Meskilak هو اسم اله وليس آلهة (ص ٢٧٤ هامش ٧)، وانه بناء على ذلك لا يمكن ان يكون قرين Enzag. وانا شخصيا لا اوافق على هذا الراي، وثمة عدد من الحجج تدحضه. فالتحية الموجودة في مقدمة خطابي نيبور والتي تذكر الالهين انزك Enzak وميسكيلاك Meskilak (رقم ٢٢/٢٢،١) دليل قوي على ان هذه الاخيرة إلهة وليست إلها. ولو افترضنا ان ميسكيلاك Meskilak إله وليس إلهة، لكان علينا تبرير وجود إلهين رئيسين لدلمون وهذا صعب. اضف الى ذلك انه من المؤكد ان اسم إلهة دلمون كما يرد في مصادر وادي الرافدين، اي نين ـ سيكيلا Nin-sikila يعني فعلا إلهة، كما هو واضح في اسطورة «انكي Enki ونين ـ خورساج Nin- hursag» (رقم ٢٦/١)، وهي قرينة انكي Enki. ومن المؤكد ايضا ان شولوخيتو Suluhhutu كما ترد في نص راينر Reiner هي قرينة إلهين، وحسب النص، ذكرين. فكيف يفسر هذا الامر الغريب فيما اذا لم نفترض ان كاتب النص نظر الى الاسمين كاسم واحد؟ اما اسم Suluhhitu فهو على الاغلب نسبة من كلمة Suluhhu، والتي تعني «التطهير». فالاسم يعني بناء على ذلك: «تطهيرية» او «ذات التطهير». وفي الترجمة الاكدية بعض التحوير لمعنى الاسم بشكله السومري (نين ـ سيكيلا Nin-sikila: «سيد الطهارة» او «ذات الطهارة»).

(٤٦) قائمة المعابد KAV 84A سطر 6a وما بعده:

[...] Dil-mun[ki] : is-ha-a

[...] E-kar-ra E $^{d}$[x] [...]

[...] Dil-mun[ki] $^{d}$[x] [...]

**ملاحظات** : اسم المعبد يعني «معبد الميناء»، وقد يكون في هذ الاسم اشارة الى ان المعبد الرئيسي لمدينة دلمون (في البحرين؟ فيلكا؟) كان يقع في الميناء البحري للمدينة.

(٤٧) Erica Reiner, Afo Beih.ii ص ٤١، سطر ٣٧:

$^{d}$En-zag $^{d}$Mes-ki-lak

**ملاحظات** : يرد المقطع الذي يعنينا في اللوحة الثامنة من ترانيم شوربو Surpu. وثمة ثلاثة نصوص تذكر اسطر هذا المقطع، واحد منها فقط منشور بشكل نسخة، وهو -S.A.Smith MAT, سطر ٢٠.

(٤٨/١) MDP 28 ص ١٠، رقم ٧ :

a-na $^{d}$MUS. [EREN] $^{2d}$E-a u [En]-za-ak $^{3}$be-li-su a-na ba- [la-at] $^{4}$Ku-te-er-na-ah-hu-un- [di] $^{5}$[u] Te-em-ti-A-gu-un $^{6}$[sa]-al-mu-su i-du- [ul]- [ma] $^{7}$E.DU.A u ma-la-kam $^{8}$[s]a e-pi-ir-tim i-pu [us]

(٤٨/٢) MDP 6 ص ٢٥ (لوحة ٧، رقم ٢):

1 [...] [u] En-za-ak be-li-su a-na ba-[la]-at [...]

2 [u] Te-em-ti-a-gu-un sa-al-[mu-] su[?]

3 [i-du-ul-m] a E u ma-la-kam sa e-pi-ir-tim i-pu-us

«الى انشوشيناك Insusinak وايا Ea وانزك Enzak سيده، من اجل حياة كوتير ـ ناخوندى Kutir-Nahhundi (ومن اجل حياته) ... وتمتي ـ آجون Temti-agun ... وبنى كل المعبد والمدخل المصنوع من الآجر».

**ملاحظات** : نقش الطابوق ٤٨/١ منشور ايضا عند V.Scheil, RA 29 ص ٦٩. ونقش ٤٨/٢ مشابه لرقم ٤٨/١. واترجم النقش حسب ٤٨/١. وتجدر الاشارة الى ان هذا النقش هو عبارة عن نسخة لنقش قديم، انجزت فى عصر شيلهاك ـ انشوشيناك Silhak-Insusinak، اى فى العصر البابلى المتوسط. اما النقش القديم فيعود الى فترة تمتي ـ آجون Temti-agun وابيه كوتير ـ ناخوندى الاول، اى العصر البابلى القديم. وفى النقش كثير من الغموض، وبحاجة الى المزيد من الدراسة. انظر W.F.Konig, AfO Beih 16,88[6] و W.Hinz Das Reich Elam. Stuttgart 1964 ص ٨٢. والذى يهمنا من هذا النص ان الاله انزك يرد بدون اشارة الالوهية (dingir). وتنبغى الاشارة الى ان الضمير فى be-li-su «سيده» يعود الى تيمتي ـ آجون Temti-agun اى ان انزك Enzak هو «سيد» هذا الحاكم. ويذكرنا هذا الامر بظاهرة «الاله الشخصي» المعروفة، حيث كان للفرد فى العراق القديم اله خاص به، يقوم بحمايته. وورود انزك Enzak كاله شخصى لحاكم من سوسا يدعم رأينا بان هذا الاله هو أحد الآلهة المحلية فى سوسا.

(٤٩) M.Lambert, RA 70 (1976) صفحتا ٧١ ـ ٧٢ :

Mi-[il]-ki-El DUMUN $^{5}$Te-em-$^{d}$[x]-za-ak

**ملاحظات** : لقد أشار G.Bianchi الى ان هذا النص هو نفسه المنشور سابقا فى MDP 28 رقم ٤٣٦ (انظر فالا فى BBVO 2 ص ٩٣ وما بعدها، ملاحظة ١٠). العلامة التى نقرأها كـ x، غير واضحة فى النسخة المنشورة للنص. وربما جازت قراءتها EN كما قراها لامبير M.Lambert بالاستناد الى اسم الاله كما ورد فى رقم ٤٨. الا انها قد تكون ايضا

IN ، كما هو الحال فى بقية الاسماء التى ورد فيها اسم الاله انزك Enzak الاسم الراهن اكدى ويعنى «ارادة انزك Inzak » .

(٥٠) MDP 28, 434 سطر ٤ :

I-din-In-za-ku

**ملاحظات** : ذكر هذا الاسم W.F.Leemans, Trade ص ١٤١ ، ملاحظة رقم ٢ . انظر أيضـا R.Zadok, Elamite Onomasticon ص ٥٧ . ومعنى الاسـم «وهب انـزاكـو Inzaku » الضمة فى الاسم للتعبير عن الرفع .

(٥١) MDP 28, 423 سطر ٨ :

Ku-un-In-za-ki?

**ملاحظات** : قد تكون العلامة الاخيرة ak ، اى In-za-ak . ذكر هذا الاسم فالا F.Vallat فى R.Zadok, Elamite Onomastion, BBVO 2, 93 ص ٤ ، وقد تكون ku-un لها علاقة بكلمة kunu والتى تعنى «ثبات» الا ان المقطع قد يكون له علاقة بكلمة عيلامية ، كما اشار الى ذلك R.Zadok فى Elamite Onomasticon ص ٤ (انظر ص ٢٣ تحت 105a) .

(٥٢) MDP 22, 146 سطر ٢٠ :

In-za-ki

**ملاحظات** : ذكر هذا الاسم R.Zadok, Elamite Onomast ص ٥٧ . وهو اسم مختصر ، اى باسم الاله فقط . قارن رقم ٥١ .

(٥٣) MDP 28, 550 سطر ٧ :

Wa-tar-In-za-ak

**ملاحظات** : ذكر هذا الاسم R.Zadok, Elamite Onomast ص ٥٨ . والاسم اكـدى ويعنى «تعالى انزك Enzak » .

(٥٤) MDP 28, 10 السطر الاول :

dNin-zag

**ملاحظات** : V.Scheil ناشر النص يعتبر هذا الاسم كاسم الهـة . مقارنـا اياه بـاسم Nin-za-ga الوارد فى نشيد جوديا Gudea (رقم ٢٤) . ولكننا نعرف الآن ان الاسم الاخير لا يعنى الهة وانما الها . بالنسبة لـ nin «سيد» انظر اعلاه هامش ١٦ .

# المراجع والاختصارات

يجد القارىء المراجع والاختصارات المستعملة هنا عند :

R. Borger, Handbuch der Keilschriftliteratur I, Berlin 1967, II, Berlin + New York 1975.

بالاضافة الى ما يلي :

BBVO 2 = D. Potts (ED.), Dilmun: New Studies in the Archaeology and Eaerly History of Bahrain. Bahrain. Berlin 1983 (= Berliner Beitrage zum Vorderen Orient 2).

C.A. Benito, Enki and Ninmah = C.A. Benito, "Enki and Ninmah" and "Enki and the World Order". Dissertation, University of Pennsylvania 1969.

Adele Berlin, Enmerkar and Ensuhkesdanna = Adele Berlin, Enmerkar and Ensuhkesdanna. Philadelphia 1979.

G. Bibby, Dilmun = G. Bibby, Dilmun. Die Entdeckung der altesten Hochkultur. Reinbek bei Hamburg, 1973.

East and West = East and West (Roma)

Failaka = Archaeological Investigations in the Island of Failaka 1958 — 1964. Kuwait.

Gertrud Farber-Flugge, Der Mythos "Inanna und Enki" = Gertrud Farber-Flugge, Der Mythos "Inanna und Enki" under besonderer Beruck-sichtigung der Liste der me. Roma 1973.

Gaster Anniversary Volume = B. Schindler (Ed.), Gaster Anniversary Volume. London, 1936.

P.V. Glob, Al-Bahrain. De danske ekspeditioner til oldtidens Dilmun. Denmark, 1968.

P Kjaerum, The Stamp and Cylinder Seals. Plates and Catalogue Descriptions. Aarhus, 1983 ( = Danish Archaeological Investigations on Failaka, Kuwait; Failaka/Dilmun, The Second Millennium Settlements Vol. I:I).

R.L. Litke, Reconstruction = R.L. Litke, A Reconstruction of the Assyro-Babylonian God-Lists, AN: $^{d}$A-NU-UM and AN: ANU SA AMELI. Dissertation, yale University 1958.

Near Eastern Studies = H. Goedicke (Ed.), Near Eastern Studies in Honor of William Foxwell Albright. Baltimore + London, 1971.

F. Pomponio, Nabu = F. Pomponio, Nabu. Il culto e la figura di un dio del pantheon babilonese ed assiro. Roma 1978 (= Studi Semitici 51).

PSAS = Proceedings of the Seminar of Arabian Studies (London, 1970-).

RGTC 5 = Kh. Nashef, Die Orts — und Gewassernamen der mittelbabylonischen und mittelassyrischen Zeit (= Repertoire Georgraphique des Textes Cuneiformes 5). Wiesbaden 1982.

R Zadok, Elamite Onomasticon = R. Zadok, The Elamite Onomasticon (in press) (= Supplemento agli AION § 49).

# ملخص البحث

منذ عصر السلالة الثالثة لأور على الاقل كان يعبد فى دلمون اله رئيسى اسمه انزك Enzak ، وقرينته كان اسمها ميسكيلاك Meskilak ، وليس بامكاننا بسهولة تحديد اللغة التى ينتمى اليها هذان الاسمان ، والتى على اية حال ليست سومرية . وقد ربط الثنائى انزك Enzak, وميسكيلاك Meskilak فى فترة من الفترات بانكى Enki ودمجال ـ نونا Damgal-nuna اله والهة مدينة اريدو Eridu ، وعلى الاغلب ان انكى Enki ودمجال ـ نونا لم يكونا بالنسبة للدلمونيين الا اسمين اجنبيين لكل من انزك Enzak وميسكيلاكMeskilak استوحيا من الحضارة الاقوى ، اى حضارة وادى الرافدين . وقد عرف الالهان فى هذه الحضارة بدرجة اولى باسمى انزج Enzag ونين ـ سيكيلا Nin-sikila . اما انزك Enzak الاله الدلمونى الرئيسى ، فعلى الاغلب انه كان سيد النخلة ، او الاله المسؤول عن النخيل .